الأغاني

الجزء السادس

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ*

الجزء السادس

من كتاب الأغاني

تتمة التراجم

1-أخبار الصّمّة القشيريّ و نسبه

نسبه:

هو الصّمّة بن عبد اللّه بن الطّفيل بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة/بن خصفة بن قيس[1]بن عيلان بن مضر بن نزار.

هو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية:

شاعر إسلاميّ بدويّ مقلّ، من شعراء الدولة الأمويّة. و لجدّه قرّة بن هبيرة صحبة بالنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و هو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى اللّه عليه و سلم و آله.

وفد جدّه قرّة على النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و أسلم:

أخبرني بخبره عبيد اللّه بن محمد الرّازي و عمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ و ابن دأب و غيرهما من الرّواة قالوا:

/وفد قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم فأسلم، و قال له:

يا رسول اللّه، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا و لا تضرّنا؛ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «نعم ذا عقلا» .

قصته في حبه و زواجه:

و قال ابن دأب: و كان من خبر الصّمّة أنه هوي امرأة من قومه ثم من بنات عمّه دنية[2]يقال لها العامريّة بنت [1]قال في «القاموس» : «و عيلان بلا لام أبو قيس، أو الصواب قيس عيلان مضافا» اهـ. و يؤيد القول بأنه أبوه قول سحبان:

لقد علمت قيس بن عيلان أنني # إذا قلت «أما بعد» إني خطيبها

و يؤيد القول الثاني قول الآخر:

و على أنه مضاف قيل: إن «عيلان» اسم فرس لقيس فأضيف إليه، أو هو عبد لمضر بن نزار حضن قيسا فغلب عليه و نسب إليه.

(راجع «القاموس» و شرحه مادة عيل) .

[2]دنية أي لاصقة النسب.

غطيف بن حبيب بن قرّة بن هبيرة؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها؛ و خطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب[1]الأسنّة بن جعفر بن كلاب، فزوّجه إياها. و كان عامر قصيرا قبيحا؛ فقال الصّمّة بن عبد اللّه في ذلك: فإن تنكحوها عامرا لاطّلاعكم # إليه يدهدهكم[2]برجليه عامر

شبّهه بالجعل الذي يدهده البعرة برجليه.

قال: فلما بنى بها زوجها، وجد الصّمّة بها وجدا شديدا و حزن عليها؛ فزوّجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشيّ بن الطّفيل بن قرّة بن هبيرة؛ فأقام عليها مقاما يسيرا، ثم رحل إلى الشأم غضبا على قومه، و خلّف امرأته فيهم، و قال لها: كلي التمر حتى تهرم النخل و اضفري # خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس

/و قال فيها[3]أيضا:

لعمري لئن كنتم على النأى و القلى # بكم مثل ما بي إنكم لصديق

إذا زفرات الحبّ صعّدن في الحشى # رددن و لم تنهج لهنّ طريق

و قال فيها أيضا:

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم # أتتنا بريّاكم فطاب هبوبها

أتتنا بريح المسك خالط عنبرا # و ريح الخزامى باكرتها جنوبها

و قال فيها أيضا:

هل تجزينّي العامريّة موقفي # على نسوة بين الحمى و غضى الجمر

مررن بأسباب الصّبا فذكرنها # فأومأت إذ ما من جواب و لا نكر

موته بطبرستان:

و قال ابن دأب: و أخبرني جماعة من بني قشير أنّ الصّمّة خرج في غزيّ[4]من المسلمين إلى بلد الدّيلم فمات بطبرستان.

قال ابن دأب: و أنشدني جماعة من بني قشير للصّمّة: [1]كذا في الأصول. و المعروف أن ملاعب الأسنة كنيته أبو براء، و اسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب. فصواب العبارة: «و خطبها عامر بن بشر بن أبي براء ملاعب الأسنة بن مالك... إلخ» . و سمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر: و لاعب أطراف الأسنة عامر # فراح له حظ الكتبة أجمع

(انظر «شرح القاموس» مادة لعب، و «بلوغ الأرب في أحوال العرب» للآلوسي ج 2 ص 140) .

[2]دهده: دحرج.

[3]واضح من السياق أن مرجع الضمير هنا العامرية محبوبته لا جبرة زوجته.

[4]غزى: اسم جمع لغاز، أو هو جمع على وزن فعيل كقاطن و قطين و حاج و حجيج.

صوت

أ لا تسألان اللّه أن يسقي الحمى # بلى فسقى اللّه الحمى و المطاليا[1]

و أسأل من لاقيت هل مطر الحمى # فهل يسألن عنّي[2]الحمى كيف حاليا

/الغناء في هذين البيتين لإسحاق، و لحنه من الثقيل الأول بالوسطى، و هو من مختار الأغاني و نادرها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع و عمّي قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد اللّه بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبد اللّه بن إسحاق الجعفريّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدّثني رجل من أهل طبرستان كبير السنّ قال: بينا أنا يوما أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة و الزعفران و غير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خلقان، فدنوت منه فإذا هو يتحرّك و لا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفيّ: تعزّ بصبر لا و جدّك لا ترى # بشام[3]الحمى أخرى الليالي الغوابر

كأنّ فؤادي من تذكّره الحمى # و أهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال: فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه؛ فسألت عنه فقيل لي: هذا الصّمّة بن عبد اللّه القشيريّ.

كان ابن الأعرابي يستحسن شعرا له:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الخرّاز أحمد بن الحارث قال:

كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصمة:

صوت

أما و جلال اللّه لو تذكرينني # كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى و اللّه ذكرا لو أنّه # يصبّ على صمّ الصّفا لتصدّعا

/-غنّى في هذين البيتين عبيد اللّه بن أبي غسّان ثاني ثقيل بالوسطى. و فيهما لعريب خفيف رمل-: و لمّا[4]رأيت البشر قد حال بيننا # و جالت بنات الشوق في الصدر نزّعا

[1]المطالي: جمع مطلاء (يمد و يقصر) ، و هو مسيل ضيق من الأرض أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاه. و حكى ابن بري عن علي بن حمزة أن المطالي روضات، واحدها مطلى بالقصر لا غير، و أما المطلاء لما انخفض

من الأرض و اتسع فيمد و يقصر و القصر فيه أكثر. و قيل المطالي: المواضع التي تغذو فيها الوحش أطلاءها. (عن «اللسان» مادة طلى بتصرف) .

[2]رواية «تجريد الأغاني» (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية رقم 5071 أدب) : «فهل يسألن أهل الحمى... » .

[3]في الأصول: «سنام الحمى» . و التصويب عن كتاب «تجريد الأغاني» . و البشام: شجر طيب الريح و الطعم يستاك به.

[4]رواية «ديوان الحماسة» (طبع مدينة ليدن) :

و لما رأيت البشر أعرض دوننا # ..... يحنّ نزعا

و البشر: جبل. و أعرض: أبدى عرضه.

تلفّتّ نحو الحيّ حتى وجدتني # وجعت[1]من الإصغاء ليتا و أخدعا

مدح إبراهيم بن محمد بن سليمان شعره:

أخبرني أبو الطيّب بن الوشّاء قال:

قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزديّ: لو حلف حالف أنّ أحسن أبيات قيلت في الجاهليّة و الإسلام في الغزل قول الضّمّة القشيريّ ما حنث: حننت إلى ريّا و نفسك باعدت # مزارك من ريّا و شعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا # و تجزع أن داعي الصبابة أسمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها # عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

صوت

و أذكر أيّام الحمى ثم أنثني # على كبدي من خشية أن تصدّعا

فليست عشيّات الحمى برواجع # عليك و لكن خلّ عينيك تدمعا

غنّت في هذين البيتين قرشيّة الزّرقاء لحنا من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ. و هذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى ريّا» تروى لقيس بن ذريح في أخباره و شعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها، و يروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد/ذكرت أيضا في أخباره. و الصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقيس بن ذريح و روايتهما[له][2]أثبت، و قد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق؛ و الأخر مشكوك فيها أ هي للمجنون أم للضّمّة.

كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره:

/أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم للضّمّة القشيريّ قال: و كان أبو حاتم يستجيدهما، و أنشدنيهما عمّي عن الكرانيّ عن أبي حاتم، و أنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم: إذا نأت لم تفارقني علاقتها # و إن دنت فصدود العاتب الزّاري

فحال عيني من يوميك واحدة # تبكي لفرط صدود أو نوى دار

تذكر محبوبته و بكى و ذكر شعره فيها:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عبيد اللّه بن إسحاق بن سلاّم قال حدّثني أبي عن شعيب بن صخر عن بعض بني عقيل قال: مررت بالضّمّة بن عبد اللّه القشيريّ يوما و هو جالس وحده يبكي و يخاطب نفسه و يقول: لا و اللّه ما صدقتك فيما قالت؛ فقلت: من تعني؟ويحك!أ جننت! قال: أعني التي أقول فيها: [1]في س: «و جئت» . و في سائر الأصول: «و

خفت» . و التصويب عن «ديوان الحماسة» و «اللسان» (مادة وجع) . و الليت (بالكسر) : صفحة العنق. و الأخدع: عرق في العنق في موضع الحجامة.

[2]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

أما و جلال اللّه لو تذكرينني # كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى و اللّه ذكرا لو أنّه # يصبّ على صمّ الصّفا لتصدعا

أسلي نفسي عنها و أخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

قصته في خطبة ابنة عمه و رحلته إلى ثغر من الثغور و شعره في ذلك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد اللّه التّيميّ قال.

/خطب الضّمّة القشيريّ بنت عمّه و كان لها محبّا، فاشتطّ عليه عمّه في المهر؛ فسأل أباه أن يعاونه و كان كثير المال فلم يعنه بشيء؛ فسأل عشيرته فأعطوه؛ فأتى بالإبل عمّه؛ فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يبدلها لك؛ فسأل ذلك أباه فأبى عليه؛ فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها و خلاّها، فعاد كلّ بعير منها إلى ألاّفه.

و تحمّل الضّمّة راحلا. فقالت بنت عمه حين رأته يتحمّل: تاللّه ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة. و مضى من وجهه حتى لحق بالثغر؛ فقال و قد طال مقامه و اشتاقها و ندم على فعله: أ تبكي على ريّا و نفسك باعدت # مزارك من ريّا و شعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا # و تجزع أنّ داعي الصبابة أسمعا

و قد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ: أن الضّمّة خطب ابنة عمّه هذه إلى أبيها؛ فقال له: لا أزوّجكها إلا على كذا و كذا من الإبل؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك و شكا إليه ما يجد بها؛ فساق الإبل عنه إلى أخيه؛ فلما جاء بها عدّها عمّه فوجدها تنقص بعيرا، فقال: لا آخذها إلا كاملة؛ فغضب أبوه و حلف لا يزيده على ما جاء به شيئا. و رجع إلى الضّمّة؛ فقال له: ما وراءك؟فأخبره؛ فقال: تاللّه ما رأيت قطّ ألأم منكما جميعا؛ و إني لألأم منكما إن أقمت بينكما؛ ثم ركب ناقته و رحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. و قال في ذلك: أ من ذكر دار بالرّقاشين[1]أصبحت # بها عاصفات الصيف بدءا و رجّعا

/حننت إلى ريّا و نفسك باعدت # مزارك من ريا و شعباكما معا

/فما حسن أن تأتي الأمر طائعا # و تجزع أن داعي الصبابة أسمعا

كأنك لم نشهد وداع مفارق # و لم تر شعبي صاحبين تقطّعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها # عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

تحمّل أهلي من قنين[2]و غادروا # به أهل ليلى حين جيد[3]و أمرعا

[1]الرقاشان: جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب و كلاب. و رواية البيت في «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري-و قد نسبه ليزيد بن الطثرية-: أ من أجل دار بالرقاشين أعصفت # عليها رياح الصيف بدءا و رجعا

[2]لم نوفق إلى هذا الاسم في المعاجم التي بين أيدينا. و ظاهر أنه اسم موضع أو محرف عن اسم موضع.

[3]جيد: أصابه الجود و هو المطر الغزير.

ألا يا خليليّ اللذين تواصيا # بلومي إلاّ أن أطيع و أسمعا

قفا إنه لا بدّ من رجع نظرة # يمانيّة شتّى بها القوم أو معا

لمغتصب قد عزّه[1]القوم أمره # حياء يكفّ الدمع أن يتطلّعا

تبرّض[2]عينيه الصّبابة كلّما # دنا الليل أو أوفى من الأرض ميفعا[3]

فليست عشيّات الحمى برواجع # إليك و لكن خلّ عينيك تدمعا

صوت من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

قل لأسماء أنجزي الميعادا # و انظري أن تزوّدي منك زادا

إن تكوني حللت ربعا من الشأ # م و جاورت حميرا أو مرادا

أو تناءت بك النّوى فلقد قد # ت فؤادي لحينه فانقادا

ذاك أني علقت منك جوى الحـ # ب وليدا فزدت سنا[4]فزادا

/الشعر لداود بن سلم. و الغناء لدحمان، و لحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى. و قد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوبا إلى المرقّش، و طلبناه في أشعار المرقّشين[5]جميعا فلم نجده، و كنا نظنه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، و في خبر أنا ذاكره في أخبار داود. و إنما نذكر ما وقع إلينا عن رواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه و أبطلنا ما فرط منا غيره، و ما لم يجر هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمده و لا اخترعناه، و إنما حكيناه عن رواته و اجتهدنا في الإصابة. و إن عرف صوابا مخالفا لما ذكرناه و أصلحه، فإن ذلك لا يضرّه و لا يخلو به من فضل و ذكر جميل إن شاء اللّه.

[1]عزه: غلبه و سلبه.

[2]أي تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئا فشيئا. يقال: تبرضت ماء الحسى إذا أخذته قليلا قليلا، و فلان يتبرض الماء إذا كان كلما اجتمع منه شيء غرفه.

[3]الميفع: المكان المشرف.

[4]في الأصول هنا و فيما يأتي «شيئا» . و التصويب عن «تجريد الأغاني» .

[5]يعني بالمرقشين: المرقش الأكبر و الأصغر. و الأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل. كذا قال ابن الكلبي و خالفه الجوهري. فقال: إنه من بليّ سدوس. و المرقش الأصغر هو ربيعة بن حرملة، و هو ابن أخي المرقش الأكبر، و هو أيضا عم طرفة بن العبد. (انظر «شرح القاموس» مادة رقش) و سيأتي الكلام عليهما في هذا الجزء.

2-أخبار داود بن سلم و نسبه

نسبه و ولاؤه و هو من مخضرمي الدولتين:

داود بن سلم مولى بني تيم بن مرّة بن كعب بن لؤيّ؛ ثم يقول بعض الرواة: إنّه مولى آل أبي بكر، و يقول بعضهم: إنه مولى آل طلحة. و هو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية و العباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم[1]و داود الأرمك[2]. و كان من أقبح الناس وجها.

رآه والي المدينة يخطر في مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك:

و كان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذات يوم يخطر خطرة منكرة فدعا به، و كان يتولّى المدينة، فضربه ضربا مبرّحا؛ و أظهر أنه إنما فعل/ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك و أظنه ابن رهيمة: ضرب العادل سعد # ابن سلم في السّماجه

فقضى اللّه لسعد # من أمير كلّ حاجة

مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم:

أخبرني محمد بن سليمان الطّوسي قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم، هل هو مولاهم؟فقال: كذلك يقول الناس، هو مولانا، أبوه رجل من النّبط، و أمه بنت حوط مولى عمر بن عبيد اللّه بن معمر؛ فانتسب إلى ولاء أمه. و في ذلك يقول و يمدح ابن معمر: و إذا دعا الجاني النصير لنصره # و أرتني الغرر النصيرة[3]معمر

/متخازرين[4]كأنّ أسد خفيّة[5] # بمقامها مستبسلات تزأر

[1]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «الأدلم» و الآدم و الأدلم بمعنى، و هو الأسود.

[2]الأرمك: الأسود. و في جميع الأصول: «الأدمك» (بالدال المهملة) و هو تحريف.

[3]كذا في جميع الأصول و لعلها مصحفة عن «النضيرة» بالضاد المعجمة.

[4]تخازر الرجل ضيق جفنه ليحدّد النظر.

[5]الخفية: غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، و هي خفيته. و قيل: هي علم لموضع بعينه. قال الشاعر: أسود شرى لافت أسود خفية # تساقين سما كلهن خوادر

فشرى و خفية علمان لموضعين (راجع «اللسان» مادة خفى) .

متجاسرين بحمل كل ملمّة # متجبّرين على الذي يتجبّر

عسل الرّضا فإذا أردت خصامهم # خلط السّمام بفيك صاب ممقر[1]

لا يطبعون و لا ترى أخلاقهم # إلاّ تطيب كما يطيب العنبر

رفعوا بناي بعتق حوط دنية # جدّي و فضلهم الذي لا ينكر

كان أسود بخيلا و له شعر في الكرم كذبه فيه قوم ضافوه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: كان داود بن سلم مولى بني تيم بن مرّة، و كان يقال له: الآدم لشدّة سواده، و كان من أبخل الناس؛ فطرقه قوم و هو بالعقيق، فصاحوا به: العشاء و القرى يا ابن سلم؛ فقال لهم: لا عشاء لكم عندي و لا قرى؛ قالوا: فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها: يا دار هند ألا حيّيت من دار # لم أقض منك لباناتي و أوطاري

عوّدت فيها إذا ما الضيف نبّهني # عقر العشار[2]على يسري و إعساري

قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

عزى السري بن عبد اللّه عن ابنه:

قال: و دخل على السّريّ بن عبد اللّه الهاشميّ، و قد أصيب بابن له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده: /

يا من على الأرض من عجم و من عرب # استرجعوا خاست[3]الدّنيا بعبّاس

فجعت من سبعة قد كنت آملهم # من ضنء[4]و الدهم بالسيّد الرّاس

قال: و داود بن سلم الذي يقول:

قل لأسماء أنجزي الميعادا # و انظري أن تزوّدي منك زادا

إن تكوني حللت ربعا من الشأ # م و جاورت حميرا أو مرادا

أو تناءت بك النوى فلقد قد # ت فؤادي لحينه فانقادا

ذاك أني علقت منك جوى الحـ # بّ وليدا فزدت سنّا فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غسّان محمد بن يحيى و إبراهيم بن المنذر لداود بن سلم.

[1]عسل: جمع عاسل و عسول أي حلو. و الممقر: الشديد المرارة.

[2]العشار جمع عشراء، و هي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر، فإذا وضعت لتمام سنة فهي عشراء أيضا. و أحسن ما تكون الإبل و أنفسها

عند أهلها إذا كانت عشارا.

[3]خاست: غدرت.

[4]الضنء: الولد: و يطلق على الأصل أيضا.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء صوت

يا دار هند ألا حيّيت من دار # لم أقض منك لباناتي و أوطاري

يتم و ينسب[1].

مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره:

أخبرنا الطّوسيّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني مصعب بن عثمان قال: دعا الحسن بن زيد إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد اللّه بن معمر التّيميّ أيام كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه، فدعا مسرقين[2]يسرقون/له مغسلا في السجن، و جاء بنو طلحة فانسجنوا معه.

و بلغ ذلك الحسن بن زيد، فأرسل إليه فأتي به؛ فقال: إنك تلاججت عليّ، و قد حلفت ألاّ أرسلك حتى تعمل لي، فأبرر يميني، ففعل؛ فأرسل الحسن معه جندا حتى جلس في المسجد مجلس القضاء و الجند على رأسه؛ فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال: طلبوا الفقه و المروءة و الحلـ # م و فيك اجتمعن يا إسحاق

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فنحّي[3]عنه؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء؛ فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين دينارا، و قال للرسول: قل له: يقول لك مولاك: ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه؟استعن بهذه على أمرك.

ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد و القصة في ذلك:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني محرز بن سعيد قال: بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد اللّه بن جعفر، و معه داود بن سلم مولى التّيميّين، و عليهما ثياب ملوّنة يجرّانها؛ فأومأ أن يؤتى بهما، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، و أومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله، ثم قال لعون من أعوانه: ادع لي نوح بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد اللّه، فدعي له فجاء أحسن الناس سمتا و تشميرا و نقاء ثياب؛ فأشار إليه فجلس؛ ثم أقبل على زيد فقال له: يا ابن أخي، تشبه بشيخك هذا و سمته و تشميره و نقاء ثوبه، و لا تعد إلى هذا اللبس، قم فانصرف. ثم أقبل على ابن سلم و كان قبيحا، فقال له: هذا/ ابن جعفر أحتمل هذا له، و أنت لأيّ شيء أحتمل هذا لك؟اللؤم أصلك، أم

لساجة وجهك!جرّد يا غلام؛ فجرّد فضربه أسواطا. فقال ابن رهيمة: جلد العادل سعد # ابن سلم في السّماجه

فقضى اللّه لسعد # من أمير كلّ حاجة

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و ينسب. انتهى» . و لا معنى لهذه الزيادة.

[2]كذا في ب، س. و في أ، ء، م: «مسرفين يسرفون» (بالفاء) . و في حـ: «مسروقين يسرقون له معسلا» . و لم نوفق إلى وجه الصواب فيها.

[3]في ب، س: «فننحى عنه» .

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال: قال لي أبي-و قد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء-يا بنيّ تعجّل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم، فإذا صوت عال؛ فقال لي أيّ شيء هذا؟أرى أنه قد أعجل عليّ؛ و دخلنا فإذا داود بن سلم يقول له: أطال اللّه بقاءك يا أبا إسحاق و فعل بك؛ و قد كان سعد جلد داود بن/سلم أربعين سوطا، فأقبل عليّ سعد و على أبي، فقال: لم تر مثل أربعين سوطا في ظهر لئيم. قال: و فيه يقول الشاعر: ضرب العادل سعد # ابن سلم في السماجه

فقضى اللّه لسعد # من أمير كلّ حاجة

كان يمدح الحسن بن زيد و قد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو يحيى الزّهري و اسمه هارون بن عبد اللّه[1]قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: /كان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تيم إذا جاءته غلّة من الخانقين[2]أن يصله. فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان، و كان بينه و بين الحسن بن زيد تباعد شديد، أغضب ذلك الحسن؛ فقدم من حجّ أو عمرة، و دخل عليه داود مسلّما، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر: و كنّا حديثا[3]قبل تأمير جعفر # و كان المنى في جعفر أن يؤمّرا

حوى المنبرين الطاهرين كليهما # إذا ما خطا عن منبر أمّ منبرا

كأن بني حوّاء صفّوا أمامه # فخبّر من أنسابهم فتخيّرا؟

فقال داود: نعم، جعلني اللّه فداءكم، فكنتم خيرة اختياره؛ و أنا الذي أقول: لعمري لئن عاقبت أوجدت منعما # بعفو عن الجاني و إن كان معذرا

لأنت بما قدّمت أولى بمدحة # و اكرم فرعا إن فخرت و عنصرا

هو الغرّة الزّهراء من فرع هاشم # و يدعو عليّا ذا المعالي و جعفرا

و زيد[4]النّدى و السّبط سبط محمد # و عمّك بالطّفّ الزّكيّ المطهّرا

و ما نال من ذا جعفر غير مجلس # إذا ما نفاه العزل عنه تأخّرا

[1]في، ء، م: «عبيد اللّه» .

[2]خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها و بين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، و بين قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ. و قال البشاري: و خانقين أيضا بلدة بالكوفة. (عن «معجم البلدان») .

[3]كذا بالأصول.

[4]يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الذي خرج على هشام بن عبد الملك في خلافته فقتله. و السبط: الحسن بن علي بن أبي طالب. و عمه يعني به الحسين بن علي بن أبي طالب، و قد قتل بالطف، و هو موضع قرب الكوفة. ـ

بحقّكم نالوا ذراها فأصبحوا # يرون به عزّا عليكم و مفخرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، و لم يزل يصله و يحسن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «و إن كان معذرا» أن جعفرا أعطاه بأبياته الثلاثة ألف دينار، فذكر أن له عذرا في مدحه إياه بجزالة إعطائه.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال: كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر (على ستة أميال من المدينة، حيال ذي الحليفة) نصف الليل جلوسا في القمر، و أبو السائب المخزوميّ معنا، و كان ذا فضل و كان مشغوفا بالسّماع و الغزل، و بين أيدينا طبق عليه فريك[1]فنحن نصيب منه، و الحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسن قول داود بن سلم و جعل يمدّ به صوته و يطرّبه:

صوت

فعرّسنا ببطن عريتنات[2] # ليجمعنا و فاطمة المسير

أ تنسى إذ تعرّض و هو باد # مقلّدها كما برق الصّبير[3]

و من يطع الهوى يعرف هواه # و قد ينبيك بالأمر الخبير

/على أني زفرت غداة هرشى[4] # فكاد يريبهم منّي الزّفير

-الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه للهذليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، و أظنّه هذا اللحن-قال: فأخذ أبو السائب الطبق!فوحّش[5]به إلى السماء، فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد؛ /فقال له: مالك؟ويحك!أ جننت!فقال له أبو السائب: أسألك باللّه و بقرابتك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلاّ ما أعدت إنشاد هذا الصوت و مددته كما فعلت!قال: فما ملك الحسن نفسه ضحكا، و ردّ الحسن الأبيات لاستحلافه إياه. قال ابن أبي الزّناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يا ابن أبي الزّناد، أ ما سمعت مدّه: و من يطع الهوى يعرف هواه

فقلت نعم؛ قال: لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبره عبيد اللّه بن محمد الرازيّ و عمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ.

[1]الفريك: طعام يفرك و يلت بسمن و غيره.

[2]عرس القرم: نزلوا في السفر في آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون. و عريتنات: اسم واد. و قال أبو عبيدة: عريتنات ماء بعدنة.

(راجع «معجم البلدان» و «القاموس» و شرحه مادة عرتن) .

[3]الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

[4]هرشى (وزان سكرى) : ثنية قرب الجحفة في طريق مكة يرى منها البحر، و لها طريقان يفضيان بمن سلكهما إلى موضع واحد، و لذلك قال الشاعر: خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما # كلا جانبي هرشى لهن طريق

[5]وحش: رمى.

ما وقع بين ضبيعة العبسي و ظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: أرسلتني مولاتي فاطمة في حاجة، فمررت برحبة القضاء، فإذا بضبيعة العبسيّ خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس؛ فأرسل إليّ فدعاني، و قد كنت رطّلت[1]شعري و ربطت في أطرافه من ألوان العهن؛ فقال: ما هذا؛ فقلت شيء أتملّح به؛ فقال: يا حرسيّ قنّعها بالسّوط. قالت: فتناولت السوط بيدي و قلت: قاتلك اللّه!ما أبين الفرق بينك و بين سعد بن إبراهيم!سعد يجلد الناس في السّماجة، و أنت تجلدهم في الملاحة؛ و قد قال الشاعر: جلد العادل سعد # ابن سلم في السماجه

فقضى اللّه لسعد # من أمير كلّ حاجة

/قالت: فضحك حتى ضرب بيديه و رجليه، و قال: خلّ عنها. قالت: فكان يسوم بي، و كانت مولاتي تقول: لا أبيعها إلاّ أن تهوى ذلك، و أقول: لا أريد بأهلي بدلا؛ إلى أن مررت يوما بالرّحبة و هو في منظرة دار مروان ينظر؛ فأرسل إليّ فدعاني، فوجدته من وراء كلّة و أنا لا أشعر به، و حازم و جرير جالسان؛ فقال لي حازم: الأمير يريدك؛ فقلت: لا أريد بأهلي بدلا؛ و كشفت الكلّة عن جعفر بن سليمان، فارتعت لذلك فقلت: آه؛ فقال: مالك؟ فقلت:

سمعت بذكر الناس هندا فلم أزل # أخا سقم حتى نظرت إلى هند

قال: فأبصرت ما ذا؟ويحك!فقلت:

فأبصرت هندا حرّة غير أنها # تصدّى لقتل المسلمين على عمد

قالت: فضحك حتى استلقى، و أرسل إلى مولاتي ليبتاعني؛ فقالت: لا و اللّه لا أبيعها حتى تستبيعني؛ فقلت: و اللّه لا أستبيعك أبدا.

أرسل شعرا لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا يونس بن عبد اللّه عن داود بن سلم قال: كنت يوما جالسا مع قثم بن العباس قبل أن يملّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأعجب بها قثم و تمنّاها فلم يمكنه ثمنها. فلمّا ولي قثم اليمامة اشترى الجارية إنسان يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبت إلى قثم: /

يا صاحب العيس ثم راكبها # أبلغ إذا ما لقيته قثما

أنّ الغزال الذي أجاز بنا # معارضا إذ توسّط الحرما

حوّله صالح فصار مع الإ # نس و خلّى الوحوش و السّلما

قال: فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها، فوجدها قد ماتت.

[1]رطل شعره: لينه بالدهن و كسره و مشطه و أرسله.

وفد على حرب بن خالد و مدحه فأجازه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد اللّه بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدّثني زهير بن حسن مولى آل الرّبيع[1]بن يونس: أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حطّ غلمانه متاع داود و حلّوا عن راحلته؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول: و لمّا دفعت لأبوابهم[2] # و لاقيت حربا لقيت النجاحا

وجدناه يحمده المجتدون # و يأبى على العسر إلا سماحا

و يغشون حتى يرى كلبهم # يهاب الهرير و ينسى النّباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذن له و أعطاه ألف دينار. فلم يعنه أحد من غلمانه و لم يقوموا إليه؛ فظنّ أن حربا ساخط عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سلهم لم فعلوا بك ذلك.

قال: فسألهم، فقالوا: إننا ننزل من جاءنا و لا نرحل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضريّ حديثه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك.

شعر له في الغزل:

و ذكر محمد بن داود بن الجرّاح أن عمر بن شبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم، فقال: أحسن و اللّه داود حيث يقول: لججت من حبّي في تقريبه # و عمّيت عيناي عن عيوبه

كذاك صرف الدهر في تقليبه # لا يلبث الحبيب عن حبيبه

أو يغفر الأعظم من ذنوبه

قال: و أنشدني أحمد بن يحيى عن عبد اللّه بن شبيب لداود بن سلم قال: /

و ما ذرّ[3]قرن الشمس إلا ذكرتها # و أذكرها في وقت كلّ غروب

و أذكرها ما بين ذاك و هذه # و بالليل أحلامي و عند هبوبي

و قد شفّني شوقي و أبعدني[4]الهوى # و أعيا الذي بي طبّ كلّ طبيب

و أعجب أنّي لا أموت صبابة # و ما كمد من عاشق بعجيب

و كلّ محبّ قد سلا غير أنني # غريب الهوى، يا ويح كلّ غريب

و كم لام فيها من أخ ذي نصيحة # فقلت له أقصر فغير مصيب

[1]في حـ: «مولى الربيع بن يونس» بدون كلمة «آل» .

[2]في ء و إحدى روايتي أ:

«إلى بابهم»

.

[3]ذر: طلع.

[4]كذا في أكثر الأصول. و أبعده: أهلكه و أقصاه. و في ب، س: «و أبلاني الهوى»

.

أ تأمر إنسانا بفرقة قلبه # أ تصلح أجسام بغير قلوب

شعر له في مدح قثم بن العباس:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال: كان داود بن[1]سلم منقطعا إلى قثم بن العباس، و فيه يقول:

عتقت من حلّي و من رحلتي # يا ناق إن أدنيتني من قثم

إنك إن أدنيت منه غدا # حالفني اليسر و مات العدم

/في وجهه بدر و في كفّه # بحر و في العرنين منه شمم

أصمّ عن قيل الخنا سمعه # و ما عن الخير به من صمم

لم يدر ما «لا» و «بلى» قد درى # فعافها و اعتاض منها «نعم»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبّة قال لي إسحاق: لنظم العمياء في هذه الأبيات صنعة عجيبة، و كانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) [2].

[1]نسب هذا الشعر في «الكامل» للمبرد (ص 369 طبع أوروبا) لسليمان بن قتة مع اختلاف في بعض الألفاظ.

[2]هذه العبارة ساقطة من الأصول ما عدا ب، س.

3-أخبار دحمان و نسبه

كان مغنيا صالحا مقبول الشهادة ملازما للحج:

دحمان لقب لقب به، و اسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. و يكنى أبا عمرو، و يقال له دحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دحمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدّل الشهادة مدمنا للحجّ؛ و كان كثيرا ما يقول: ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء.

قال إسحاق: و حدّثني الزّبيريّ أنّ دحمان شهد عند عبد العزيز بن المطّلب[بن عبد اللّه][1]بن حنطب [المخزوميّ][1]، و هو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها و عدّله[2]؛ فقال له العراقيّ: إنه دحمان؛ قال: أعرفه، و لو لم أعرفه لسألت عنه؛ قال: إنه يغنّي و يعلّم الجواري الغناء؛ قال: غفر اللّه لنا و لك، و أيّنا لا يتغنّى!اخرج إلى الرجل عن حقّه.

مدح أعشى سليم غناءه:

و في دحمان يقول أعشى بني سليم:

إذا ما هزّج الواد # يّ أو ثقّل دحمان

سمعت الشّدو من هذا # و من هذا بميزان

فهذا سيّد الإنس # و هذا سيّد الجانّ

و فيه يقول أيضا:

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم # لمّا انبرى لهم دحمان خصيانا

/فأبلغوه عن الأعشى مقالته # أعشى سليم أبي عمرو سليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته # يا ليت دحمان قبل الموت غنّانا

كان من تلاميذ معبد و أحد رواته:

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أنه حدّثه عن ابن جامع و زبير بن دحمان جميعا:

[1]زيادة عن ابن الأثير و الطبري و «تهذيب التهذيب» (ج 6 ص 357) . و عبد العزيز هذا موصوف بالجود و المعرفة بالقضاء و الحكم.

ولي قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي، و ولي قضاء مكة. و أمه أم الفضل بنت كليب بن جرير بن معاوية الخفاجية.

[2]كذا في حـ. و عدّله: زكاه. و في سائر الأصول: «و عدلها» .

أنّ دحمان كان معدّلا مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة، و كان أبو سعيد مولى فائد أيضا ممن تقبل شهادته.

و كان دحمان من رواة معبد و غلمانه المتقدّمين. قال: و كان معبد في أول أمره مقبول الشهادة، فلما حضر الوليد بن يزيد و عاشره على تلك الهنات و غنّى له سقطت عدالته، [لا لأن شيئا بان عليه من دخول في محظور، و لكن][1]لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله.

منزلته في الغناء عند إبراهيم الموصلي:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال إسحاق: كان دحمان يكنى أبا عمرو، مولى بني ليث، و اسمه عبد الرحمن، و كان يخضب رأسه و لحيته بالحنّاء؛ و هو من غلمان معبد. قال إسحاق: و كان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس، و يقول: لو كان عبدا ما اشتريته على/الغناء بأربعمائة درهم. و أشبه الناس به في الغناء ابنه عبد اللّه، و كان يفضّل الزّبير ابنه[2]تفضيلا شديدا على عبد اللّه أخيه و على دحمان[أبيه][3].

كان المهدي يجزل صلته:

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المكّيّ عن عبد اللّه بن دحمان قال: رجع أبي من عند المهديّ و في حاصله مائة ألف دينار.

/أخبرنا إسماعيل بن يونس و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: بلغني أنّ المهديّ أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار؛ و ذلك أنه غنّى في شعر الأحوص: قطوف المشي إذ تمشي # ترى في مشيها خرقا[4]

فأعجبه و طرب، و استخفّه السرور حتى قال لدحمان: سلني ما شئت؛ فقال: ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريّان و غالب؛ فأقطعه إيّاهما. فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد اللّه[5]و عمر بن بزيع راجعا المهديّ فيه و قالا: إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطّ إلاّ خليفة، و قد استقطعهما ولاة العهود في أيام بني أمية فلم يقطعوهما؛ فقال: و اللّه لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى؛ فصولح عنهما على خمسين ألف دينار.

نسبة هذا الصوت

سرى ذا الهمّ بل طرقا # فبتّ مسهّدا قلقا

كذاك الحبّ مما يحـ # ـدث التسهيد و الأرقا

[1]هذه العبارة المحصورة بين قوسين زيادة عن ب، س.

[2]في ب، س: «و كان يفضل الزبير ابنه عبد اللّه تفضيلا... إلخ» ، و هو تحريف.

[3]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

[4]قطوف المشي: بطيئته. و خرقا: تحيرا و دهشا. يريد أنها حيية خفرة حتى لترى آثار التحير و الدهش بادية عليها إذا مشت. و في «اللسان» : «و في حديث تزويج فاطمة رضوان اللّه عليها: فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء، أي خجلة مدهوشة؛ من الخرق و هو التحير. روى أنها أتته تعثر في مرطها من الخجل» .

[5]كذا في حـ. و هو أبو عبيد اللّه معاوية بن عبيد اللّه الأشعري الكاتب الوزير. و في سائر الأصول: «إلى أبي عبد اللّه» ، و هو تحريف.

(راجع الطبري و ابن الأثير في غير موضع) .

قطوف المشي إذ تمشى # ترى في مشيها خرقا

و تثقلها عجيزتها # إذا ولّت لتنطلقا

/الشعر للأخوص. و الغناء لدحمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو؛ و ذكر الهشاميّ أنه لابن سريج.

سئل عن ثمن ردائه فأجاب:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال: مرّ دحمان المغنّي و عليه رداء جيّد عدنيّ[1]؛ فقال له من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟قال: ب

ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا

نسبة هذا الصوت

صوت

ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا # لو أنهم قبل بينهم ربعوا[2]

أحموا[3]على عاشق زيارته # فهو[4]بهجران بينهم قطع[5]

و هو كأنّ الهيام خالطه # و ما به غير حبّها ذرع[6]

كأنّ لبنى صبير[7]غادية # أو دمية زيّنت بها البيع

اللّه بيني و بين قيّمها # يفرّ عنّي بها و أتّبع

اشترى منه الوليد جارية و هو لا يعرفه فلما عرفه أرسل إليه و أكرمه:

أخبرني وكيع عن أبي أيّوب المدينيّ إجازة عن أبي محمد العامريّ الأويسيّ قال: /كان دحمان جمّالا يكري إلى المواضع و يتّجر، و كانت له مروءة؛ فبينا هو ذات يوم قد أكرى جماله و أخذ ماله إذ سمع رنّة، فقام و اتّبع الصوت، فإذا جارية قد خرجت تبكي؛ فقال لها: /أ مملوكة أنت؟قالت: نعم؛ فقال: لمن؟فقالت: لا مرأة من قريش، و سمّتها له؛ فقال: أ تبيعك؟ قالت: نعم، و دخلت إلى مولاتها فقالت: هذا إنسان يشتريني؛ فقالت: ائذني له، فدخل، فسامها حتى استقرّ أمر الثمن بينهما على مائتي دينار، فنقدها إياها و انصرف بالجارية. قال دحمان: فأقامت عندي مدة أطرح عليها و يطرح عليها معبد و الأبجر و نظراؤهما من المغنين؛ ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشأم و قد حذقت، و كنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء[8]ناحية، و

أنزل [1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «غردني» .

[2]ربعوا: تمهلوا و انتظروا.

[3]أحموا: حظروا و منعوا.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فهم» ، و هو تحريف.

[5]القطع (كصرد) : من يهجر رحمه و يعقها و يقطعها.

[6]الذرع: الطمع. و في حـ: «درع» (بالدال المهملة) و لعلها مصحفة عما أثبتناه. و في سائر الأصول: «ردع» و لا معنى له.

[7]الصبير: السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجا. و الغادية: السحابة تنشأ غدوة.

[8]الأكرياء: جمع كريّ و هو المكاري.

معتزلا بها ناحية في محمل و أطرح على المحمل من أعبية[1]الجمّالين، و أجلس أنا و هي تحت ظلّها، فأخرج شيئا فنأكله، و نضع ركوة[2]فيها[3]لنا شراب، فنشرب و نتغنّى حتى نرحل. و لم نزل كذلك حتى قربنا من الشأم. فبينا أنا ذات يوم نازل و أنا ألقي عليها لحني:

صوت

لو ردّ ذو شفق حمام منيّة # لرددت عن[4]عبد العزيز حماما

صلّى عليك اللّه من مستودع # جاورت بوما[5]في القبور و هاما[6]

/-الشعر لكثيّر[7]يرثي عبد العزيز بن مروان. و زعم بعض الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر و أنه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابنا له. و الغناء لدحمان، و لحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر-.

قال: فرددته عليها حتى أخذته و اندفعت تغنّيه، فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا فرددنا عليه السلام؛ فقال: أ تأذنون[8]لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعة؟قلنا نعم، فنزل؛ و عرضت عليه طعامنا و شرابنا فأجاب، فقدّمنا إليه السّفرة فأكل و شرب معنا، و استعاد الصوت مرارا. ثم قال للجارية: أ تغنّين لدحمان شيئا؟قالت نعم. قال: فغنّته أصواتا من صنعتي، و غمزتها ألا تعرّفه أني دحمان؛ فطرب و امتلأ سرورا و شرب أقداحا و الجارية تغنّيه حتى قرب وقت الرحيل؛ فأقبل عليّ و قال: أ تبيعني هذه الجارية؟فقلت نعم؛ قال: بكم؟قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار؛ قال: قد أخذتها بها، فهلمّ دواة و قرطاسا، فجئته بذلك؛ فكتب: «ادفع إلى حامل كتابي هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار، و استوص به خيرا و أعلمني بمكانه» و ختم الكتاب و دفعه إليّ؛ ثم قال: أ تدفع إليّ الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك؟ فقلت: بل أدفعها إليك؛ فحملها و قال: إذا جئت البخراء[9]فسل عن فلان و ادفع كتابي هذا إليه و اقبض منه مالك؛ ثم انصرف بالجارية. قال: و مضيت، فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل، فدللت عليه، فإذا داره دار ملك، فدخلت عليه و دفعت إليه الكتاب، فقبّله و وضعه/على عينيه، و دعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ، و قال: هذا كتاب أمير المؤمنين، و قال لي: اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك؛ فقلت له: حيث كنت فأنا عبدك و بين يديك، و قد كان أمر لي بأنزال[10]و كان بخيلا، فاغتنمت[11]ذلك فارتحلت؛ و قد كنت أصبت بجملين، و كانت عدّة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر. قال: و سأل عنّي الوليد، فلم يدر القهرمان أين يطلبني؛ فقال [1]الأعبية: جمع عباء و هو ضرب من الأكسية.

[2]الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

[3]في ب، س: «ركوة لنا فيها لنا شراب» .

[4]في ب، س: «من» .

[5]في ب، س و «تجريد الأغاني» : «رمسا» .

[6]الهام: طير الليل و هو الصدى، واحده هامة.

[7]نسب هذا الشعر في «تجريد الأغاني» لإسماعيل بن يسار.

[8]في ب: «أ تأذنوا» . و في س: «أ تؤذنوا» ، و كلاهما تحريف.

[9]البخراء: أرض و ماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز، و بها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك. و في ب، س: «النجراء» (بنون بعدها جيم) و هو تصحيف.

[10]الأنزال: جمع نزل (بضمتين و بضم فسكون) و هو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه.

[11]في جميع الأصول: «فاغتم» ، و لا يستقيم بها الكلام.

له الوليد: عدّة جماله خمسة عشر جملا فارددهإليّ[1]؛ فلم أوجد، لأنه لم يكن في الرّفقة من معه خمسة عشر جملا، و لم يعرف/اسمي فيسأل عنّي. قال: و أقامت الجارية عنده شهرا لا يسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استبرئت[2]و أصلح من شأنها، فظلّ معها يومه، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غنّيني لدحمان فغنّت؛ و قال لها: زيديني فزادت. ثم أقبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أ و ما سمعت غناء دحمان منه؟قالا لا؛ قالت: بلى و اللّه؛ قال: أقول لك لا، فتقولين بلى و اللّه!فقالت: بلى و اللّه لقد سمعته؛ قال: و ما ذاك؟ويحك!قالت: إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان؛ قال: أو ذلك هو؟قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟قالت: غمزني بألاّ أعلمك. فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان، فحمل فلم يزل عنده أثيرا[3].

دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال: /تذاكروا يوما كبر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القول؛ ثم قال بعضهم: إنما يكون كبر أير الرجل على قدر حر أمّه؛ فالتفت الأمير إلى دحمان فقال: يا دحمان، كيف أيرك؟فقال له: أيها الأمير، أنت لم ترد أن تعرف كبر أيري، و إنما أردت أن تعرف مقدار حر أمّي. و كان دحمان طيّبا ظريفا.

ظرفه و فكاهة له مع رجل شتمه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال:

أوّل ما عرف من ظرف دحمان أنّ رجلا مرّ به يوما، فقال له: أير حماري في حر أمّك يا دحيم؛ فلم يفهم ما قاله، و فهمه رجل كان حاضرا معه فضحك؛ فقال: ممّ ضحكت؟فلم يخبره؛ فقال له: أقسمت عليك إلاّ أخبرتني؛ قال: إنه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك؛ فقال: و اللّه لتخبرنّي كائنا ما كان؛ فقال له: قال: كذا و كذا من حماري في حر أمّك؛ فضحك ثم قال: أعجب و اللّه و أغلظ عليّ من شتمه كنايتك عن أير حماره و تصريحك بحر أمّي لا تكني.

جعفر بن سليمان أمير المدينة و المغنون:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن الرّبيع المديني[4]قال حدّثني الرّبعيّ المغنّي قال: قال لنا جعفر بن سليمان و هو أمير المدينة: اغدوا على قصري بالعقيق غدا؛ و كنت أنا و دحمان و عطرّد، فغدوت للموعد، فبدأت بمنزل دحمان و هو في جهينة[5]، فإذا هو و عطرّد قد اجتمعا على قدر يطبخانها، و إذا السماء تبغش[6]، فأذكرتهما الموعد، فقالا: أما ترى يومنا هذا ما أطيبه!اجلس حتى نأكل من هذه القدر و نصيب [1]كذا في أكثر الأصول و «تجريد الأغاني» . و في ب، س: «فارددها» ، و هو تحريف.

[2]استبراء الرجل الجارية: ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها و يتبين حالها أ هي حامل أم لا.

[3]كذا في أكثر الأصول. و الأثير: المكرم. و في ب، س: «أسيرا» ، و هو تحريف.

[4]في حـ: «المدني» .

[5]كذا في جميع الأصول. و لعلها محرّفة عن: «جهته» إذ جهينة قرية من نواحي الموصل على دجلة، و يبعد أن تكون هي المرادة هنا.

[6]بغشت السماء تبغش (من باب قطع) : أمطرت البغشة و هي المطرة الضعيفة.

شيئا/و نستمتع من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إليّ؛ فقالا لي: كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمه، و أخذك المطر إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلاّ فتقرع الباب و تعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما و مضيت، و إذا جعفر مشرف من قصره و المضارب[1]تضرب و القدور تنصب؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيت: و أستصحب الأصحاب حتى إذا ونوا # و ملّوا من الإدلاج جئتكم وحدي

قال: و ما ذاك؟فأخبرته؛ فقال: يا غلام، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار-الشك من إسحاق الموصلي- فانثرها في حجر الرّبعيّ، اذهب الآن فلا تحلّ لها عقدة حتى تريهما إياها؛ فقلت: و ما في يدي من ذلك!يأتيانك غدا فتلحقهما بي؛ قال: ما كنت لأفعل؛ قلت: /فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل، فحلف. فمضيت إليهما، فقرعت الباب فصاحا و قالا: أ لم نقل لك إن هذه تكون حالك؛ فقلت: كلاّ!فأريتهما الدنانير؛ فقالا: إنّ الأمير لحيّ كريم، و نأتيه غدا فنعتذر إليه فيدعوه كرمه إلى أن يلحقنا بك؛ فقلت: كذبتكما أنفسكما، و اللّه إني قد أحكمت الأمر و وكّدت عليه الأيمان ألاّ يفعل؛ فقالا: لا وصلتك رحم.

غنى هو و ابن جندب بالعقيق:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مزاحم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجشون قال: صلّينا يوما الصبح بالمدينة، فقال قوم: قد سال العقيق، فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العرصة[2]، فإذا من وراء الوادي قبالتنا دحمان المعيّ و ابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتا و هو[3]: /

أسكن البدو ما سكنت ببدو # فإذا ما حضرت طاب الحضور

و إذا أطيب صوت في الدنيا. قال: و كان أخي يكره السّماع؛ فلمّا سمعه طرب طربا شديدا و تحرّك؛ و كان لغناء دحمان أشدّ استحسانا و حركة و ارتياحا؛ فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، و اللّه لكأنّه يسكب على الماء زيتا.

نسبة هذا الصوت

صوت

أوحش الجنبذان[4]فالدّير منها # فقراها فالمنزل المحظور

أسكن البدو ما أقمت ببدو # فإذا ما حضرت طاب الحضور

[1]المضارب: جمع مضرب و هو الفسطاط العظيم.

[2]العرصة (بالفتح) : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. و بالعقيق عرصتان من أفضل بقاع المدينة و أكرم أصقاعها. ذكر محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في عرصة العقيق ضنا بها، و أن والي المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و هو قوله» .

[4]الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية، و معناه: الأزج المدوّر كالقبة. و الشاعر هنا يريد به مكانا بعينه. ـ

أيّ عيش ألذّه لست فيه # أو ترى نعمة به و سرور

الشعر لحسّان بن ثابت. و الغناء لابن مسجح رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

دحمان و الفضل بن يحيى:

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمان البصري قال: قال دحمان: دخلت على الفضل بن يحيى ذات يوم؛ فلما جلسنا، قام و أومأ إليّ فقمت، فأخذ بيدي و مضى بي إلى منظرة له على الطريق، و دعا بالطعام فأكلنا، ثم صرنا إلى الشراب؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حجازيّة تغنّي: اهجريني أو صليني # كيفما شئت فكوني

أنت و اللّه تحبّيـ # ني و إن لم تخبريني

/فطرب و قال: أحسنت!ادخلي فدخلت، فأمر بطعام فقدّم إليها فأكلت، و سقاها أقداحا، و سألها عن مواليها فأخبرته؛ فبعث فاشترها، فوجدها من أحسن الناس غناء و أطيبهم صوتا و أملحهم[1]طبعا؛ فغلبتني عليه مدّة و تناساني؛ فكتبت إليه: أخرجت السّوداء ما كان في # قلبك لي من شدّة الحبّ

فإن يدم ذا منك لا دام لي # متّ من الإعراض و الكرب

قال: فلمّا قرأ الرّقعة ضحك، و بعث فدعاني و وصلني، و عاد إلى ما كان عليه من الأنس.

قال/مؤلف هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابن المرزبان بهذا الخبر، و أظنّه غلطا؛ لأنّ دحمان لم يدرك خلافة الرشيد، و إنما أدركها ابناه زبير و عبد اللّه؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

[و مما في المائة المختارة من صنعة دحمان]

[2]

صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

و إنّي لآتي البيت ما إن أحبّه # و أكثر هجر البيت و هو حبيب

و أغضي على أشياء منكم تسوءني # و أدعى إلى ما سرّكم فأجيب

و أحبس عنك النّفس و النفس صبّة # بقربك و الممشى إليك قريب

الشعر للأحوص. و الغناء لدحمان ثقيل أوّل. و قد تقدّمت أخبار الأحوص و دحمان فيما مضى من الكتاب.

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و أصلحهم» .

[2]هذه العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة في ب، س.

312

صوت من المائة المختارة

حيّيا خولة منّي بالسلام # درّة البحر و مصباح الظلام

لا يكن وعدك برقا خلّبا # كاذبا يلمع في عرض الغمام

و اذكري الوعد الذي واعدتنا # ليلة النصف من الشّهر الحرام

الشعر لأعشى همّدان. و الغناء لأحمد النّصبيّ، و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. و عروضه من الرّمل. و الخلّب من البرق: الذي لا غيث معه و لا ينتفع بسحابه. و تضرب المثل به العرب لمن أخلف وعده؛ قال الشاعر: لا يكن وعدك برقا خلّبا # إنّ خير البرق ما الغيث معه

و عرض السحابة: الناحية منها.

4-أخبار أعشى همدان و نسبه

نسبه و كنيته و هو شاعر أموي:

اسمه عبد الرحمن بن عبد اللّه بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ[1]بن جشم بن حاشد[2]بن جشم بن خيران[3]بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة[4]بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و يكنى أبا المصبّح، شاعر فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. و كان زوج أخت الشّعبيّ الفقيه، و الشعبيّ زوج أخته. و كان أحد الفقهاء القرّاء، ثم ترك ذلك و قال الشعر، و آخى أحمد النّصبي[5]بالعشيريّة[6]و البلديّة، فكان إذا قال شعرا غنّى فيه أحمد. و خرج مع ابن الأشعث، فأتي به الحجّاج أسيرا في الأسرى، فقتله صبرا.

قص رؤياه على صهره الشعبي فقال له تترك القرآن و تقول الشعر:

أخبرني[7]بما أذكره من جملة أخباره الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي أنه أخذ أخباره هذه/عن/ابن كناسة عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية و عن غيرهم من رواة الكوفيين. قال حدّثنا عمر بن شبّة و أبو هفّان جميعا عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد اللّه بن عيّاش الهمدانيّ. قال العنزيّ: و أخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي. و ما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفردا.

أخبرني المهلّبي أبو أحمد حبيب بن نصر و عليّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شبّة و أبو هفّان جميعا عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عديّ عن عبد اللّه بن عيّاش الهمداني قال:

[1]في «تجريد الأغاني» : «ابن عبد الجن» .

[2]كذا في حـ و كتاب «الاشتقاق» و «تجريد الأغاني» . و في سائر الأصول: «حاشر» ، و هو تحريف.

[3]في «شرح القاموس» (مادة خير) : «قال شيخ الشرف النسابة: هو خيوان بالواو فصحف» .

[4]في ب، س: «واسلة» . و في سائر الأصول: «سلمة» . و التصويب عن كتاب «تجريد الأغاني» و «القاموس» و كتاب «الاشتقاق» .

و ضبط شارح القاموس «أوسلة» (بكسر السين) . و يلاحظ أن صاحب كتاب «الاشتقاق» ذكر أن الخيار بن مالك ولد أوسلة و هو همدان، ثم ولد همدان نوفا و خيران و لذلك تجده أسقط ما بين همدان و أوسلة من أسماء. و في «القاموس» أيضا: «و أوسلة هي همدان» . (راجع كتاب «الاشتقاق» ص 250 طبع مدينة ليبزج) .

[5]في الأصول هنا و فيما يأتي: «النصيبي» . و هو تحريف. (راجع الهامشة رقم 6 ص 344 ج 5 من هذه الطبعة) .

[6]العشيرية: نسبة إلى العشير أو العشيرة و هم رهط الرجل و قبيلته. و سيأتي في ترجمة أحمد النصيبي أنه همداني و أنه من رهط الأعشى الأدنين.

[7]يلاحظ في هذا السند أن الضمائر فيه غير واضحة المراجع.

كان الشّعبيّ عامر بن شراحيل زوج أخت أعشى همدان، و كان أعشى همدان زوج أخت الشعبي؛ فأتاه أعشى همدان يوما، و كان أحد القرّاء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أدخلت بيتا فيه حنطة و شعير، و قيل لي: خذ أيّهما شئت، فأخذت الشّعير؛ فقال: إن صدقت رؤياك تركت القرآن و قراءته و قلت الشعر؛ فكان كما قال:

سر في الديلم أحبته ابنة الأمير هربت معه و شعره في ذلك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كناسة، قال العنزي و حدّثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة و الأصمعي قالا، رافق[1]روايتهم الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: كان أعشى همدان أبو المصبّح ممن أغزاه الحجّاج بلد الدّيلم و نواحي دستبي[2]، فأسر، فلم يزل أسيرا في أيدي الديلم مدّة. ثم إن بنتا للعلج الذي أسره هويته، /و صارت إليه ليلا فمكّنته من نفسها، فأصبح و قد واقعها ثماني مرّات؛ فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين، أ هكذا تفعلون بنسائكم؟فقال لها: هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له: بهذا العمل نصرتم؛ أ فرأيت إن خلّصتك، أ تصطفيني لنفسك؟فقال لها نعم، و عاهدها. فلما كان الليل حلّت قيوده و أخذت به طرقا تعرفها حتى خلّصته و هربت معه. فقال شاعر من أسرى المسلمين: فمن كان يفديه من الأسر ماله # فهمدان تفديها الغداة أيورها

و قال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم:

صوت

لمن الظّعائن سيرهنّ ترجّف[3] # عوم السّفين إذا تقاعس مجذف[4]

مرّت بذي خشب[5]كأنّ حمولها # نخل بيثرب طلعه متضعّف[6]

-غنّى في هذين البيتين أحمد النّصبي، و لحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو و ابن المكيّ.

و فيهما لمحمد الزّفّ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو-:

عولين ديباجا و فاخر سندس # و بخزّ أكسية العراق تحفّف

[1]كذا في الأصول. و لعل صواب العبارة: «و وافق روايتهما الهيثم بن عدي... إلخ» .

[2]دستبي (بفتح أوّله و سكون ثانيه و فتح التاء المثناة من فوق و الباء الموحدة) : كورة كانت مقسومة بين الري و همذان، فقسم منها يسمى دستبي الرازيّ و هو يقارب التسعين قرية، و قسم منها يسمى دستبي همذان و هو عدّة قرى. و ربما أضيف إلى قزوين في بعض الأوقات لاتصاله بعملها. و لم تزل دستبي على قسميها إلى أن سعى رجل من سكان قزوين من بني تميم له حنظلة بن خالد فصيرها بقسميها إلى قزوين.

[3]الترجف: الاضطراب الشديد.

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «تجذف» .

[5]ذو خشب (بضم الخاء و الشين) : واد على مسيرة ليلة من المدينة. و قد ذكر كثيرا في الشعر و المغازي. قال بعض بني مرة يصف ناقته: فمرّت بذي خشب غدوة # و جازت فويق أريك أصيلا

(راجع «معجم البلدان» و كتاب «ما يعوّل عليه في المضاف و المضاف إليه») .

[6]كذا في «تجريد الأغاني» ، و الرواية فيه: «حمله متضعف» . و في ب، س: «متعصف» . و في سائر الأصول: «متعطف» .

و غدت بهم يوم الفراق عرامس[1] # فتل المرافق بالهوادج دلّف[2]

/بان الخليط و فاتني برحيله # خود إذا ذكرت لقلبك يشغف

تجلو بمسواك الأراك منظّما # عذبا إذا ضحكت تهلّل ينطف

و كأنّ ريقتها على علل الكرى # عسل مصفّى في القلال و قرقف[3]

و كأنما نظرت بعيني ظبية # تحنو على خشف لها و تعطّف

/و إذا تنوء[4]إلى القيام تدافعت # مثل النّزيف[5]ينوء ثمّت يضعف

ثقلت روادفها و مال بخصرها # كفل كما مال النّقا المتقصّف

و لها ذراعا بكر رحبيّة # و لها بنان بالخضاب مطرّف[6]

و عوارض مصقولة و ترائب # بيض و بطن كالسّبيكة مخطف[7]

و لها بهاء في النساء و بهجة # و بها تحلّ الشمس حين تشرّف

تلك التي كانت هواي و حاجتي # لو أن دارا بالأحبّة تسعف

و إذا تصبك من الحوادث نكبة # فاصبر فكل مصيبة ستكشّف

و لئن بكيت من الفراق صبابة # إنّ الكبير إذا بكى ليعنّف

عجبا من الأيام كيف تصرّفت # و الدار تدنو مرّة و تقذّف

أصبحت رهنا للعداة مكبّلا # أمسي و أصبح في الأداهم أرسف

بين القليسم فالقيول فحامن # فاللهزمين و مضجعي متكنّف

-هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنّفته الهموم بها-:

فجبال ويمة ما تزال منيفة # يا ليت أنّ جبال ويمة تنسف

-ويمة و شلبة: ناحيتان من نواحي الريّ-:

/

و لقد أراني قبل ذلك ناعما # جذلان آبى أن أضام و آنف

و استنكرت ساقي الوثاق و ساعدي # و أنا امرؤ بادي الأشاجع أعجف[8]

و لقد تضرّسني الحروب و إنني # ألفى بكلّ مخافة أتعسّف

[1]العرامس: جمع عرمس (كزبرج) و هي الناقة الصلبة.

[2]قتل المرافق: مندمجاتها. و الواحد أفتل و فتلاء، وصف من الفتلة (بالتحريك) و هي اندماج مرفق الناقة. و دلف: جمع دالف و هو الماشي بالحمل الثقيل مقاربا للخطو.

[3]القلال: جمع قلة و هي الجرة العظيمة أو عامة، و قيل الكوز الصغير. و القرقف: الخمر.

[4]تنوء: تنهض بجهد و مشقة.

[5]النزيف: السكران، و من ذهب عقله، و الذي سال دمه حتى يفرط فيضعف.

[6]طرّفت المرأة بنانها: خضبت أطراف أصابعها بالحناء.

[7]مخطف: ضامر.

[8]الأشاجع: أصول الأصابع أو عروق الكف. و أعجف: قليل اللحم.

أتسربل الليل البهيم و أستري # في الخبت إذ لا يسترون[1]و أوجف

ما إن أزال مقنّعا أو حاسرا # سلف[2]الكتيبة و الكتيبة وقّف

فأصابني قوم فكنت أصيبهم # فالآن أصبر للزمان و أعرف

إني لطلاّب التّرات مطلّب # و بكل أسباب المنيّة أشرف

باق على الحدثان غير مكذّب # لا كاسف بالي و لا متأسّف

إن نلت لم أفرح بشيء نلته # و إذا سبقت به فلا أتلهّف

إني لأحمي في المضيق فوارسي # و أكرّ خلف المستضاف[3]و أعطف

و أشدّ إذ يكبو[4]الجبان[5]و أصطلي # حرّ الأسنّة و الأسنّة ترعف

صوت

فلئن أصابتني الحروب فربّما # أدعى إذا منع الرّداف فأردف

و لربّما يروى بكفّي لهذم # ماض و مطّرد الكعوب مثقّف[6]

و أغير غارات و أشهد مشهدا # قلب الجبان به يطير و يرجف

و أرى مغانم لو أشاء حويتها # فيصدّني عنها غنّى و تعفّف

/-غنّى في هذه الأبيات دحمان، و لحنه ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: فيها/لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و وافقه في هذا ابن المكيّ-قالوا جميعا:

خرج مع جيش الحجاج إلى مكران فمرض و قال شعرا:

ثم ضرب البعث على جيش أهل الكوفة إلى مكران[7]، فأخرجه الحجّاج معهم، فخرج إليها و طال مقامه بها و مرض، فاجتواها و قال في ذلك-و أنشدني بعض هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ-:
طلبت الصّبا إذ علا المكبر # و شاب القذال[8]و ما تقصر

و بان الشباب و لذّاته # و مثلك في الجهل لا يعذر

[1]في ب، س:

«و اشتدي... لا يشتدون»

و في سائر الأصول: «و أستدي» ، و كلاهما تحريف. و استرى بمعنى سرى.

[2]السلف: المتقدّم.

[3]المستضاف: من يفزع إليه غيره و يلتجئ به، يريد به الكميّ الشجاع.

[4]في حـ و «تجريد الأغاني» : «ينبو» .

[5]كذا في أكثر الأصول و «تجريد الأغاني» . و في ب، س: «الجواد» .

[6]مطرد الكعوب: الرمح، و اطراد كعوبه: تتابعها. و المثقف: المقوّم المسوّى.

[7]مكران (بالضم ثم السكون و أكثر ما تجيء في شعر العرب مشدّدة الكاف مفتوحتها) : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن و قرى و هي بين كرمان من غربيها و سجستان شماليها و البحر جنوبيها و الهند في شرقيها. و قال الإصطخري: هي ناحية واسعة عريسة و الغالب عليها المفاوز و الضر و القحط. (راجع «معجم البلدان») .

[8]القذال: جماع مؤخر الرأس، و قيل: ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

و قال العواذل هل ينتهي # فيقدعه[1]الشيب أو يقصر

و في أربعين توفّيتها # و عشر مضت لي مستبصر

و موعظة لامرئ حازم # إذا كان يسمع أو يبصر

فلا تأسفنّ على ما مضى # و لا يحزننّك ما يدبر

فإنّ الحوادث تبلي الفتى # و إنّ الزمان به يعثر

فيوما يساء بما نابه # و يوما يسرّ فيستبشر

و من كلّ ذلك يلقى الفتى # و يمنى له منه ما يقدر

/كأنّي لم أرتحل جسرة # و لم أجفها بعد ما تضمر[2]

فأجشمها كلّ ديمومة[3] # و يعرفها البلد المقفر

و لم أشهد البأس يوم الوغى # عليّ المفاضة و المغفر[4]

و لم أخرق الصفّ حتى تميـ # ل دارعة[5]القوم و الحسّر

و تحتى جرداء خيفانة # من الخيل أو سابح مجفر[6]

أطاعن بالرمح حتى اللّبا # ن[7]يجري به العلق الأحمر

و ما كنت في الحرب إذ شمّرت # كمن لا يذيب و لا يخثر[8]

و لكنّني كنت ذا مرّة # عطوفا إذا هتف المحجر[9]

أجيب الصّريخ إذا ما دعا # و عند الهياج أنا المسعر[10]

فإن أمس قد لاح فيّ المشيـ # ب أمّ البنين، فقد أذكر

رخاء من العيش كنّا به # إذ الدهر خال لنا مصحر[11]

و إذ أنا في عنفوان الشبا # ب يعجبني اللّهو و السّمّر

[1]يقدعه: يكفه.

[2]ارتحل الرجل البعير: شد عليه الرحل. و الجسرة: الناقة العظيمة الطويلة. و أجفاها: أتعبها و لم يدعها تأكل و لا علفها قبل ذلك، و ذلك إذا ساقها سوقا شديدا.

[3]الديمومة: الفلاة الواسعة.

[4]المفاضة: الدرع الواسعة. و المعفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به.

[5]دارعة القوم: الفرقة اللابسة الدروع.

[6]الجرداء: القصيرة الشعر. و الخيفانة: السريعة. و المجفر: الواسع الجفرة أي الوسط.

[7]اللبان: الصدر أو وسطه.

[8]لا يذيب و لا يخثر: أي متردد متحير، مأخوذ من المثل: «و ما يدري أ يخثر أم يذيب» . و أصله أن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره -أي غليظه- برقيقه فلا يصفو؛ فتبرم بأمرها فلا تدري أتوقد حتى يصفو و تخشى إن أوقدت أن يحترق فتحار.

[9]المحجر (كمجلس و منبر) : لعله يريد به هنا ما حول القرية. و منه محاجر أقيال اليمن و هي الأحماء، كان لكل قيل حمى لا يرعاه غيره؛ على أن يكون المعنى إذا هتف أهل المحجر.

[10]المسعر: موقد نار الحرب كأنه آلة في إيقادها.

[11]المصحر: المتسع الواضح المنكشف.

أصيد الحسان و يصطدنني # و تعجبني الكاعب المعصر[1]

و بيضاء مثل مهاة الكثيـ # ب لا عيب فيها لمن ينظر

كأن مقلّدها إذ بدا # به الدّرّ و الشّذر[2]و الجوهر

مقلّد أدماء نجديّة # يعنّ لها شادن أحور[3]

كأنّ جنى النحل و الزنجبيـ # ل و الفارسيّة[4]إذ تعصر

يصبّ على برد أنيابها # مخالطه المسك و العنبر

/إذا انصرفت و تلوّت بها # رقاق المجاسد[5]و المئزر

و غصّ السّوار و جال الوشاح # على عكن[6]خصرها مضمر

و ضاق عن الساق خلخالها # فكاد مخدّمها يندر[7]

فتور القيام رخيم الكلى # م يفزعها الصوت إذ تزجر

و تنمى إلى حسب شامخ # فليست تكذّب إذ تفخر

فتلك التي شفّني حبّها # و حمّلني فوق ما أقدر

فلا تعذلاني في حبّها # فإنّي بمعذرة أجدر

-و من هاهنا رواية اليزيديّ-:

و قولا لذي طرب عاشق: # أشطّ المزار بمن تذكر؟

بكوفيّة أصلها بالفرا # ت تبدو هنالك أو تحضر[8]

/و أنت تسير إلى مكران # فقد شحط الورد و المصدر

و لم تك من حاجتي مكران # و لا الغزو فيها و لا المتجر

و خبّرت عنها و لم آتها # فما زلت من ذكرها أذعر

بأنّ الكثير بها جائع # و أنّ القليل بها مقتر

و أنّ لحى الناس من حرّها # تطول فتجلم[9]أو تضفر

[1]المعصر من النساء: التي بلغت شبابها أو أدركت؛ و قيل: التي راهقت العشرين.

[2]الشذر: اللؤلؤ الصغير؛ و قيل: خرز يفصل به بين الجواهر في النظم؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة.

[3]الأدماء من الظباء: البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة. و الشادن: ولد الظبية.

[4]الفارسية: الخمر.

[5]المجاسد: الأثواب التي تلي البدن، جمع مجسد (كمنبر) .

[6]العكن: جمع عكنة، و هي ما انطوى و تثني من لحم البطن سمنا.

[7]المخدم: موضع الخلخال. و ندر الشيء يندر ندورا (من باب نصر) : سقط، و في الحديث: «فضرب رأسه فندر» .

[8]بدا: أقام بالبادية. و حضر: أقام بالحضر.

[9]تجلم: تقطع بالجلم، و هو المقص.

و يزعم من جاءها قبلنا # بأنّا سنسهم[1]أو ننحر[2]

أعوذ بربّي من المخزيا # ت فيما أسرّ و ما أجهر

و حدّثت أن ما لنا رجعة # سنين و من بعدها أشهر

إلى ذاك ما شاب أبناؤنا # و باد الأخلاّء و المعشر

و ما كان بي من نشاط لها # و إنّي لذو عدّة موسر

و لكن بعثت لها كارها # و قيل انطلق كالذي يؤمر

فكان النّجاء[3]و لم ألتفت # إليهم و شرّهم منكر

هو السيف جرّد من غمده # فليس عن السيف مستأخر

و كم من أخ لي مستأنس # يظلّ به الدمع يستحسر

يودّعني و انتحت عبرة # له كالجداول أو أغزر

فلست بلاقيه من بعدها # يد الدهر[4]ما هبّت الصّرصر

و قد قيل إنكم عابرو # ن بحرا لها لم يكن يعبر

إلى السّند و الهند في أرضهم # هم الجنّ لكنّهم أنكر

/و ما رام غزوا لها قبلنا # أكابر عاد و لا حمير

و لا رام سابور غزوا لها # و لا الشيخ كسرى و لا قيصر

و من دونها معبر واسع # و أجر عظيم لمن يؤجر

قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي:

و ذكر محمد بن صالح بن النّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه: أن أعشى همدان كان مع خالد بن عتّاب بن ورقاء الرّياحيّ بالرّيّ و دستبي[9]، و كان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة و فارسهم، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقّينه و فيهنّ أمّ ولد له كانت رفيعة القدر عنده، فجعل الناس يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى و هو على فرسه يميل يمينا و يسارا من النّعاس؛ فقالت أمّ ولد خالد بن عتّاب لجواريها: إن امرأة خالد لتفاخرني بأبيها و عمّها و أخيها، و هل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش. و سمعها الأعشى فقال: من هذه؟فقال له بعض الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك و قال لها: إليك عني يا لكعاء؛ ثم أنشأ يقول: [1]سهم الرجل (من بابي قطع و كرم) سهوما و سهومة: تغير لونه و بدنه مع هزال و يبس.

[2]كذا بالأصل. و لعلها مصحفة عن: «ننجر» (بالجيم المعجمة) . و نجر الرجل ينجر (من باب علم) : أصابه عطش شديد.

[3]النجاء: السرعة في السير.

[4]يد الدهر: كناية عن الأبد. يقال: لا أفعل كذا يد الدهر، أي أبدا.

[5]انظر الحاشية رقم 2 ص 34 من هذا الجزء.

و ما يدريك ما فرس جرور[1] # و ما يدريك ما حمل السّلاح

و ما يدريك ما شيخ كبير # عداه الدهر عن سنن المراح

فأقسم لو ركبت الورد يوما # و ليلته إلى وضح الصّباح

إذا لنظرت منك إلى مكان # كسحق[2]البرد أو أثر الجراح

قال: فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى؛ فقالت: و اللّه ما تكرم، و لقد اجترئ عليك[3]!فقال لها: و ما ذاك؟فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصبح، و وصفته له و أنه سبّها؛ فقال: ذلك أعشى همدان؛ فأيّ شيء قال لك؟/فأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟هذه زعمت أنك هجوتها؛ فقال: أساءت سمعا، إنما قلت: مررت بنسوة متعطّرات # كضوء الصبح أو بيض الأداحي[4]

على شقر البغال فصدن قلبي # بحسن الدّلّ و الحدق الملاح

فقلت من الظباء فقلن سرب # بدا لك من ظباء بني رياح

فقالت: لا و اللّه، ما هكذا قال، و أعادت الأبيات؛ فقال له خالد: أما إنّها لو لا أنّها قد ولدت منّي لوهبتها لك، و لكنّي أفتدي جنايتها بمثل ثمنها، فدفعه إليه و قال له: أقسمت عليك يا أبا المصبّح ألاّ تعيد في هذا المعنى شيئا بعد ما فرط منك.

و ذكر هذا الخبر العنزيّ في روايته التي قدّمت ذكرها، و لم يأت به على هذا الشرح.

خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي:

و قال هو و ابن النّطّاح جميعا:

و كان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنّيه إيّاه و يعده به: إن ولّيت عملا كان لك ما دون الناس جميعا، فمتى استعملت فخذ خاتمي و اقض في أمور الناس كيف شئت. قال: فاستعمل خالد على أصبهان و صار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه و تناساه، ففارقه الأعشى و رجع إلى الكوفة و قال فيه: تمنّيني إمارتها تميم # و ما أمّي بأمّ بني تميم

و كان أبو سليمان أخا لي # و لكنّ الشّراك[5]من الأديم

أتينا أصبهان فهزّلتنا # و كنّا قبل ذلك في نعيم

/أتذكرنا و مرّة إذ غزونا # و أنت على بغيلك ذي الوشوم

/و يركب رأسه في كل وحل # و يعثر في الطريق المستقيم

[1]الفرس الجرور: الذي لا ينقاد و لا يكاد يتبع صاحبه.

[2]السحق: الثوب البالي، و يضاف للبيان فيقال: سحق برد و سحق عمامة.

[3]في ب، س: «... و لقد اجترأ» .

[4]الأداحي: جمع أدحية و هي مبيض النعام في الرمل.

[5]الشراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

و ليس عليك إلا طيلسان # نصيبيّ و إلاّ سحق نيم[1]

فقد أصبحت في خزّ و قزّ # تبختر ما ترى لك من حميم

و تحسب أن تلقّاها زمانا # كذبت و ربّ مكة و الحطيم

-هذه رواية ابن النطّاح، و زاد العنزيّ في روايته-:

و كانت أصبهان كخير أرض # لمغترب و صعلوك عديم

و لكنّا أتيناها و فيها # ذو و الأضغان و الحقد القديم

فأنكرت الوجوه و أنكرتني # وجوه ما تخبّر عن كريم

و كان سفاهة منّي و جهلا # مسيري لا أسير إلى حميم

فلو كان ابن عتاب كريما # سما لرواية[2]الأمر الجسيم

و كيف رجاء من غلبت عليه # تنائي الدار كالرّحم العقيم

قال ابن النّطاح: فبعث إليه خالد: من مرّة هذا الذي ادعيت أني و أنت غزونا معه على بغل ذي وشوم؟و متى كان ذلك؟و متى رأيت عليّ الطّيلسان و النّيم اللذين و صفتهما؟فأرسل إليه: هذا كلام أردت[3]وصفك بظاهره، فأمّا تفسيره، فإن مرّة مرارة ثمرة ما غرست عندي من القبيح. و البغل المركب الذي ارتكبته مني لا يزال يعثر بك في كل وعث و جدد و وعر و سهل. و أما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار و الذمّ؛ و إن شئت راجعت الجميل فراجعته لك؛ فقال: لا، بل أراجع الجميل و تراجعه؛ فوصله بمال عظيم و ترضّاه. هكذا روى من قدّمت ذكره.

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعي قال: لما ولي خالد بن عتّاب بن ورقاء أصبهان، خرج إليه أعشى همدان، و كان صديقه و جاره بالكوفة، فلم يجد عنده ما يحبّ؛ و أعطى خالد الناس عطايا فجعله في أقلّها و فضّل عليه آل عطارد؛ فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّة ثم أطلقه؛ فقال يهجوه: و ما كنت ممن ألجأته خصاصة # إليك و لا ممن تغرّ المواعد

و لكنّها الأطماع و هي مذلّة # دنت بي و أنت النازح المتباعد

أ تحبسني في غير شيء و تارة # تلاحظني شزرا و أنفك عاقد[4]

فإنك لا كابني فزارة فاعلمن # خلقت و لم يشبههما لك والد

و لا مدرك ما قد خلا من نداهما # أبوك و لا حوضيهما أنت وارد

و إنك لو ساميت آل عطارد # لبذّتك أعناق لهم و سواعد

[1]النيم: الفرو، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة.

[2]كذا في الأصول. و لعلها: «لذؤابة الأمر الجسيم» . و ذؤابة الشيء: أعلاه. و تستعار للعز و الشرف و علو الرتبة.

[3]في حـ: «وضعك» .

[4]يريد أنه غضبان معرض عنه. ـ

و هل أنت إلا ثعلب في ديارهم # تشلّ[1]-فتعسا-أو يقودك قائد

أرى خالدا يختال مشيا كأنه # من الكبرياء نهشل أو عطارد[2]

/و ما كان يربوع شبيها لدارم # و ما عدلت شمس النهار الفراقد

مدح ابن الأشعث و حرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج:

قالوا: و لما خرج ابن الأشعث على الحجّاج بن يوسف حشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم و قرّائهم أحد له نباهة إلّا خرج معه لثقل وطأة الحجّاج عليهم. فكان عامر الشّعبيّ و أعشى همدان ممّن خرج معه، و خرج أحمد النّصبي[3]أبو أسامة/الهمداني المغنّي مع الأعشى لالفته إياه، و جعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، و لا يزال يحرّض أهل الكوفة بأشعاره على القتال، و كان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه: يأبى الإله و عزة ابن محمد # و جدود ملك قبل آل ثمود

أن تأنسوا بمذمّمين، عروقهم # في الناس إن نسبوا عروق عبيد

كم من أب لك كان يعقد تاجه # بجبين أبلج مقول صنديد

و إذا سألت: المجد أين محلّه # فالمجد بين محمد و سعيد

بين الأشجّ و بين قيس باذخ # بخ بخ لوالده و للمولود

ما قصّرت بك أن تنال مدى العلا # أخلاق مكرمة و إرث جدود

قرم[4]إذا سامى القروم ترى له # أعراق مجد طارف و تليد

و إذا دعا لعظيمة حشدت له # همدان تحت لوائه المعقود

يمشون في حلق الحديد كأنهم # أسد الإباء سمعن زأر أسود

و إذا دعوت بآل كندة أجفلوا # بكهول صدق سيّد و مسود

و شباب مأسدة كأنّ سيوفهم # في كلّ ملحمة بروق رعود

ما إن ترى قيسا يقارب قيسكم # في المكرمات و لا ترى كسعيد

طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعرا:

و قال حمّاد الراوية في خبره: كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقف محمودة و بلاء حسن و آثار مشهورة؛ و كان الأعشى من أخواله، لأن أمّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمّ عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني. قال: فلما صار ابن الأشعث إلى سجستان جبى مالا كثيرا، فسأله

أعشى همدان أن يعطيه منه زيادة على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى في ذلك: [1]تشل: تطرد.

[2]نهشل و عطارد: قبيلتان من العرب ينتسبان إلى دارم بن مالك بن حنظلة. و خالد-المقصود في الشعر هنا-من رياح و رياح من دارم.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «النصيبي» و هو تحريف.

[4]القرم: السيد العظيم.

هل تعرف الدار عفا رسمها # بالحضر[1]فالروضة من آمد[2]

دار لخود طفلة رودة # بانت فأمسى حبّها عامدي[3]

بيضاء مثل الشمس رقراقة # تبسم عن ذي أشر[4]بارد

لم يخط[5]قلبي سهمها إذ رمت # يا عجبا من سهمها القاصد

يا أيها القرم الهجان[6]الذي # يبطش بطش الأسد اللاّبد

و الفاعل الفعل الشريف الذي # ينمى إلى الغائب و الشاهد

كم قد أسدّي لك من مدحة # تروى مع الصادر و الوارد

و كم أجبنا لك من دعوة # فاعرف فما العارف كالجاحد

نحن حميناك و ما تحتمي # في الرّوع من مثنّى و لا واحد

/يوم انتصرنا لك من عابد # و يوم أنجيناك من خالد

و وقعة الرّيّ التي نلتها # بجحفل من جمعنا عاقد

و كم لقينا لك من واتر # يصرف نابي حنق حارد[7]

ثم وطئناه بأقدامنا # و كان مثل الحيّة الراصد

إلى بلاء حسن قد مضى # و أنت في ذلك كالزاهد

فاذكر أيادينا و آلاءنا # بعودة من حلمك الراشد

/و يوم الأهواز فلا تنسه # ليس النّثا[8]و القول بالبائد

إنا لنرجوك كما نرتجي # صوب الغمام المبرق الراعد

فانفح بكفّيك و ما ضمّتا # و افعل فعال السّيّد الماجد

ما لك لا تعطي و أنت امرؤ # مثر من الطارف و التالد

تجبي سجستان و ما حولها # متكئا في عيشك الراغد

[1]الحضر: مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها و بين الموصل و الفرات.

[2]آمد: أعظم مدن ديار بكر، و هي قديمة حصينة مبنية بالحجارة السوداء و على نشز، و يحيط دجلة بأكثرها، و في وسطها عيون و آبار قريبة يتناول ماؤها باليد، و فيها بساتين.

[3]الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصفا. و الطفلة: الرخصة الناعمة. و الرودة: الشابة الحسنة. و عامدي: مضني و مهلكي.

[4]الأشر: التحزيز الذي يكون في الأسنان، يكون خلقة و مصنوعا.

[5]أصلها: «لم يخطئ» فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء.

[6]الهجان: الخالص و خيار كل شيء.

[7]صرف نابه و بنابه: حرقه فسمع له صوت. و الحارد: الغاضب.

[8]كذا في حـ. و النثا (بالتحريك و القصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّئ. و في سائر الأصول: «الثنا» (بثاء مثلثة بعدها نون) .

لا ترهب الدهر و أيامه # و تجرد[1]الأرض مع الجارد
إن يك مكروه تهجنا له # و أنت في المعروف كالراقد
ثم ترى أنّا سنرضى بذا # كلاّ و ربّ الراكع السّاجد
و حرمة البيت و أستاره # و من به من ناسك عابد
تلك لكم أمنيّة باطل # و غفوة من حلم الراقد
ما أنا إن هاجك من بعدها # هيج بآتيك و لا كابد
و لا إذا ناطوك[2]في حلقة # بحامل عنك و لا فاقد
فأعط ما أعطيته طيّبا # لا خير في المنكود و الناكد[3]
نحن ولدناك فلا تجفنا # و اللّه قد وصّاك بالوالد
إن تك من كندة في بيتها # فإنّ أخوالك من حاشد[4]
شمّ العرانين و أهل الندى # و منتهى الضّيفان و الرائد
كم فيهم من فارس معلم # وسائس للجيش أو قائد
/و راكب للهول يجتابه # مثل شهاب القبس الواقد
أو ملأ يشفى بأحلامهم # من سفه الجاهل و المارد[5]
لم يجعل اللّه بأحسابنا # نقصا و ما الناقص كالزائد
و ربّ خال لك، في قومه # فرع طويل الباع و الساعد
يحتضر البأس و ما يبتغى # سوى إسار البطل الناجد[6]
و الطعن بالراية مستمكنا # في الصفّ ذي العادية الناهد[7]
فارتج لأخوالك و اذكرهم # و ارحمهم للسّلف العائد
فإنّ أخوالك لم يبرحوا # يربون بالرّفد على الرّافد
/لم يبخلوا يوما و لم يجبنوا # في السّلف الغازي و لا القاعد
و ربّ خال لك في قومه # حمّال أثقال لها واجد
معترف للرزء في ماله # و الحقّ للسائل و العامد

[1]جرد الأرض: جعلها جرداء.

[2]ناطه: علقه.

[3]المنكود: الذي يلح عليه في المسألة. و الناكد: الملح.

[4]حاشد: حي من همدان.

[5]المارد: العاتي و الباغي.

[6]في ب، س: «الماجد» .

[7]الناهد: الأسد.

مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبي، و أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ، و ذكره العنزيّ عن أصحابه، قالوا جميعا: خرج أعشى همدان إلى الشأم في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظّا؛ فجاء إلى النعمان بن بشير و هو عامل على حمص، فشكا إليه حاله؛ فكلّم له النعمان بن بشير اليمانية و قال لهم: هذا شاعر اليمن و لسانها، و استماحهم له؛ فقالوا: نعم، /يعطيه كلّ رجل منا دينارين من عطائه؛ فقال: لا، بل أعطوه دينارا دينارا و اجعلوا ذلك معجّلا؛ فقالوا: أعطه إيّاه من بيت المال و احتسبها على كلّ رجل من عطائه؛ ففعل النّعمان-و كانوا عشرين ألفا-فأعطاه عشرين ألف دينار و ارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان: و لم أر للحاجات عند التماسها # كنعمان نعمان النّدى ابن بشير

إذا قال أوفى ما يقول و لم يكن # كمدل إلى الأقوام حبل غرور

متى أكفر النعمان لم ألف شاكرا # و ما خير من لا يقتدي بشكور

فلو لا أخو الأنصار كنت كنازل # ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير[1]

شعره في حرب نصيبين بين المهلب و يزيد بن أبي صخر:

و قال الهيثم بن عديّ في خبره: حاصر المهلّب بن أبي صفرة نصيبين، و فيها أبو قارب يزيد بن أبي صخر و معه الخشبيّة[2]؛ فقال المهلّب: يا أيها الناس، لا يهولنّكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصيّ. فحمل عليهم المهلّب و أصحابه فلقوهم بالعصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. فدسّ المهلّب رجلا من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله، و جعل له على ذلك جعلا سنيّا-قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي و وعده بمثلها إذا عاد-فاندسّ له العبديّ فاغتاله فقتله و قتل بعده. فقال أعشى همدان في ذلك: يسمّون أصحاب العصيّ و ما أرى # مع القوم إلا المشرفيّة من عصا

ألا أيّها اللّيث الذي جاء حاذرا[3] # و ألقى بنا جرمى[4]الخيام و عرّصا

/أ تحسب غزو الشأم يوما و حربه # كبيض ينظّمن الجمان المفصصا

و سيرك بالأهواز إذ أنت آمن # و شربك ألبان الخلايا[5]المقرّصا

فأقسمت لا تجبي لك الدهر درهما # نصيبون حتّى تبتلى و تمحّصا

[1]النقير: النكتة في ظهر النواة.

[2]الخشبية: أتباع المختار بن أبي عبيد.

[3]حاذرا: متأهبا مستعدا.

[4]كذا في حـ. و في ب، س:

«و ألقى بنا جرم»

. و في أ، ء:

«و ألقى بنا جرى»

. و الظاهر من السياق أنه اسم موضع. و لم نوفق في المظان التي بين أيدينا إلى وجه الصواب فيه.

[5]الخلايا: الإبل المخلاة للحلب، الواحدة خلية. و المقرص: اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصا أي حامضا. و المقارص: الأوعية التي يقرّص فيها اللبن.

و لا أنت من أثوابها الخضر لابس # و لكنّ خشبانا شدادا و مشقصا[1]

فكم ردّ من ذي حاجة لا ينالها # جديع العتيك ردّه اللّه أبرصا

و شيّد بنيانا و ظاهر كسوة # و طال جديع بعد ما كان أوقصا

[تصغير جدع[2]جديع بالدال غير معجمة]. و الأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جزلة، هكذا رواه الكوفيون، و هو الصحيح. و ذكر الأصمعي أنها خولة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

طلق زوجته أم الجلال و تزوّج غيرها و شعره في ذلك:

فذكر العنزيّ في أخبار الأعشى المتقدّم إسنادها: أنها كانت عند الأعشى امرأة من قومه يقال لها أمّ الجلال[3]، فطالت مدتها معه و أبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جزلة-و قال الأصمعي: خولة- فقالت له: لا، حتى تطلّق أمّ الجلال؛ فطلّقها؛ و قال في ذلك: تقادم ودّك أمّ الجلال # فطاشت نبالك عند[4]النّضال

و طال لزومك لي حقبة # فرثّت قوى الحبل بعد الوصال

و كان الفؤاد بها معجبا # فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي

/صحا لا مسيئا و لا ظالما # و لكن سلا سلوة في جمال

و رضت خلائفنا كلّها # و رضنا خلائقكم كلّ حال

فأعييتنا في الذي بيننا # تسومينني كلّ أمر عضال

و قد تأمرين بقطع الصديق # و كان الصديق لنا غير قالي

و إتيان ما قد تجنّبته # وليدا و لمت عليه رجالي

أ فاليوم أركبه بعد ما # علا الشّيب منّي صميم القذال[5]

لعمر أبيك لقد خلتني # ضعيف القوى أو شديد المحال

هلمّي اسألي نائلا فانظري # أ أحرمك الخير عند السؤال

أ لم تعلمي أنّني معرق # نماني إلى المجد عمّي و خالي

و أنّي إذا ساءني منزل # عزمت فأوشكت منه ارتحالي

فبعض العتاب، فلا تهلكي # فلا لك في ذاك خير و لا لي

[1]المشقص: نصل عريض، و قيل: سهم فيه ذلك يرمى به الوحش.

[2]هذه الجملة ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب، س.

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول هنا و فيما سيأتي: أم الحلال (بالحاء المهملة) .

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «بعد النصال» .

[5]القذال: جماع مؤخر الرأس، أو هو ما بين نفرة القفا إلى الأذن.

فلما بدا لي منها البذا # ء صبّحتها بثلاث عجال

ثلاثا خرجن جميعا بها # فخلّينها ذات بيت و مال

إلى أهلها غير مخلوعة # و ما مسّها عندنا من نكال

فأمست تحنّ حنين اللّقا # ح من جزع إثر من لا يبالي

فحنّي حنينك و استيقني # بأنا اطّرحناك ذات الشمال

و أن لا رجوع فلا تكذبيـ # ن ما حنّت النّيب إثر الفصال

و لا تحسبيني بأنّي ندمـ # ت كلاّ و خالقنا ذي الجلال

فقالت له أمّ الجلال: بئس و اللّه بعل الحرّة و قرين الزوجة المسلمة أنت!ويحك!أعددت طول الصحبة و الحرمة ذنبا تسبّني و تهجوني به!ثم دعت عليه أن يبغّضه/اللّه إلى زوجته التي اختارها، و فارقته. فلما انتقلت إلى أهلها؛ و صارت جزلة إليه، و دخل بها لم يحظ عندها، ففركته[1]و تنكّرت له و اشتدّ شغفه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها: /

حيّيا جزلة منّي بالسّلام # درّة البحر و مصباح الظلام

لا تصدّي بعد ودّ ثابت # و اسمعي يا أمّ عيسى من كلامي[2]

إن تدومي لي فوصلي دائم # أو تهمّي لي بهجر أو صرام

أو تكوني مثل برق خلّب # خادع يلمع في عرض الغمام

أو كتخييل سراب معرض # بفلاة أو طروق في المنام

فاعلمي إن كنت لمّا تعلمي # و متى ما تفعلي ذاك تلامي

بعد ما كان الذي كان فلا # تتبعي الإحسان إلا بالتمام

لا تناسي كلّ ما أعطيتني # من عهود و مواثيق عظام

و اذكري الوعد الذي واعدتني # ليلة النّصف من الشهر الحرام

فلئن بدّلت أو خست بنا # و تجرّأت على أمّ صمام[3]

[أم صمام: الغدر و الحنث][4]:

لا تبالين إذا من بعدها # أبدا ترك صلاة أو صيام

[1]فركته: أبغضته.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «من كلام» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في م:

«على أمر صمام»

. و لعل هذا أقرب إلى الصواب، إذ لم نجد في المظان ما يؤيد ما ورد في أكثر الأصول، على أن يكون المعنى: على أمر شديد، و يكون التفسير الذي ورد في ب، س: بأنه الغدر و الحنث تفسيرا بالمراد.

و صمام (وزان قطام) : الداهية الشديدة.

[4]زيادة عن ب، س.

راجعي الوصل و ردّي نظرة # لا تلجّي[1]في طماح و أثام

/و إذا أنكرت منّي شيمة # و لقد ينكر[2]ما ليس بذام

فاذكريها لي أزل عنها و لا # تسفحي عينيك بالدمع السّجام

و أرى حبلك رثّا خلقا # و حبالي جددا غير رمام[3]

عجبت جزلة منّي أن رأت # لمّتي حفّت بشيب كالثّغام[4]

و رأت جسمي علاه كبرة # و صروف الدهر قد أبلت عظامي

و صليت الحرب حتى تركت # جسدي نضوا كأشلاء اللّجام[5]

و هي بيضاء على منكبها # قطط جعد و ميّال سخام[6]

و إذا تضحك تبدي حببا # كرضاب المسك في الرّاح المدام

كملت ما بين قرن فإلى # موضع الخلخال منها و الخدام[7]

فأراها اليوم لي قد أحدثت # خلقا ليس على العهد القدام

تمثل الشعبي بشعر له فخربه على البصريين في حضرة الأحنف:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعيد الكراني قال حدّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن مجالد عن الشّعبيّ: أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل الكوفة و أهل البصرة و فاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: و هل أهل الكوفة إلا خولنا؟استنقذناهم من عبيدهم! (يعني الخوارج) . قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلت قول أعشى همدان: /

أ فخرتم أن قتلتم أعبدا # و هزمتم مرّة آل عزل[8]

نحن سقناهم إليكم عنوة # و جمعنا أمركم بعد فشل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا # ما فعلنا بكم يوم الجمل

/بين شيخ خاضب عثنونه # و فتى أبيض وضّاح رفل[9]

جاءنا يرفل في سابغة # فذبحناه ضحّى ذبح الحمل

و عفونا فنسيتم عفونا # و كفرتم نعمة اللّه الأجلّ

[1]لا تلجى (من بابي ضرب و علم) : لا تتمادى. و في الأصول: «لا تلحى» بالحاء المهملة.

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و لقد أنكرت» .

[3]حبل رمام: بال.

[4]الثغام: نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس فيشبه به الشيب.

[5]النضو: المهزول. و أشلاء اللجام: حدائده بلا سيور.

[6]القطط: الشعر القصير. و السخام: الشعر اللين الحسن. و في هذا البيت إقواء، و هو اختلاف حركة الرويّ.

[7]كذا في الأصول. و الخدام: الخلاخيل، واحده خدمة (بالتحريك) . و في ب، س: «الحزام» .

[8]العزل: الاعتزال و التنحي. و يريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين.

[9]العثنون: اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين. و الرفل من الناس: الطويل الذيل.

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبيّ و صدق و انتصف، فأحسنوا مجالسته.

شعر له في هزيمة الزبير الخثعميّ بجلولاء:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أبي محلّم[1]عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال: بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعميّ إلى الريّ؛ فلقيه الخوارج بجلولاء[2]، فقتلوا جيشه و هزموه و أبادوا[3]عسكره، و كان معه أعشى همدان، فقال في ذلك: /

أمّرت خثعم على غير خير # ثم أوصاهم الأمير بسير

أين ما كنتم تعيفون للنا # س و ما تزجرون من كل طير

ضلّت الطير عنكم بجلولا # ء و غرّتكم أماني الزّبير

قدر ما أتيح لي من فلسطيـ # ـن على فالج[4]ثقال[5]و عير

خثعميّ مغصّص جزجمانـ # ـيّ محلّ غزا مع ابن نمير[6]

مدح الأصمعي شعره و فضله:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال:

سألت الأصمعيّ عن أعشى همدان فقال: هو من الفحول و هو إسلامي كثير الشعر؛ ثم قال لي: العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال: من دعا لي غزيّلي # أربح اللّه تجارته

ثم قال: سبحان اللّه!أمثل هذا يجوز على الأعشى؟أن يجزم اسم اللّه عزّ و جلّ و يرفع تجارته و هو نصب. ثم قال لي خلف الأحمر: و اللّه لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظنّ أن هذا يقبل منه و أن له من المحل مثل أن يجوّز مثل هذا. قال ثم قال: و مع ذلك أيضا إن قوله: من دعا لي غزيّلي

[1]هو أبو محلم الشيباني. و اسمه محمد بن سعد، و يقال محمد بن هشام بن عوف السعدي. و كان يسمى محمدا و أحمد. أعرابي، أعلم الناس بالشعر و اللغة، و كان يغلظ طبعه و يفخم كلامه و يعرب منطقه. و قال ابن السكيت: أصل أبي محلم من الفرس و مولده بفارس، و إنما انتسب إلى أبي سعد. و قال مؤرج: كان أبو محلم أحفظ الناس، استعار مني جزءا و رده من الغد و قد حفظه في ليلة، و كان مقداره نحو خمسين ورقة. و قال

أبو محلم: ولدت في السنة التي حج فيها المنصور. و توفي سنة ثمان و أربعين و مائتين. و له من الكتب «كتاب الأنواء» ، و «كتاب الخيل» ، و «كتاب خلق الإنسان» (راجع «كتاب الفهرست» ص 46 طبع أوروبا) .

[2]جلولاء (بالمد) : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها و بين خانقين سبعة فراسخ. و بها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة 16 هـ فاستباحهم المسلمون، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون.

[3]في حـ: «و أبا حوا» .

[4]الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة.

[5]كذا في ب، س، حـ و الثقال (بالفتح و بالضم) : الثقيل. و في سائر الأصول: «ثفال» (بالفاء) ، و الثفال (بالفتح) : البطيء من الدواب و الناس.

[6]ورد هذا البيت هكذا بالأصول.

لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيّلي، و من دعا لبعير ضال.

مدح خالد بن عتاب فأجازه:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق و محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا[1]حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال: /أملق أعشى همدان فأتى خالد بن عتّاب بن ورقاء فأنشده: رأيت ثناء الناس بالقول طيبا # عليك و قالوا ماجد و ابن ماجد

بني الحارث السامين للمجد، إنكم # بنيتم بناء ذكره غير بائد

هنيئا لما أعطاكم اللّه و اعلموا # بأني سأطري خالدا في القصائد

فإن يك عتّاب مضى لسبيله # فما مات من يبقى له مثل خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم.

أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا أبو غسّان[قال][2]: قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربريّ-و دخل عليه-: أنشدني يا سابق شيئا من شعرك تذكّرني به؛ فقال: أو خيرا من شعري؟فقال: هات؛ قال قال أعشى همدان: و بينما المرء أمسى ناعما جذلا # في أهله معجبا بالعيش ذا أنق[3]

/غرّا، أتيح له من حينه عرض # فما تلبّث حتى مات كالصّعق

ثمّت أضحى ضحى من غبّ ثالثة # مقنّعا غير ذي روح و لا رمق

يبكى عليه و أدنوه لمظلمة # تعلى جوانبها بالتّرب و الفلق[4]

فما تزوّد ممّا كان يجمعه # إلاّ حنوطا[5]و ما واراه من خرق

و غير نفحة أعواد تشبّ له # و قلّ ذلك من زاد لمنطلق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته.

هجا شجرة العيسي بشعر أجازه عليه الحجاج:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن أبي[6]طالب الدينارىّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: [1]في جميع الأصول: «قال» ، و هو تحريف.

[2]زيادة عن أ، ء، م.

[3]الأنق (محركة) : الفرح و السرور.

[4]في جميع الأصول: «القلق» (بالقاف) و هو تصحيف.

[5]الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة.

[6]كلمة: «أبى» ساقطة في جميع الأصول. راجع الحاشية رقم 2 ص 319 من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبسيّ حاجة فردّه عنها، فقال يهجوه: لقد كنت خيّاطا فأصبحت فارسا # تعدّ إذا عدّ الفوارس من مضر

فإن كنت قد أنكرت هذا فقل كذا # و بيّن لي الجرح الذي كان قد دثر[1]

و إصبعك الوسطى عليه شهيدة # و ما ذاك إلا وخزها[2]الثوب بالإبر

قال و كان يقال: إن شجرة كان خيّاطا، و قد كان ولي للحجّاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجّاج قال له: يا شجرة، أرني إصبعك أنظر إليها؛ قال: أصلح اللّه الأمير، و ما تصنع بها؟قال: أنظر إلى صفة الأعشى؛ فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مر المعطي أن يعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا و كذا. يا شجرة، إذا أتاك امرؤ ذو حسب و لسان فاشتر عرضك منه.

أسبره الحجاج و ذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثنا أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة-قال المبرّد: أحسب أن أحدهم مؤرّج بن عمرو السّدوسيّ-قالوا: لما أتي الحجاج بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيرا، قال: الحمد للّه الذي أمكن منك، أ لست القائل: /

لمّا سفونا[3]للكفور الفتّان # بالسيّد الغطريف عبد الرحمن[4]

سار بجمع كالقطا[5]من قحطان # و من معدّ قد أتى ابن عدنان

أمكن ربّي من ثقيف همدان # يوما إلى الليل يسلّي ما كان

إنّ ثقيفا منهم الكذّابان # كذّابها الماضي و كذاب ثان

أ و لست القائل:

يا ابن الأشجّ[6]قريع كنـ # دة لا أبالي فيك عتبا

أنت الرئيس ابن الرئيـ # س و أنت أعلى الناس كعبا

نبّئت حجّاج بن يو # سف خرّ من زلق فتبّا

فانهض فديت لعلّه # يجلو بك الرحمن كربا

و ابعث عطيّة[7]في الخيو # ل يكبّهنّ عليه كبّا

[1]في ب، س: «دبر» . و هو تصحيف.

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «وخزك » .

[3]كذا في أكثر الأصول. و سفا: خف و أسرع. و في ب، س: «سمونا» .

[4]ورد هذا الشعر في «الطبري» (ق 2 ص 1056) على غير هذا الترتيب و بزيادات كثيرة.

[5]في «الطبري» : «كالدبى» و الدبى: الجراد.

[6]الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن بن محمد المعني في هذا الشعر. و القريع: السيد.

[7]هو عطية بن عمرو العنبري، و كان على مقدّمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق. و قد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطية لا يلقى خيلا إلا هزمها. فقال الحجاج من هذا؟فقيل عطية. فذلك قول الأعشى: و ابعث عطية... إلخ. ـ

كلاّ يا عدوّ اللّه، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زلق فتبّ، و حار و انكبّ، و ما/لقي ما أحب؛ و رفع بها صوته و اربدّ وجهه و اهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمّته نفسه و ارتعدت فرائصه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير: /

أبى اللّه إلا أن يتم نوره # و يطفئ نار الفاسقين فتخمدا

و ينزل ذلاّ بالعراق و أهله # كما نقضوا[1]العهد الوثيق المؤكّدا

و ما لبث الحجاج أن سلّ سيفه # علينا فولّى جمعنا و تبدّدا

و ما زاحف الحجاج إلا رأيته # حساما ملقّى للحروب معوّدا

فكيف رأيت اللّه فرّق جمعهم # و مزّقهم عرض البلاد و شرّدا

بما نكثوا من بيعة بعد بيعة # إذا ضمنوها اليوم خاسوا[2]بها غدا

و ما أحدثوا من بدعة و عظيمة # من القول لم تصعد إلى اللّه مصعدا

و لمّا دلفنا لابن يوسف ضلّة[3] # و أبرق منا العارضان و أرعدا

قطعنا إليه الخندقين و إنما # قطعنا و أفضينا إلى الموت مرصدا[4]

فصادمنا الحجاج دون صفوفنا # كفاحا و لم يضرب لذلك موعدا

بجند أمير المؤمنين و خيله # و سلطانه أمسى معانا مؤيّدا

ليهنئ أمير المؤمنين ظهوره # على أمة كانوا بغاة و حسّدا

وجدنا بني مروان خير أئمة # و أعظم هذا الخلق حلما و سؤددا

و خير قريش في قريش أرومة # و أكرمهم إلاّ النبيّ محمدا

إذا ما تدبّرنا عواقب أمرنا # وجدنا أمير المؤمنين المسدّدا

سيغلب قوما[5]غالبوا اللّه جهرة[6] # و إن كايدوه كان أقوى و أكيدا

كذاك يضلّ اللّه من كان قلبه # ضعيفا و من والى النفاق و ألحدا

/فقد تركوا الأموال و الأهل خلفهم # و بيضا عليهن الجلابيب خرّدا[7]

يناديهم مستعبرات إليهم # و يذرين دمعا في الخدود و إثمدا

[1]في «الطبري» (ق 2 ص 1114) : «لما نقضوا» . و فيه رواية أخرى في بعض نسخة أشير إليها في هامشه و هي: «بما نقضوا» .

[2]خاس: غدر و نكث.

[3]الضلة (بالكسر) : ضد الهدى.

[4]مرصدا: مترقبا.

[5]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «قوم» .

[6]كذا في «الطبري» . و في م: «حيلة» . و في سائر الأصول: «جهلة» .

[7]الخرد: جمع خريدة، و هو جمع نادر، لأن فعيلة لا تجمع على فعل، بل القياس: خرائد و خرد (بضمتين) . و الخريدة من النساء البكر التي لم تمسس قط؛ و قيل: هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار و لم تعنس.

و إلا تناولهنّ منك برحمة # يكن سبايا و البعولة أعبدا

تعطّف أمير المؤمنين عليهم # فقد تركوا أمر السفاهة و الرّدى

لعلهم أن يحدثوا العام توبة # و تعرف نصحا منهم و تودّدا

لقد شمت[1]يا ابن الأشعث العام مصرنا # فظلّوا و ما لاقوا من الطير أسعدا

كما شاءم اللّه النّجير[2]و أهله # بجدّك من قد كان أشقى و أنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلّ سبيله؛ فقال: أ تظنون أنه أراد المدح!لا و اللّه! لكنه قال هذا أسفا لغلبتكم إياه و أراد به أن يحرّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أ ظننت يا عدوّ اللّه أنك تخدعني بهذا الشعر و تنفلت من يدي حتى تنجو!أ لست القائل!ويحك!.

و إذا سألت: المجد أين محلّه # فالمجد بين محمد و سعيد

/بين الأغرّ و بين قيس باذخ # بخ بخ لوالده و للمولود

/و اللّه لا تبخبخ بعدها أبدا. أ و لست القائل:

و أصابني قوم و كنت أصيبهم # فاليوم أصبر للزمان و أعرف!

كذبت و اللّه، ما كنت صبورا و لا عروفا. ثم قلت بعده:

و إذا تصبك من الحوادث نكبة # فاصبر فكل غيابة ستكشّف

أما و اللّه لتكوننّ نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبدا!يا حرسيّ، اضرب عنقه؛ فضرب عنقه.

و ذكر مؤرّج السّدوسيّ أن الأعشى كان شديد التحريض على الحجّاج في تلك الحروب، فجال أهل العراق جولة ثم عادوا، فنزل عن سرجه و نزعه عن فرسه، و نزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث و الناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكرتم ما صنعت!قالوا: أ و ليس هذا موضع نكير؟قال: لا، كلّكم قد سلح في سرجه و درعه خوفا و فرقا، و لكنكم سترتموه و أظهرته؛ فحمي القوم و قاتلوا أشدّ قتال يومهم إلى الليل، و شاعت فيهم الجراح و القتلى، و انهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد و قد نكأتهم[3]الحرب؛ و جاء مدد من أهل الشأم؛ فباكروهم القتال و هم مستريحون فكانت الهزيمة و قتل ابن الأشعث. و قد حكيت هذه الحكاية عن أبي كلدة[4]اليشكريّ أنه فعلها في هذه الوقعة، و ذكر ذلك أبو عمرو الشّيباني في أخبار أبي كلدة[4]، و قد ذكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب.

[1]رواية هذا البيت في الطبري هكذا:

لقد شأم المصرين فرخ محمد # بحق و ما لاقى من الطير أسعدا

و لعل رواية الأصل كانت: «لقد شأمت» فسهلت الهمزة ثم حذفت. يقال: شأم فلان أصحابه يشأمهم إذا أصابهم شؤم من قبله.

[2]النجير: حصن باليمن قرب حضر موت منيع، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي اللّه عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة و قتل من فيه و أسر الأشعث بن قيس و ذلك في سنة 12 للهجرة (راجع «معجم البلدان» لياقوت) .

[3]نكأ (بالهمز) لغة في نكى بمعنى أثخن و أكثر الجرح و القتل.

[4]في جميع الأصول هنا: «ابن حلزة» و هو تحريف. و قد وردت هذه القصة في أخبار أبي كلدة اليشكري في الجزء العاشر من «الأغاني» (ص 110-120) طبع بولاق. و قد ذكر أبو كلدة هذا في «الشعر و الشعراء» و «الطبري» باسم: أبي جلدة (بالجيم) و ذكره «اللسان» في مادة: كلد (بالكاف) كما في «الأغاني» .

5-أخبار أحمد النّصبي و نسبه

نسبه، و هو مغن طنبوري كان ينادم عبيد اللّه بن زياد:

النّصبيّ هو صاحب الأنصاب. و أوّل من غنّى بها و عنه أخذ النّصب[1]في الغناء هو أحمد بن أسامة الهمداني، من رهط الأعشى الأدنين. و لم أجد نسبه متّصلا فأذكره. و كان يغني بالطّنبور في الإسلام. و كان، فيما يقال، ينادم عبيد اللّه بن زياد سرّا و يغنّيه. و له صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطّنبوريّين و لا كثير ممّن يغنّي بالعود.

حديث جحظة عنه:

و ذكره جحظة في كتاب الطّنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره و لا زمانه، و ثلبه فيما ذكره.

و كان مذهبه-عفا اللّه عنا و عنه-في هذا الكتاب أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدر عليه، و كان يجب عليه ضدّ هذا، لأن من انتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدّمي أهلها، كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم و ظريف قصصهم و مليح ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم و ما يعلم. فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النّصبي، و به صدّر كتابه فقال: أحمد النّصبي أوّل من غنّى الأنصاب على الطنبور و أظهرها و سيّرها؛ و لم يخدم خليفة و لا كان له شعر و لا أدب.

كان بخيلا مرابيا و مات بفالوذجة حارة:

و حدّثني جماعة من الكوفيّين أنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره، و أنه[2]كان يقرض الناس بالرّبا[3]، و أنه اغتصّ في دعوة دعي إليها بفالوذجة حارّة فبلعها فجمعت/أحشاءه فمات. و هذا كلّه/باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول و خفيف الثقيل و الثقيل الثاني، ليس لكثير[4]أحد مثلها. منها الصوت الذي تقدّم ذكره و هو قوله: حيّيا خولة منّي بالسلام

و منها:

سلبت الجواري حليهنّ فلم تدع # سوارا و لا طوقا على النحر مذهبا

[1]النصب: ضرب من الغناء أرق من الحداء.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «مع أنه كان... إلخ» .

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «بعينة» و العينة (بالكسر) : الربا.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «لكبير» و هو تصحيف.

و هو من الثقيل الثاني، و الشعر للعديل بن الفرخ[1]، و قد ذكرت ذلك في أخباره[2].

و منها:

يا أيها القلب المطيع الهوى # أنّى اعتراك الطّرب النازح

و هو أيضا من الثقيل الثاني، و أصوات[3]كثيرة نادرة تدل على تقدمه.

و أما ما وصفه من بخله و قرضه للناس بالرّبا و موته من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري من من الكوفيين حدّثه بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذبا، أو نحل هو هذه الحكاية و وضعها هنا، لأن أحمد النّصبي خرج مع أعشى همدان و كان قرابته و إلفه في عسكر ابن الأشعث، فقتل فيمن قتل. روى ذلك الثّقات من أهل الكوفة و العلم بأخبار الناس، و ذلك يذكر في جملة أخباره.

اتصاله بأعشى همدان و غناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه:

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر و الحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و ذكره العنزي في أخبار أعشى همدان المذكورة عنه عن رجاله المسمّين قال: كان أحمد النّصبي مواخيا لأعشى همدان مواصلا له، فأكثر غنائه في أشعاره مثل صنعته في شعره: حيّيا خولة منّي بالسلام

و

لمن الظّعائن سيرهن ترجّف

و

يا أيها القلب المطيع الهوى

و هذه الأصوات قلائد صنعته و غرر أغانيه. قال: و كان سبب قوله الشعر في سليم بن صالح بن سعد بن جابر العنبريّ-و كان منزل سليم ساباط[4]المدائن-أن أعشى همّدان و أحمد النّصبيّ خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قراهما و أمر لدوابّهما بعلوفة[5]و قضيم[6]، و أقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنعما به و طلباه فوضعه بين أيديهما و جلسا يشربان؛ فقال أحمد النّصبي للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه به حتى أغنّي فيه؛ فقال

الأعشى يمدحه: [1]كذا في حـ و «الشعر و الشعراء» (ص 244) و «خزانة الأدب» (حـ 2 ص 368) ، و هو العديل بن الفرخ (بضم الفاء و سكون الراء و خاء معجمة) شاعر إسلامي في الدولة المروانية، و لقبه: العباب (بفتح العين المهملة و تشديد الموحدة الأولى) ، و العباب: اسم كلبه. و في سائر الأصول: «للعديل بن الفرج» (بالجيم) و هو تصحيف.

[2]تقع أخباره في (حـ 20 ص 11-19 طبع بولاق) .

[3]في م، س: «و ذكرت أصوات... إلخ» .

[4]ساباط: موضع بالمدائن لكسرى أبرويز، و هو معرب: «بلاس أباد» ، و بلاس: اسم رجل. و قد ذكره الأعشى في شعر له-يذكر النعمان بن المنذر و كان أبرويز قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة-منه: فذاك و ما أنجى من الموت ربه # بساباط حتى مات و هو محرزق

(الحرزقة: التضييق) .

[5]العلوفة (بالضم كما في «شرح القاموس») : جمع علف، و هو ما تطعمه الدواب.

[6]كذا في حـ. و القضيم: شعير الدابة. و في سائر الأصول: «قضم» . و القضم (بضمتين) جمع قضيم بمعنى الأديم، و اسم الجمع: «قضم» (بفتحتين) عند سيبويه و قيل هو جمع أيضا، و لم تنص كتب اللغة على جمع للقضيم بمعنى الشعير.

يا أيها القلب المطيع الهوى # أنّى اعتراك الطّرب النازح

تذكر جملا فإذا ما نأت # طار شعاعا قلبك الطامح

هلاّ تناهيت و كنت امرأ # يزجرك المرشد و النّاصح

مالك لا تترك جهل الصّبا # و قد علاك الشّمط الواضح

فصار من ينهاك عن حبّها # لم تر إلا أنه كاشح

يا جمل ما حبّي لكم زائل # عنّي و لا عن كبدي نازح

حمّلت ودّا لكم خالصا # جدّا إذا ما هزل المازح

ثم لقد طال طلابيكم # أسعى و خير العمل النّاجح

إني توسّمت امرأ ماجدا # يصدق في مدحته المادح

ذؤابة العنبر فاخترته # و المرء قد ينعشه الصالح

/أبلج بهلولا[1]و ظنّي به # أنّ ثنائي عنده رابح

سليم ما أنت بنكس[2]و لا # ذمّك لي غاد و لا رائح

أعطيت ودّي و ثنائي معا # و خلّة ميزانها راجح

أرعاك بالغيب و أهوى لك الـ # رّشد و جيبي[3]فاعلمن ناصح

إني لمن سالمت سلم و من # عاديت أمسي و له ناطح

في الرأس منه و على أنفه # من نقماتي ميسم لائح

نعم فتى الحيّ إذا ليلة # لم يور فيها زنده القادح

/و راح بالشّول[4]إلى أهلها # مغبّرة أذقانها[5]كالح[6]

و هبّت الريح شآمية # فانجحر القابس و النابح

قد علم الحيّ إذا أمحلوا # أنك رفّاد لهم مانح

في الليلة القالي قراها التي # لا عابق فيها و لا صابح

فالضيف معروف له حقّه # له على أبوابكم فاتح

[1]البهلول: السيد الجامع لكل خير.

[2]النكس (بالكسر) : الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه و المقصر عن غاية النجدة و الكرم.

[3]كذا في أكثر الأصول. و الجيب: القلب و الصدر. يقال فلان ناصح الجيب أي أمين، و منه قول الشاعر: و خشنت صدرا جيبه لك ناصح

و في ب، س: «و حبي» .

[4]الشول: جمع شائلة على غير قياس. و الشائلة من الإبل: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها و جف لبنها.

[5]في حـ: «أرقابها» و في أ، ء، م: «أذنابها» .

[6]الكالح: الأمر الشديد، و هو فاعل «راح» .

و الخيل قد تعلم يوم الوغى # أنّك من جمرتها ناضح[1]

قال: فغنّى أحمد النّصبيّ في بعض هذه الأبيات، و جارية لسليم في السطح، فسمعت الغناء، فنزلت إلى مولاها و قالت: إني سمعت من أضيافك شعرا ما سمعت أحسن منه؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم، ثم نزل فدخل عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر و الغناء؟و من أنتما؟ فقال: الشعر لهذا، و هو أبو المصبّح أعشى همدان، و الغناء لي، و أنا أحمد النّصبيّ الهمداني؛ فانكبّ على رأس أعشى همدان فقبّله و قال: كتمتماني أنفسكما، و كدتما أن تفارقاني و لم أعرفكما، و لم أعلم خبركما، و احتبسهما شهرا ثم حملهما على فرسين، و قال: خلّفا عندي ما كان من دوابكما، و ارجعا من مغزاكما إليّ. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حينا ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال أحمد للأعشى: إني أرى عجبا!قال: و ما هو؟ قال: أرى فوق قصر سليم ثعلبا؛ قال: لئن كنت صادقا فما بقي في القرية أحد. فدخلا القرية، /فوجدا سليما و جميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم و انتقل باقيهم.

هكذا ذكر إسحاق، و ذكر غيره: أن الحجاج طالب سليما بمال عظيم، فلم يخرج منه حتى باع كل ما يملكه، و خربت قريته و تفرّق أهلها؛ ثم باعه الحجاج عبدا، فاشتراه بعض أشراف أهل الكوفة، إما أسماء بن خارجة و إما بعض نظرائه، فأعتقه.

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعره[2] و صنع أحمد النصبيّ لحنه في سليم

صوت

يا أيها القلب المطيع الهوى # أنّى اعتراك الطرب النازح

تذكر جملا فإذا ما نأت # طار شعاعا قلبك الطامح

/أعطيت ودّي و ثنائي معا # و خلّة ميزانها راجح

إني تخيرت امرأ ماجدا # يصدق في مدحته المادح

سليم ما أنت بنكس و لا # ذمّك لي غاد و لا رائح

نعم فتى الحيّ إذا ليلة # لم يور فيها زنده القادح

و راح بالشّول إلى أهلها # مغبرّة أذقانها كالح

و هبّت الريح شآمية # فانجحر القابس و النابح

الشعر لأعشى همدان. و الغناء لأحمد النّصبي، و لحنه ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

و ذكر يونس أن فيه لمالك لحنا و لسنان الكاتب لحنا آخر.

[1]الجمرة: القبيلة فيها ثلاثمائة فارس، و قيل: ألف. أو هي كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا و لا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس. و الناضح: المدافع الرامي.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الذي قاله الأعشى في شعره... إلخ» و هو تحريف.

صوت من المائة المختارة

تنكّر من سعدى و أقفر من هند # مقامهما بين الرّغامين[1]فالفرد[2]

محلّ لسعدى طالما سكنت به # فأوحش ممن كان يسكنه بعدي

الشعر لحمّاد الراوية. و الغناء لعبادل، و لحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر[3]الهشاميّ أنه للهذليّ، و ذكر عمرو بن بانة أنه لعبادل بن عطيّة[4].

[1]الرغام: اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم، و قد ثناه الشاعر لضرورة الشعر.

[2]كذا في حـ، ب، س. و الفرد: موضعان. أحدهما (بفتح الفاء) : جبل من جبلين يقال لهما الفردان في ديار سليم بالحجاز. و الآخر (بالكسر) : موضع عند بطن إياد من ديار يربوع. و الظاهر أن كلا الموضعين ليس مرادا هنا لبعد ما بينهما و بين الرغام. و في سائر الأصول: «بالقرد» (بالقاف) و لم نعثر في المظان التي بين أيدينا على موضع بهذا الاسم، و الظاهر أنه اسم موضع قريب من الرغامين.

[3]في جميع الأصول: «و ذكر» بزيادة الواو.

[4]في جميع الأصول هنا: «عقبة» و هو تحريف. و ستأتي ترجمته في هذا الجزء بعد قليل.

6-أخبار حماد الراوية و نسبه

نسبه و ولاؤه و علمه بأخبار العرب و أيامها:

هو حمّاد بن ميسرة، فيما ذكره الهيثم بن عديّ، و كان صاحبه و راويته و أعلم الناس به، و زعم أنه مولى [بني][1]شيبان. و ذكر المدائنيّ و القحذميّ أنه حماد بن سابور، و كان من أعلم الناس بأيام العرب و أخبارها و أشعارها و أنسابها و لغاتها. و كانت ملوك بني أمية تقدّمه و تؤثره و تستزيره، فيفد عليهم و ينادمهم و يسألونه عن أيام العرب و علومها و يجزلون صلته.

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ و عمّي و إسماعيل العتكيّ قالوا حدّثنا الرّياشيّ قال: قال الأصمعيّ: كان حمّاد أعلم الناس إذا نصح. قال و قلت لحماد: ممن أنتم؟قال: كان أبي من سبى سلمان بن ربيعة، فطرحتنا[2]سلمان[3]لبني شيبان، فولاؤنا لهم. قال: و كان أبوه يسمّى ميسرة، و يكنى أبا ليلى.

قال العتكيّ في خبره: قال الرّياشيّ: و كذلك ذكر الهيثم بن عديّ في أمر حمّاد.

سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه:

أخبرني عمي قال حدّثني الكراني قال حدّثنا العمري عن العتبيّ و الهيثم بن عديّ و لقيط[4]قالوا: /قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه و لم تسمع به، ثم لا أنشد شعرا قديما و لا[5]محدثا إلا ميّزت القديم منه من المحدث؛ فقال: إنّ هذا لعلم و أبيك كثير[6]!فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟قال: كثيرا، و لكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة/قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، و أمره بالإنشاد؛ فأنشد الوليد حتى ضجر، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدقه عنه و يستوفى عليه؛ فأنشده ألفين و تسعمائة قصيدة للجاهليين، و أخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

[1]زيادة عن حـ و «مختار الأغاني» و «تجريد الأغاني» .

[2]في ب، س: «فطوحتنا» .

[3]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «سهمان» و هو تحريف.

[4]هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب، من الرواة للعلم المصنفين للكتب، و كان شاعرا سيّئ الخلق، عاش إلى سنة تسعين و مائة، و له من الكتب: «كتاب السمر» ، و «كتاب الحراب و اللصوص» ، و «كتاب أخبار الجن» . (راجع «فهرست ابن النديم» ص 94 طبع أوروبا) .

[5]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «شعرا لقديم و لا محدث» .

[6]كذا في «تجريد الأغاني» و «مختار الأغاني» . و في الأصول: «كبير» (بالباء الموحدة) و هو تصحيف.

ما كان بينه و بين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد:

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن مروان بن أبي حفصة، و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم[1]عن مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت أنا و طريح بن إسماعيل الثّقفي و الحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد و هو في فرش قد غاب فيها، و إذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعر شعرا، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره و قال: هذا أخذه من موضع كذا و كذا، و هذا المعنى نقله من موضع كذا و كذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حمّاد الراوية. فلما وقفت بين يدي/الوليد أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين و هو لحنة لحّانة؛ فأقبل الشيخ عليّ و قال: يا ابن أخي، إني رجل أكلّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئا؟فذهب عنّي الشعر كله إلا شعر ابن مقبل؛ فقلت له: نعم، شعر ابن مقبل؛ قال:

أنشد، فأنشدته قوله:

سل الدار من جنبي حبرّ فواهب # إذا ما رأى هضب القليب المضيّح[2]

ثم جزت؛ فقال لي: قف فوقفت؛ فقال لي: ما ذا يقول؟فلم أدر ما يقول!فقال لي حماد: يا ابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا.

سأل الهيثم بن عديّ عن معنى شعر فعجز:

حدّثني عمّي قال حدّثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال:

قلت لحماد الراوية يوما: ألق عليّ ما شئت من الشعر أفسّره لك؛ فضحك و قال لي: ما معنى قول ابن مزاحم[3]الثّماليّ:

تخوّف السير منها تامكا قردا # كما تخوّف عود النّبعة السّفن[4]؟

/فلم أدر ما أقول؛ فقال: تخوّف: تنقّص. قال اللّه عزّ و جلّ: **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلىَ تَخَوُّفٍ** أي على تنقّص.

قال الهيثم: ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حمّاد.

[1]هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي و أبي عبيدة، روى عن جماعة من العلماء و عن فصحاء العرب، و توفي سنة ثلاثين و مائتين. (راجع «فهرست ابن النديم» ص 56 طبع أوروبا) .

[2]كذا في «معجم ما استعجم» . و حبر (بكسر أوّله و ثانيه و بالراء المهملة المشدّدة) : جبل لبني سليم و كذلك واهب. و هضب القليب:

ماء لبني قنفذ من بني سليم، و هناك فتلت بنو قنفذ المقصص العامري. و المضيح (بضم أوّله و فتح ثانيه و تشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها حاء مهملة) : ماء لبني البكاء.

و قد ورد هذا البيت في الأصول محرّفا هكذا:

سلى الدار من خنبيّ خبير فذاهب # إذا ما رأى هضب القليب المصبح

[3]كذا في «مختار الأغاني» و هامش «لسان العرب» (مادة سفن) . و في جميع الأصول: «مزاحم» . و قد نسب هذا البيت لذي الرمة كما نسب لابن مقبل و لعبد اللّه بن عجلان النهدي. (راجع «اللسان» و «الصحاح» مادتي سفن و خوف) .

[4]التامك: السنام. و القرد: المتلبد الصوف. و السفن: الحديدة التي تبرد بها القسيّ. و رواية هذا البيت في «الصحاح» (مادتي سفن و خوف) :

تخوف الرحل منها... # ... ظهر النبعة السفن

كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقر:

حدّثني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني الكرانيّ محمد بن سعد عن النّضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال:

أنشدني الفرزدق و حماد الراوية حاضر:

و كنت كذئب السّوء لمّا رأى دما # بصاحبه يوما أحال[1]على الدم

فقال له حماد: آنت تقوله؟قال: نعم؛ قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن؛ قال: و من يعلم هذا غيرك!أ فأردت[2]أن أتركه و قد نحلنيه الناس و رووه لي لأنك تعلمه وحدك و يجهله الناس جميعا غيرك!.

كان هو و أبو عمرو كل منهما يقدم الآخر على نفسه:

حدّثني[3]محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني الفضل قال حدّثني ابن النّطّاح قال حدّثني أبو عمرو الشّيباني قال:

ما سألت أبا عمرو بن العلاء قطّ عن حمّاد الراوية إلا قدّمه على نفسه، و لا سألت حمّادا عن أبي عمرو إلا قدّمه على نفسه.

هو أحد الحمادين الثلاثة:

حدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد اللّه بن مسلم، و ذكر عبد اللّه بن مسلم عن الثّقفيّ/عن إبراهيم بن عمر [و][4]العامري قالا:

/كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون: حماد عجرد، و حماد بن الزّبرقان، و حماد الراوية، يتنادمون على الشراب و يتناشدون الأشعار و يتعاشرون معاشرة جميلة، و كانوا كأنهم نفس واحدة، و كانوا يرمون بالزندقة جميعا.

كان بخيلا فداعبه مطيع و ابن زياد عن سراجه:

أخبرني الحسن[5]بن يحيى المرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل مطيع بن إياس و يحيى بن زياد على حماد الراوية، فإذا سراجه على ثلاث قصبات[6]قد جمع أعلاهنّ و أسفلهنّ بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد، إنك لمسرف مبتذل لحرّ المتاع؛ فقال له مطيع: أ لا تبيع هذه المنارة و تشتري أقلّ ثمنا منها و تنفق علينا و على نفسك الباقي و تتّسع به؟فقال له يحيى: ما أحسن ظنّك به!و من أين له مثل هذه؟إنما هي وديعة

أو عارية؛ فقال له مطيع: أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس!قال له يحيى: و على [1]أحال على الدم: أقبل عليه.

[2]في ب، س: «فأردت» .

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قال حدّثني» .

[4]زيادة عن م. و لا تستقيم العبارة بغير هذه الزيادة.

[5]في جميع الأصول هنا: «الحسن» ، و قد مر في أكثر من موضع من الأجزاء السابقة باسم «الحسين» و في القليل منها باسم «الحسن» و لم نوفق إلى تصويبه.

[6]في حـ: «قضبات» (بالضاد المعجمة) : جمع قضبة و هي القضيب أو القدح من نبع يجعل منه سهم. ـ

عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره و يأمن عليها غيره!قال مطيع: ما أظنها عارية و لا وديعة و لكني أظنها مرهونة عنده على مال، و إلا فمن يخرج هذه من بيته!فقال لهما حماد: قوما عني يا بني الزانيتين و اخرجا من منزلي، فشرّ منكما من يدخلكما بيته.

كان منقطعا ليزيد فجفاه هشام و لما ولي الخلافة كتب ليوسف بن عمر بإرساله ليسأله عن شعر و أكرمه:

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن عبيد و أبو عصيدة قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن العبدي عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس، و أخبرني الحسين[1]بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرواية، و خبر حمّاد بن إسحاق أتمّ و اللفظ له.

/قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد و أفضت الخلافة إلى هشام خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّا؛ فلما لم أسمع أحدا يذكرني سنة أمنت فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شرطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حمّاد، أجب الأمير يوسف[2]بن عمر؛ فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشّرطيّين: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه؟فقالا:

ما إلى ذلك من سبيل. فاستسلمت في أيديهما و صرت إلى يوسف بن عمر و هو في الإيوان[3]الأحمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، و رمى إليّ كتابا فيه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. من عبد اللّه هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروّع و لا متعتع، و ادفع إليه خمسمائة دينار و جملا مهريا[4]يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق» . فأخذت الخمسمائة الدينار، و نظرت فإذا جمل مرحول، فوضعت/رجلي في الغرز[5]و سرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام، فاستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء[6]مفروشة بالرّخام، و هو في مجلس مفروش بالرخام، و بين كل رخامتين قضيب ذهب، و حيطانه كذلك، و هشام جالس على طنفسة حمراء و عليه ثياب خزّ حمر و قد تضمّخ بالمسك و العنبر، و بين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، /فسلّمت فردّ عليّ، و

استدناني فدنوت حتى قبّلت رجله، و إذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما، في أذني كلّ واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان؛ فقال لي:

[1]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «الحسن» . (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

[2]يستبعد أن تكون هذه القصة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن واليا بالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه إذ ذاك خالد بن عبد اللّه القسري. لأن هشاما تولى الخلافة لليال بقين من شعبان سنة 105 هـ. و الخبر صريح في أن هذه الحادثة وقعت بعد عام من تولي هشام الخلافة و كان الوالي على العراق حينذاك القسري لا الثقفي، لأن هشاما عزل عمر بن هبيرة عن العراق و ولى مكانه خالدا في شوّال سنة 105 هـ، و بقي خالد واليا عليه حتى سنة 120 هـ و هي السنة التي عزله فيها عنه هشام و ولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي. (راجع ابن خلكان-في ترجمتي حماد و خالد-و الطبري ق 2 ص 1466) .

[3]الإيوان: الصفة العظيمة كالأزج و هو البيت يبنى طولا.

[4]المهرية من الإبل: نسبة إلى مهرة بن حيدان و هو حي من قضاعة من عرب اليمن، و هي نجائب تسبق الخيل، و قيل: إنها لا تعدل بها شيء في سرعة جريانها، و من غريب ما ينسب إليها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه، و لها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعا.

[5]الغرز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب.

[6]قوراء: واسعة.

كيف أنت يا حماد و كيف حالك؟فقلت بخير يا أمير المؤمنين؛ قال: أ تدري فيم بعثت إليك؟قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قاله؛ قلت: و ما هو؟فقال: فدعوا بالصّبوح يوما فجاءت # قينة في يمينها إبريق

قلت: هذا يقوله عديّ بن زيد في قصيدة له؛ قال: فأنشدنيها، فأنشدته: بكر العاذلون في وضح الصبـ # ح يقولون لي أ لا تستفيق

و يلومون فيك يا ابنة عبد اللّ # ه و القلب عندكم موهوق[1]

لست أدري إذ أكثروا العذل عندي # أ عدوّ يلومني أو صديق

زانها حسنها و فرع عميم # و أثيث صلت الجبين أنيق[2]

و ثنايا مفلّجات عذاب # لا قصار ترى و لا هنّ روق[3]

فدعوا بالصّبوح يوما فجاءت # قينة في يمينها إبريق

/قدّمته على عقار كعين الـ # ديك صفّى سلافها الرّاووق[4]

مرّة قبل مزجها فإذا ما # مزجت لذّ طعمها من يذوق

و طفت فوقها فقاقيع كالد # رّ صغار يثيرها التّصفيق

ثم كان المزاج ماء سماء # غير ما آجن و لا مطروق

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت و اللّه يا حمّاد، يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي. و قال: أعد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي.

فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال: سل حوائجك، فقلت: كائنة ما كانت؟قال: نعم؛ قلت: إحدى الجاريتين؛ فقال لي: هما جميعا لك بما عليهما و ما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربة سقطت معها، فلم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريتين عند رأسي، و إذا عدّة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام و يقول لك: خذ هذه فانتفع بها، فأخذتها و الجاريتين و انصرفت. هذا لفظ حمّاد عن أبيه. و لم يقل أحمد بن عبيد في خبره أنه سقاه شيئا، و لكنّه ذكر أنه طرب لإنشاده، و وهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما، و أنزله في دار، ثم نقله من غد إلى منزل أعدّه له، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين و ما لهما و كلّ ما يحتاج إليه، و أنه أقام عنده مدّة فوصل إليه مائة ألف درهم، و هذا هو

الصحيح؛ لأن هشاما لم يكن يشرب و لا يسقي أحد بحضرته مسكرا، و كان ينكر ذلك و يعيبه و يعاقب عليه.

/في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناء، نسبته:

[1]الموهوق: المشدود بالوهق، و هو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة و الإنسان.

[2]الفرع: الشعر. و الأثيث: الكثير، يطلق على الشعر و على البدن الممتلئ اللحم، و هو المراد هنا. و الصلت: الواضح.

[3]روق: طوال.

[4]الراووق: المصفاة و ناجود الشراب الذي يروق فيه. و الناجود: الوعاء.

صوت

بكر العاذلون في وضح الصبـ # ح يقولون ما له لا يفيق

/و يلومون فيك يا ابنة عبد اللّ # ه و القلب عندكم موهوق

ثم نادوا إلى الصّبوح فقامت # قينة في يمينها إبريق

قدّمته على عقار كعين الدّ # يك صفّى سلافها الراووق

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلف في صانعه، نسبه يحيى بن المكيّ إلى معبد، و نسبه الهشاميّ إلى حنين. و في الثالث و هو «ثم نادوا» و الرابع لعبد اللّه بن العباس الرّبيعيّ رمل، و فيهما خفيف رمل ينسب إلى مالك و خفيف ثقيل، ذكر[1]حبش أنه لحنين.

أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد و أرسله إليه مكرما:

أخبرني[2]محمد بن مزيد و الحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: كتب الوليد بن يزيد و هو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمل إليّ حمادا الراوية على ما أحبّ من دواب البريد، و أعطه عشرة آلاف درهم معونة له؛ فلما أتاه الكتاب و أنا عنده نبذه إليّ، فقلت: السمع و الطاعة، فقال: يا دكين بن شجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعا، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين، و لست مستغنيا عن ثنائك، فقلت: أصلح اللّه الأمير: / «إنّ العوان لا تعلّم الخمرة» [3]. فخرجت حتى أتيت الوليد بن يزيد و هو بالبخراء[4]، فاستأذنت فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهّد و عليه ثوبان: إزار و رداء يقيئان الزعفران قيئا، و إذا عنده معبد و مالك و أبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال: أنشدني: أ من المنون و ريبها تتوجّع

فأنشدته إيّاها حتى أتيت على آخرها. فقال لساقيه: اسقه يا سبرة أكؤسا، فسقاني ثلاث أكؤس خدّرت ما بين الذؤابة و النعل. ثم قال: يا معبد غنّني: ألا هل جاءك الأظعا # ن إذ جاوزن مطلحا[5]

فغنّاه. ثم قال: غنني:

[1]في جميع الأصول: «و ذكر» و لا تستقيم العبارة بزيادة الواو.

[2]وردت هذه القصة في أخبار ابن عائشة في الجزء الثاني من هذه الطبعة مع اختلاف يسير.

[3]العوان: النصف في سنها. و الخمرة: من الاختمار اسم هيئة. و هذا مثل يضرب للرجل المجرب الذي لا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل.

[4]كذا في أكثر الأصول. و هي ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز. و في سائر الأصول: «النجراء» (بنون بعدها جيم) و هو تصحيف.

[5]قال ياقوت في «معجمه» في الكلام على مطلخ: «هو موضع في قوله: و قد جاوزن مطلحا

و لم يتعرض له بأكثر من هذا و لم نجده في غيره من المظان.

أ تنسى[1]إذ تودّعنا سليمى # بفرع بشامة، سقي البشام[2]

فغنّى. ثم قال: غنني:

جلا أميّة عنّا كلّ مظلمة # سهل الحجاب و أوفى بالذي وعدا

/فغنّاه. ثم قال: اسقني يا غلام بزبّ فرعون، فأتاه بقدح معوجّ فيه طول فسقاه به عشرين قدحا. ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح اللّه أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب؛ فقال: أدخله، فدخل غلام شابّ لم أر أحسن منه وجها[3]في رجله فدع[4]، فقال: يا سبرة اسقه كأسا، فسقاه، ثم قال له: غنني: و هي إذ ذاك عليها مئزر # و لها بيت جوار من لعب

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غنني:

طرق الخيال فمرحبا # ألفا برؤية زينبا

فغضب معبد و قال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون إليك بأقدارنا و أسناننا، و إنك تتركنا بمزجر الكلب و أقبلت على هذا الصبي؛ فقال: و اللّه يا أبا عبّاد ما جهلت قدرك و لا سنّك، /و لكن هذا الغلام طرحني على مثل الطّياجن[5]من حرارة غنائه. فسألت عن الغلام؟فإذا هو ابن عائشة.

كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه و أنشده من شعر هفان بن همام:

حدّثني الحسن بن محمد المادرانيّ الكاتب قال حدّثني الرياشيّ عن العتبيّ، و أخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي-و ليس خبره بتمام هذا- قال: طلب المنصور حمّادا الراوية، فطلب ببغداد فلم يوجد، و سئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجّهوا إليه برسول يشخصه. قال الرسول: فوجدته في حانة و هو عريان يشرب نبيذا من إجّانة[6]و على سوأته رأس دستجة[7]، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالة أرفع و لا حالة أوضع من/تلك. فأجاب، فأشخصته إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هفّان بن همّام بن نضلة يرثي أباه؛ فأنشده: خليلّ عوجا إنها حاجة لنا # على قبر همّام سقته الرواعد

على قبر من يرجى نداه و يبتغى # جداه إذا لم يحمد الأرض رائد

[1]ورد صدر هذا البيت في «اللسان» مادة «بشم» هكذا: أتذكر يوم تصقل عارضيها

و صدر هذا البيت في التهذيب:

[2]البشام: شجر طيب الريح و الطعم يستاك به. يعني بالبيت أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها و لم تتكلم خيفة الرقباء.

[3]في ب، س: «لم أر... وجها من رجل في رجله... إلخ» و لا يستقيم الكلام بهذه الزيادة.

[4]الفدع: عوج و ميل في المفاصل كلها خلقة أو داء.

[5]كذا في أكثر الأصول. و الطياجن: الطوابق يقلي عليها. و في ب، س: «الطناجير» و هو تحريف.

[6]الإجانة: آنية تغسل فيها الثياب.

[7]كذا في أ، ء. و الدستجة» : الإناء الكبير من الزجاج معرب: «دستة» و في حـ، م: «دسيتجة» (بالتصغير) . و في ب، س: «دستيجة» و لعلها محرفة عما في حـ، م.

كريم النّثا[1]حلو الشمائل بينه # و بين المزجّى نفنف متباعد[2]

إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن # عييّا و لا ثقلا على من يقاعد

صبور على العلاّت يصبح بطنه # خميصا و آتيه على الزاد حامد

وضعنا الفتى كلّ الفتى في حفيرة # بحرّين[3]قد راحت عليه العوائد

صريعا كنصل السيف تضرب حوله # ترائبهنّ المعولات الفواقد[4]

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي اللّه عنه.

ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه و استنشده فأنشده شعرا أغضبه فضربه:

أخبرني الحسين[5]بن يحيى المرداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكرديّة يستخفّ مطيع بن إياس و يحبه، و كان منقطعا إليه و له معه منزلة حسنة، فذكر له حمادا الراوية، /و كان صديقه، و كان مطّرحا مجفوّا في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه.

فأتى مطيع حمّادا فأخبره بذلك و أمره بالمسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية و مالي عند هؤلاء خير، فأبى مطيع إلاّ الذهاب إليه، فاستعار حماد سوادا و سيفا ثم أتاه، ثم مضى به مطيع إلى جعفر. فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسنا و أثنى عليه و ذكر فضله؛ فردّ عليه و أمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشدني؛ فقال: لمن أيها الأمير؟أ لشاعر بعينه أم لمن حضر؟قال: بل أنشدني لجرير. قال حمّاد: فسلخ و اللّه شعر جرير كلّه من قلبي إلا قوله: بان الخليط برامتين[6]فودّعوا # أو كلّما اعتزموا[7]لبين تجزع

فاندفعت فأنشدته إياه، حتى انتهيت إلى قوله:

و تقول بوزع قد دببت على العصا # هلاّ هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوزع، أيّ شيء هو؟فقلت: اسم امرأة؛ فقال: امرأة اسمها بوزع!هو بريء من اللّه و رسوله و نفيّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان! تركتني و اللّه يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع؛ /يا غلمان!قفاه؛

فصفعت و اللّه حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جرّوا [1]النثا (بالتحريك و القصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّئ. و في الأصول: «الثنا» .

[2]المزجى: الضعيف. و سمى مزجى لتأخره و حاجتهم إلى تزجيته و استحثاثه فيما يعن. و النفنف: المهواة بين الجبلين.

[3]كذا في ب، س. و حرين (بالضم ثم الكسر و التشديد و آخره نون) : بلد قرب آمد. و في سائر الأصول: «بجوءين» و لم نجد بلدا بهذا الاسم في المظان التي بين أيدينا.

[4]الترائب: عظام الصدر، واحدها تريبة. و الفواقد: من فقدن أزواجهن أو أولادهن.

[5]في جميع الأصول هنا: «الحسين» و يلاحظ أن هذا الاسم ورد مضطربا فيما مر من الكتاب بين: «الحسن» و «الحسين» و لم نوفق إلى مرجع نرجح به إحدى الروايتين.

[6]رامتين: تثنية رامة، و كثير من أسماء المواضع يأتي في الشعر مفردا و مثنى و مجموعا فحسب الضرورة الشعرية. و رامة: منزل بينه و بين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة و منه إلى إمرة. و هي آخر بلاد بني تميم، و بين رامة و بين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، و قيل هي هضبة أو جبل لبني دارم.

[7]في «النقائض» (ص 961 طبع أوروبا) : «رفعوا» . و رفع القوم: أصعدوا في البلاد.

برجله: فجرّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوبا، فتخرّق السواد و انكسر جفن السيف و لقيت شرا عظيما مما جرى عليّ؛ و كان أغلظ من ذلك كلّه و أشدّ بلاء إغرامي ثمن السّواد و جفن السيف؛ فلما/ انصرفت أتاني مطيع يتوجّع لي؛ فقلت له: أ لم أخبرك أني لا أصيب منهم خيرا و أنّ حظّي قد مضى مع بني أمية!.

حديثه مع مأبون:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

بلغني أن رجلا تحدّث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة-قال: و كان الرجل يرمى بهذا الداء-فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبر عن الشيخ، فإن خير العلم ما حمل عن أهله.

كتب إلى بعض الأشراف شعرا يسأله جبة فأرسلها إليه:

قال: و كتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

إن لي حاجة فرأيك فيها # لك نفسي فدّى من الأوصاب

و هي ليست مما يبلّغها[1]غيـ # ري و لا يستطيعها في كتاب

غير أنّي أقولها حين ألقا # ك رويدا أسرّها في حجاب

فكتب إليه الرجل: اكتب إليّ بحاجتك و لا تشهرني بشعرك؛ فكتب إليه حماد: إنني عاشق لجبّتك الدّكـ # ناء عشقا قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسي و أهلي # أتباهى بها على الأصحاب

و لك اللّه و الأمانة أن أجـ # علها عمرها أمير ثيابي

فبعث إليه بها. و قد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس.

هو و الخزيمي و غلام أمرد:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو يعقوب الخزيميّ[2]قال: /كنت في مجلس فيه حماد عجرد و حماد الرواية و معنا غلام أمرد، فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا و قال لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلة على أن أدبّ على هذا الغلام؛ فقلت: شأنك به؛ ثم نمنا، فلم أشعر بشيء إلا و حماد ينيكني، و إذا أنا قد غلطت و نمت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فينتبه الناس فأفتضح و أبطل عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني؛ فقال: قد عرفت الآن، فيكون ما ذا!و فديناه بذبح عظيم.

قال: و ما برح[3]علم اللّه و أنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

[1]كذا في «مختار الأغاني» و «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «يبلغه» .

[2]الخزيمي: هو إسحاق بن حسان، و يكنى أبا يعقوب. و قد ورد في «الشعر و الشعراء» باسم الخريمي (بالراء) . و الظاهر أن هذه الرواية أصح لأنه كان مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه: خريم الناعم و هو خريم بن عمرو من بني مرة (راجع «الشعر و الشعراء» ص 542 طبع ليدن و الكامل للمبرد ص 328 طبع أوروبا) .

[3]في جميع الأصول: «قال: و ما علم اللّه برح... إلخ» و هو خطأ يحتمل أن يكون من الناسخ، إذ لا يصح الفصل بين ما النافية و الأفعال الناقصة، لأن ما لما لزمت هذه الأفعال و صارت معها بمعنى الإثبات صارت كجزئها.

أهدى إلى صديق له غلاما:

قال إسحاق:

و أهدى حماد إلى صديق له غلاما و كتب إليه: قد بعثت إليك غلاما تتعلم عليه كظم الغيظ.

ستهدي نبيذا من صديق له فأجابه:

قال:

و استهدى من صديق له نبيذا فأهدى إليه دسيتجة نبيذ. فكتب إليه: لو عرفت في العدد أقلّ من واحد، و في الألوان شرّا من السواد، لأهديته إليّ.

رد على مغنية أخطأت في شعر:

قال:

و سمع مغنية تغني:

عاد قلبي من الطويلة عاد

فقال: و ثمود، فإن اللّه عزّ و جلّ لم يفرق بينهما. و الشعر:

عاد قلبي من الطويلة عيد[1]

أنشده رجل شعرا فأنكره عليه و قال اهجني فهجاه:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثني أبو عثمان اللاحقي، و أخبرني به محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن بشر بن المفضّل بن لاحق قال:

جاء رجل إلى حمّاد الراوية فأنشده شعرا و قال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، و إن كنت صادقا فاهجني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

/

سيعلم حمّاد إذا ما هجوته # أ أنتحل الأشعار أم أنا شاعر

أ لم تر حمادا تقدّم بطنه # و أخّر عنه ما تجنّ المآزر

فليس براء خصيتيه و لو جثا # لركبته، ما دام للزيت عاصر

فيا ليته أمسى قعيدة بيته # له بعل صدق كومه[2]متواتر

فحماد نعم العرس للمرء يبتغي النـ # كاح و بئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد: حسبنا، عافاك اللّه، هذا المقدار و حسبك!قد علمنا أنك شاعر و أنك قائل الشعر الأول و أجود منه، و أحب أن تكتم هذا الشعر و لا تذيعه فتفضحني؛ فقال له: قد كنت غنيّا عن هذا. و انصرف الرجل و جعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جررت على نفسي من البلاء!.

[1]هذا الشعر للمفضل. و أراد بالطويلة روضة بالصمان عرضها ميل في طول ثلاثة أميال. و العيد: ما يعتاد من نوب و شوق وهم.

[2]الكوم: النكاح.

عاب شعرا لأبي الغول فهجاه:

حدّثني الأسدي أبو الحسن قال حدّثنا الرّياشي قال حدّثنا أبو عبد اللّه الفهميّ قال: عاب حمّاد الراوية شعرا لأبي[1]الغول فقال يهجوه:

/

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه # و يقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدّنان فأنفه # مثل القدوم يسنّها الحدّاد

و ابيض من شرب المدامة وجهه # فبياضه يوم الحساب سواد

لا يعجبنّك بزّه و ثيابه # إن اليهود ترى لها أجلاد[2]

حمّاد يا ضبعا تجرّ جعارها[3] # أخنى[4]لها بالقريتين جراد

سبعا يلاعبها ابنها و بناتها # و لها من الخرق الكبار و ساد[5]

قال معنى قوله:

أخنى لها بالقريتين جراد

هو مثل قول العرب للضّبع: خامري[6]أمّ عامر، أبشري بجراد عظال[7]و كمر رجال؛ فإن الضبع تجيء إلى القتيل و قد استلقى على قفاه، و انتفخ غرموله فكان كالمنعظ، فتحتكّ به و تحيض من الشهوة، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السّمع، و هو دابة، لا يولد له مثل البغل. و في مثل هذا المعنى يقول الشّنفري[8]الأزدي.

/

تضحك الضّبع لقتلى هذيل # و ترى الذئب لها يستهلّ[9]

تضحك[10]: تحيض.

[1]نسبت هذه الأبيات لحماد بن الزبرقان كما نسبت لبشار بن برد يهجو بها حماد عجرد (راجع «الحيوان» للجاحظ ج 4 ص 142 طبع الساسي. و ابن خلكان في ترجمة حماد عجرد) .

[2]أجلاد الإنسان: جماعة شخصه أو جسمه و بدنه، يقال فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخما قوي الأعضاء و الجسم.

[3]الجعار: جمع جعر (بفتح فسكون) ، و الجعر: نحو كل ذات مخلب من السباع. و جعار (كقطام) : اسم للضبع لكثرة جعرها.

[4]كذا في ب، س. و أخنى الجراد: كثر بيضه. و قد وردت هذه الكلمة في سائر الأصول محرفة.

[5]كذا ورد هذا البيت في جميع الأصول و هو غير ظاهر المعنى.

[6]خامري: استترى. و أم عامر: الضبع، و هي كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا في حجرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك. و يقال لها: أبشري بجراد عظال و كمر رجال، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فيربط يديها و رجليها ثم يجرها. يضرب هذا المثل لمن يرتاع من كل شيء جبنا و قيل هو مثل لمن عرف الدنيا ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تغتر الضبع بقول القائل: خامري أم عامر.

[7]الجراد العظال: الذي ركب بعضه بعضا كثرة.

[8]في نسبة القصيدة التي منها هذا البيت للشنفرى خلاف، فقيل إنها لتأبط شرا، و قيل لابن أخته، كما رجح أن تكون لخلف الأحمر (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي ص 382 طبع أوروبا) .

[9]يستهل: يصيح و يستغوي الذئاب. و استهل الصبي بالبكاء: رفع صوته و صاح عند الولادة و كل شيء ارتفع صوته فقد استهل.

[10]قال التبريزي في «شرح الحماسة» في التعليق على هذا البيت: «قول من قال تضحك بمعنى تحيض ليس بشيء» . و في «لسان العرب» مادة ضحك في الكلام على هذا البيت: «قال أبو العباس: تضحك هاهنا: تكشر و ذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر في وجهه وعيدا فيتركها مع لحم القتيل و يمر... و قال ابن الأعرابي: أي أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت؛ و كان ابن دريد يردّ هذا و يقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض، و إنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، و قيل

كان لصا ثم تاب و طلب الأدب و الشعر:

و قال ابن النطّاح:

كان حمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر و يصحب الصعاليك و اللصوص، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله و كان فيه جزء من شعر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه و تحفّظه، ثم طلب الأدب و الشعر و أيام الناس و لغات العرب بعد ذلك، و ترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ.

استنشده المهدي أحسن أبيات في السكر ثم أجازه:

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال:

دخلت على المهديّ فقال: أنشدني أحسن أبيات قيلت في السّكر، و لك عشرة آلاف درهم و خلعتان[1]من كسوة الشتاء و الصيف؛ فأنشدته قول الأخطل[2]:

/

ترى الرّجاج و لم يطمث[3]يطيف به # كأنه من دم الأجواف مختضب

حتى إذا افتضّ ماء المزن عذرتها # راح الزجاج و في ألوانه صهب

/تنزو إذا شجّها بالماء مازجها # نزو الجنادب في رمضاء تلتهب[4]

راحوا و هم يحسبون الأرض في فلك # إن صرّعوا وقت الراحات و الرّكب

فقال لي: أحسنت و أمر لي بما شرطه و وعدني به فأخذته.

مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره:

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمي عبيد اللّه قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني صالح بن سليمان قال:

قدم حمّاد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة، و عند بلال ذو الرّمّة، فأنشده حماد شعرا مدحه به؛ فقال بلال لذي الرّمّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيّدا و ليس له؛ قال: فمن يقوله؟قال: لا أدري إلا أنه لم يقله؛ فلما قضى بلال حوائج حماد و أجازه، قال له: إن لي إليك حاجة؛ قال: هي مقضية؛ قال: أنت قلت ذلك الشعر؟قال:

لا؛ قال: فمن يقوله؟قال: بعض شعراء الجاهلية، و هو شعر قديم و ما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك؟قال: عرف

كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا، و قيل أراد أنها تسرّ بهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك إنما يكون منه» . اهـ ببعض تصرف.

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و خلعتان و كسوة... إلخ» .

[2]لم نجد هذه الأبيات بين شعر الأخطل المجموع في دواوينه الثلاثة التي نشر الأوّل منها المرحوم الدكتور أوجينوس غرّفيني الميلاني.

الإيطالي مدير مكتبة جلالة ملك مصر سابقا (و هو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 2023 أدب) و نشر الثاني و الثالث منها الأب أنطون صالحاني اليسوعي (و هما محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقمي: 3937، 1102 أدب) . و جميعها طبع بيروت.

[3]الطمث: المس. قال تعالى: **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاَ جَانٌّ*** . يريد أنه لم يفرّع و لم يمسسه إنسان.

[4]تنزو: تثب و ذلك إذا مزجت. و شجها: مزجها. و الجنادب: ضرب من الجراد. و الرمضاء: الأرض الحارة الحامية من شدّة حر الشمس.

أنشد بلالا شعرا في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة:

قال صالح:

و أنشد حمّاد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيدة قالها و نحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

/

جمعت[1]من عامر فيها و من جشم # و من تميم و من حاء و من حام

مستحقبات رواياها جحافلها # يسمو بها أشعريّ طرفه سامي

فقال له بلال: قد علمت أن هذا شيء قلته أنت و نسبته إلى الحطيئة، و إلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا و لا أرويه!و لكن دعها تذهب في الناس و سيّرها حتى تشتهر، و وصله.

يرى المفضل الضبي أنه أفسد شعر العرب بتخليطه و نحله شعره للقدماء:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخرّاز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضّل الضّبيّ يقول:

قد سلّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا. فقيل له: و كيف ذلك؟أ يخطئ في روايته أم يلحن؟قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا و لكنه رجل عالم بلغات العرب و أشعارها، و مذاهب الشعراء و معانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل و يدخله في شعره، و يحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء و لا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، و أين ذلك!.

اجتمع مع المفضل الضبي عند المهدي فأجازه لجودة شعره و أبطل روايته:

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدّثني السّعيدي الراوية و أبو إياد المؤدّب-و كان مؤدّبي ثم أدّب المعتصم بعد ذلك و قد تعالت سنّه-و حدّثني بنحو من ذلك عبد اللّه بن مالك و سعيد بن سلم[2]و حدّثني به ابن غزالة أيضا و اتفقوا عليه:

/أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي[3]بعيساباذ ، و قد اجتمع فيها عدّة من الرواة و العلماء بأيام العرب و آدابها و أشعارها و لغاتها، إذ

خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضّل الضّبّي الراوية فدخل، فمكث مليّا ثم خرج إلينا و معه حمّاد و المفضّل جميعا و قد بان في وجه حماد الانكسار و الغم، و في وجه المفضّل السرور و النشاط، ثم خرج حسين الخادم معهما[4]، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حمادا الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره و أبطل روايته لزيادته في أشعار/الناس ما ليس منها، و وصل المفضّل بخمسين ألفا لصدقه و صحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع من حماد، و من [1]تقدّم شرح هذين البيتين في الجزء الثاني من هذه الطبعة (في الحواشي 4، 5، 6 ص 175 و الحواشي 1، 2، 3 ص 176) .

[2]كذا في حـ. و لعله سعيد بن سلم الباهلي أبو عمرو و قد كان معاصرا لعبد اللّه بن مالك الخزاعي. و في ب، س: «سعيد بن مسلم» .

و في سائر الأصول: «سعيد بن سليم» .

[3]عيساباذ : أي عمارة عيسى، لأن كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، و هذه محلة كانت شرقي بغداد و منسوبة إلى عيسى بن المهدي و كانت إقطاعا له. و بها مات موسى بن المهدي بن الهادي. و بها بنى المهدي قصره الذي سماه قصر السلام.

[4]كذا في جميع الأصول. و لعل هذه الكلمة مقحمة أو محرّفة عن «بعدهما» .

أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّل؛ فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال: دع ذا وعدّ القول في هرم

و لم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟فقال له المفضّل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئا إلا أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله، أو يروّي في أن يقول شعرا فعدل عنه إلى مدح هرم و قال دع ذا، أو كان مفكرا في شيء من شأنه فتركه و قال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر و عدّ القول في هرم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل، فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده: /

لمن الديار بقنّة[1]الحجر # أقوين مذ[2]حجج و مذ[2]دهر

قفر بمندفع النحائث[3]من # ضفوى[4]أولات[5]الضّال و السّدر[6]

دع ذا وعدّ القول في هرم # خير الكهول[7]و سيّد الحضر

قال: فأطرق المهديّ ساعة، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بدّ من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة و كل يمين محرجة ليصدقنّه عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثّق منه. قال له: اصدقني عن حال هذه الأبيات و من أضافها إلى زهير؛ فأقرّ له حينئذ أنه قائلها؛ فأمر[8]فيه و في المفضّل بما أمر به من شهرة أمرهما و كشفه.

سأله الوليد عن مقدار روايته و استنشده شعرا في الخمر و أجازه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: أرسل إليّ أمير الكوفة فقال لي: قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فجملت فقدمت عليه و هو في الصيد، فلما/رجع أذن لي، فدخلت عليه و هو في بيت منجّد[9] بالأرمنيّ[10]أرضه و حيطانه؛ فقال لي: أنت حماد الراوية؟فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟قلت: أروي سبعمائة قصيدة أوّل كلّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية!ثم دعا بشراب فأتته [1]القنة: أعلى الجبل، و أراد بها هنا ما أشرف على الأرض. و الحجر: موضع بعينه و هو حجر اليمامة.

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول و ديوانه: «من» و هي بمعنى مذ.

[3]كذا في «ديوانه» . و النحائت: آبار في موضع معروف. و ليس كل الآبار تسمى النحائت. و في جميع الأصول: «النجائب» و هو تصحيف.

[4]كذا في «ديوانه» . و ضفوى (بالفتح ثم السكون و فتح الواو و القصر. و رواه ابن دريد بفتحتين) : مكان دون المدينة. و قد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول محرفة.

[5]في ب، س: «ألاف» .

[6]الضال: السدر البري فإن نبت على شطوط الأنهار فهو عبري. و كأنه أراد بالسدر ما كان غير بري فلذلك عطفه على الضال.

[7]في «ديوانه» : «البداة» .

[8]كذا في «تجريد الأغاني» و «مختار الأغاني» . و في الأصول: «فأمر له فيه... إلخ» .

[9]المنجد: المزين.

[10]لعله يريد به نوعا من الحرير منسوبا إلى أرمن و هي إقليم جبلي من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير.

جارية بكأس و إبريق فصبّت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حبابا؛ فقال: أنشدني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عدي بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصبـ # ح يقولون لي أ لا تستفيق

ثم ثاروا إلى الصّبوح فقامت # قينة في يمينها إبريق

قدّمته على سلاف كريح الـ # مسك صفّى سلافها الرّاووق

فترى فوقها فقاقيع كاليا # قوت يجري خلالها التصفيق[1]

قال: فشربها و لم يزل يستعيدني الأبيات و يشرب عليها حتى سكر؛ ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه و نادى: من يشتري لحوم البقر؟ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك؛ فكان أوّل مال تأثّلته[2].

حمقه خلف الأحمر و طعن في روايته:

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعي قال/حدّثنا دماذ[3]عن أبي عبيدة قال: قال خلف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب و أعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني و يدخله في أشعارها. و كان فيه حمق.

أنشد زيادا شعرا للأعشى فيه اسم أمه فغضب:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال حدّثني المسور العنزيّ-و كان من رواة العرب و كان أسنّ من سماك بن حرب-[عن حماد][4]قال: دخلت على زياد[5]فقال لي: أنشدني؛ فقلت: من شعر من أيها الأمير؟قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدته: بكرت سميّة غدوة أجمالها

قال: فما أتممت القصيدة حتى تبيّنت الغضب في وجهه؛ و قال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعد و اللّه إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: لم سمّيت الراوية؟و ما

بلغ من حفظك حتى استحققت هذا الاسم؟فقال [1]مر هذا البيت في ترجمة حماد هذه (ص 77) على غير هذه الرواية.

[2]تأثل المال: اكتسبه.

[3]دماذ: هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة. و دماذ لقب كان ينبز به.

[4]زيادة يقتضيها السياق.

[5]هو زياد ابن أبيه، و أمه سمية.

له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية و عشرين حرفا، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة؛ فقال: إنّ هذا لحفظ! هات، فاندفع ينشد حتى ملّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفة حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته و صرفه.

أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه و استنشده شعرا في الخمر:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الحسين بن[1]محمد بن أبي طالب الدّينارىّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، و أمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفيه قريش و ثقيف، فنظرت في كتابي قريش و ثقيف. فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بليّ، فأنشدته منها ما استحسنه[2]؛ ثم قال: أنشدني في الشراب-و عنده وجوه من أهل الشام-فأنشدته: اصبح القوم قهوة # في أباريق تحتذى

من كميت[3]مدامة # حبّذا تلك حبذا

يترك الأذن شربها # أرجوانا بها خذا

فقال: أعدها، فأعدتها؛ فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا؛ قال: ثم حملنا و طرحنا في دار الضّيفان، فما أيقظنا إلا حرّ الشمس. و جعل شيخ من أهل الشأم يشتمني و يقول: فعل اللّه بك و فعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

أنشده الطرماح شعرا فزاد فيه و ادّعاه لنفسه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال حدّثني أبو عبيدة قال حدّثني يحيى بن صبيرة بن الطّرمّاح بن حكيم عن أبيه عن جدّه الطّرمّاح قال: أنشدت حمّادا الراوية في مسجد الكوفة[4]-و كان أذكى الناس و أحفظهم-قولي: /

بان الخليط بسحرة[5]فتبدّدوا

و هي ستون بيتا، فسكت ساعة و لا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال: أ هذه لك؟قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها عليّ كلّها و زيادة عشرين بيتا زادها فيها في وقته؛ فقلت له: ويحك!إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما اطلع/عليه أحد؛ قال: قد و اللّه قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة و إلا فعليّ و عليّ؛ فقلت: للّه على حجّة حافيا راجلا إن جالستك بعد هذا

أبدا؛ فأخذ قبضة من حصى المسجد و قال: للّه عليّ بكل حصاة من هذا الحصى [1]راجع الحاشية (رقم 2 ص 319 ج 5) من هذه الطبعة.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «ما أحسنته» .

[3]الكميت: الخمر التي تضرب حمرتها إلى السواد.

[4]هذه الكلمة زيادة عن ب، س و «مختار الأغاني» و «خزانة الأدب» .

[5]السحرة (كظلمة) : السحر الأعلى أي أوّل السحر.

مائة حجّة إن كنت أبالي؛ فقلت: أنت رجل ماجن و الكلام معك ضائع ثم انصرفت. قال دماذ: و كان أبو عبيدة و الأصمعي ينشدان بيتي الطّرمّاح في هذه القصيدة و هما: مجتاب حلّة برجد لسراته # قددا و أخلف ما سواه البرجد[1]

يبدو و تضمره البلاد كأنه # سيف على شرف يسلّ و يغمد

و كانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين[البيتين][2].

[1]هذان البيتان في وصف ثور. يقال: اجتاب القميص: لبسه. و البرجد: كساء من صوف أحمر، و قيل: هو كساء غليظ، أو هو كساء مخطط ضخم يصلح للخباء. و سراته: ظهره.

[2]زيادة عن أ، ء.

7-أخبار عبادل و نسبه

نسبه و منزلته من الغناء:

عبادل بن عطيّة مولى قريش، مكّيّ، مغنّ محسن متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب و سياط و دحمان. و كان حسن الوجه، نظيف الثياب ظريفا، و لم يفارق الحجاز و لا وفد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيره من طبقته و من[1]هو فوقها. و يقال إنه كان مقبول الشهادة.

صفته، و كان يغني مشيخة قريش و له صنعة كثيرة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حمّاد عن[2]ابن أبي جناح[3] قال:

كان عبادل بن عطية سريّا نبيلا نظيفا[4]ساكن الطّرف حسن العشرة، و كان يعاشر مشيخة قريش و جلّة أحداثها، فإذا أرادوا[5]الغناء منه غنّى فأحسن و أطرب. و كانت له صنعة كثيرة.

منها:

تقول يا عمّتا كفّي جوانبه # ويلي بليت و أبلى جيدي الشّعر

و منها:

أ من حذر البين ما ترقد # و دمعك يجري فما يجمد

/و منها:

إني استحيتك أن أفوه بحاجتي # فإذا قرأت صحيفتي فتفهّم

و منها:

قولا لنائل ما تقضين في رجل # يهوى هواك و ما جنّبته[6]اجتنبا

و منها:

علام ترين اليوم قتلي لديكم # حلالا بلا ذنب و قتلي محرّم

[قال][7]: و كانوا يقولون له: أ لا تكثر الصنعة؟فيقول: بأبي أنتم، إنما أنحته من صخر، و من أكثر أرذل.

[1]في حـ: «و من دونها و من فوقها» .

[2]كذا في حـ. و المعروف أن هارون بن محمد يروى عن حماد بن إسحاق و حماد عن أبيه و هذا عن ابن أبي جناح، و لم تعرف لحماد رواية عن ابن أبي جناح مباشرة. و في سائر الأصول: «حماد بن أبي جناح» و هو خطأ.

[3]ورد هذا الاسم فيما مر من الكتاب مضطربا بين: «ابن أبي جناح» و «ابن جناح» و لم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى.

[4]في حـ: «ظريفا» .

[5]في أ، حـ، ء: «فإذا أراد الغناء أو سئل غنى... إلخ» .

[6]جنبه (بالتضعيف) كتجانبه و اجتنبه و تجنبه و جانبه.

[7]زيادة عن حـ.

نسبة هذه الأصوات

صوت

أ من حذر البين ما ترقد # و دمعك يجري فما يجمد

دعاني إلى الحين فاقتادني # فؤاد إلى شقوتي يعمد

فلو أن قلبي صحا و ارعوى # لكان له عنكم مقعد

يبيد الزّمان و حبّي لكم # يزيد خبالا و ما ينفد

الغناء لعبادل ثقيل أوّل بالسبابة و الوسطى عن ابن المكّيّ. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل.

/و منها:

صوت

إني استحيتك أن أفوه بحاجتي # فإذا قرأت صحيفتي فتفهّم

و عليك عهد اللّه إن أنبأته # أهل السّيالة إن فعلت و إن لم

/هكذا قال ابن هرمة، و المغنّون يغنّونه:

و عليك عهد اللّه إن أخبرته # أحدا و إن أظهرته بتكلّم

الشعر لابن هرمة. و الغناء لعبادل.

طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمرا فوشى به إلى الوالي ففرّ هو و صحبه:

أخبرني[1]عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبد اللّه بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه: أنّ حسن بن[2]حسن بن عليّ كان صاحب شراب، و فيه يقول ابن هرمة: إني استحيتك أن أفوه بحاجتي # فإذا قرأت صحيفتي فتفهّم

و عليك عهد اللّه إن أنبأته # أحدا و لا أظهرته بتكلّم

قال عبد اللّه بن محمد الجعفريّ: و كان ابن هرمة-كما حدّثني أبي- يشرب هو و أصحاب له بشرف[3]السّيالة عند سمرة بالشّرف يقال لها سمرة جرانة[4]فنفد شرابهم؛ فكتب إلى حسن بن حسن[2]بن عليّ يطلب منه نبيذا، [1]يلاحظ أنه من هذا الموضع إلى آخر الترجمة أخبار لابن هرمة و للوابصي و نصيب و لم يرد بها عن عبادل شيء يذكر.

[2]كذا في جميع الأصول هنا و فيما يأتي عدا (حـ) فقد أوردته فيما يأتي: «حسن بن حسن بن حسين» . و لا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن علي لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذي ولد سنة 90 هـ. و الصحيح أنها مع ابنه إبراهيم و قد كان ابن هرمة متصلا به و بأخويه. و قد أورد صاحب «الأغاني» هذه القصة في أخبار علويه (ج 10 طبع بولاق) منسوبة إلى ابنه إبراهيم هذا.

[3]شرف السيالة: منزل بين ملل و الروحاء. و في حديث عائشة رضي اللّه عنها: «أصبح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ثم راح فتعشى بشرف السيالة و صلى الصبح بعرق الظبية» .

[4]لم نستطع ضبط هذا الاسم لخلوّ المعاجم التي بين أيدينا منه.

و كتب إليه بهذين البيتين. فلما قرأ حسن رقعته قال: و أنا على عهد اللّه إن لم أخبر به عامل السّيالة، أ منّي يطلب الدعيّ الفاعل نبيذا!و كتب إلى عامل السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته، فقال له: إن ابن هرمة و أصحابه السفهاء يشربون عند سمرة جرانة، فاخرج فحدهم؛ /فخرج إليه العامل بأهل السّيالة؛ و أنذر بهم ابن هرمة فسبقهم هربا، و تعلّق هو و أصحابه بالجبل ففاتوهم. و قال في حسن: كتبت إليك أستهدي نبيذا # و أدلي بالجوار و بالحقوق

فخبّرت الأمير بذاك غدرا # و كنت أخا مفاضحة و موق[1]

و منها:

صوت

علام ترين اليوم قتلي لديكم # حلالا بلا ذنب و قتلي محرّم

لك النفس ما عاشت وقاء من الرّدى # و نحن لكم فيما تجنّبت[2]أظلم

و أما صنعته في:

قولا لنائل ما تقضين في رجل

فإن الشعر لمسعدة[3]بن البختريّ ابن أخي المهلّب بن أبي صفرة. و الغناء لعبادل. و قد ذكرت ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد، لأن نائلة التي عنّيت[4]بهذا الشعر هي بنت[5]الميلاء، و لها أخبار ذكرت في موضع منفرد صلحت له.

/و منها:

صوت

تقول يا عمّتا كفّي جوانبه # ويلي بليت و أبلى جيدي الشّعر

مثل الأساود قد أعيا مواشطه # تضلّ فيه مداريها و تنكسر[6]

فإن نشرت على عمد ذوائبها # أبصرت منه فتيت المسك ينتثر

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لعبادل ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه خفيف ثقيل/ينسب إلى دحمان و إلى الغريض و إلى عبادل أيضا.

[1]الموق: الحمق.

[2]يحتمل أن تكون الرواية فيه: «فيما تجنيت» (بالياء المثناة من تحت) .

[3]كذا في حـ. و له ترجمة في «الأغاني» (ج 12 ص 77-78 طبع بولاق) . و في سائر الأصول هنا: «لسعيد بن البحتري» و هو تحريف.

[4]في ب، س: «غنت» و هو تحريف.

[5]كذا في جميع الأصول. و المعروف أن نائلة التي شبب بها ابن البختري كما ذكر أبو الفرج هي نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أسيد (بضم أوله و فتح ثانيه و تشديد الياء المثناة و كسرها) ابن عمرو بن تميم. و كان أبوها سيدا شريفا، و كان على شرط العراق من قبل الحجاج. و لم نجد ذكرا لنائلة بنت الميلاء في أخبار مسعدة و لا في موضع آخر من هذا الكتاب.

[6]الأساود: الحيات السود، واحدها أسود. و المداري: جمع مدرى، و هو المشط.

صوت من المائة المختارة

ليست نعم منك للعافين مسجلة[1] # من التخلّق لكن شيمة خلق

يكاد بابك من علم بصاحبه # من دون بوّابه للناس يندلق[2]

شعران متشابهان لابن هرمة و طريح بن إسماعيل الثقفي:

لإسحاق في هذين البيتين لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. و ذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطريح. و ذكر يعقوب بن السّكّيت أنه لابن هرمة. و الغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاة العبلات خفيف رمل بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هرمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك؛ و من ذكر أنها لطريح ذكر أنها من قصيدة له/يمدح بها الوليد بن يزيد.

و الصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطريح و الثاني لابن هرمة. فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد و هي طويلة، يقول في تشبيبها: تقول و العيس قد شدّت بأرحلها[3] # الحقّ أنّك[4]منا اليوم منطلق؟

قلت نعم فاكظمي قالت و ما جلدي # و لا أظنّ اجتماعا حين نفترق

فقلت إن أحي لا أطول بعادكم # و كيف و القلب رهن عندكم غلق[5]

فارقتها لا فؤادي من تذكّرها # سالي الهموم و لا حبلي لها خلق

فاضت على إثرهم عيناك دمعهما # كما تتابع يجري اللؤلؤ النّسق[6]

صوت

فاستبق عينك[7]لا يودي البكاء بها # و اكفف بوادر دمع منك تستبق

ليس الشئون و إن جادت بباقية # و لا الجفون على هذا و لا الحدق

[1]مسجلة: مبدولة أو مرسلة.

[2]اندلاق الباب: انفتاحه سريعا و هو مطاوع دلق الباب إذا فتحه فتحا شديدا.

[3]في حـ: «بأرحلنا» .

[4]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «الحق فإنك» .

[5]كذا في حـ. و غلق الرهن غلقا (من باب فرح) : استحقه المرتهن. و في سائر الأصول: «علق» (بالعين المهملة) و هو تصحيف.

[6]النسق: المنظم.

[7]كذا في حـ. و في ب، س: «عينيك» . ـ

-لإسحاق[1]في هذين البيتين لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو- يقول فيها في مدح الوليد: و ما نعم منك للعافين مسجلة # من التخلّق لكن شيمة خلق

ساهمت فيها و لا فاختصصت بها # و طار قوم بلا و الذمّ فانطلقوا

/قوم هم[2]شرف الدنيا و سوددها # صفو على الناس لم يخلط بهم رنق

إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا # أو عاقدوا ضمنوا[3]أو حدّثوا صدقوا

و أما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء و ما قبله و ما بعده منها.

و من أبي أحمد[4]رحمه اللّه سمعنا ذلك أجمع. و لكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق.

و لعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحد الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله و سرقه من قائله.

ابن هرمة و مدحه عبد الواحد بن سليمان و تعريضه بالعباس بن الوليد:

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، و حدّثني به وكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة-و خبره أتم-قال: قال العبّاس/ بن الوليد بن عبد الملك-و كان بخيلا لا يحبّ أن يعطي أحدا شيئا-ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع و لا تمدحني!. فبلغ ذلك ابن هرمة، و كان قد مدحه فلم يثبه، فقال يعرّض به و يمدح عبد الواحد بن سليمان: و معجب بمديح الشّعر يمنعه # من المديح ثواب المدح و الشّفق

يا آبى المدح من قول يحبّره[5] # ذو نيقة[6]في حواشي شعره أنق[7]

إنك و المدح كالعذراء يعجبها # مسّ الرجال و يثني قلبها الفرق

/لكن بمدين من مفضى سويمرة[8] # من لا يذمّ و لا يشنأ له خلق

أهل المدائح تأتيه فتمدحه # و المادحون إذا قالوا له صدقوا

-يعني عبد الواحد بن سليمان-:

لا يستقرّ[9]و لا تخفى علامته # إذا القنا شال في أطرافها الحرق[10]

[1]في حـ: «لإسماعيل» و هو ابن جامع. و له و لإسحاق يروي عمرو بن بانة.

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «قوم لهم» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «حكموا» .

[4]هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم من شيوخ أبي الفرج. (راجع ترجمته في الحاشية رقم 3 ص 17 من تصدير هذا الكتاب) .

[5]في حـ: «تخيره» .

[6]النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان في منطقه و ملبسه و أموره إذا تجوّد و بالغ.

[7]كذا في حـ. و الأنق (بفتح النون) : الروعة و الحسن. و في سائر الأصول: «من حواش شعره أنق» .

[8]كذا في حـ و «معجم البلدان» (ج 3 ص 202) . و مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة و الشام على ست مراحل. و سويمرة: موضع في نواحي المدينة. و في أ، ء، م: «مقصى سوتمرة» و في ب، س: «مقصى سويمرة» .

[9]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «لا يستفز» .

[10]شال: ارتفع. و الحرق (محركة) : لهب النار.

في يوم لا مال عند المرء ينفعه # إلا السّنان و إلا الرمح[1]و الدّرق

يطعن بالرمح أحيانا و يضربهم # بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق

و هذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير و من مهلهل جميعا، فإنهما سبقا إليه. قال مهلهل و هو أقدمهما: أنبضوا[2]معجس[3]القسيّ و أبرق[4] # نا كما توعد الفحول الفحولا

يعني أنهم لما أخذوا القسيّ ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم و يكافحوهم بها[5].

و قال زهير-و هو أشرح من الأوّل-:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطّعنوا # ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلا لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يكاد بابك من جود و من كرم # من دون بوّابه للناس يندلق

/-و يروى: «إذا أطاف به الجادون» . و «العافون» أيضا. و يروى: «ينبلق» -:

مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضي عنه بشفاعة عبد اللّه بن الحسن:

إنّي لأطوي رجالا أن أزورهم # و فيهم عكر الأنعام و الورق[6]

طيّ الثياب التي لو كشّفت وجدت # فيها المعاوز[7]في التفتيش و الخرق

و أترك الثوب يوما و هو ذو سعة # و ألبس الثوب و هو الضيّق الخلق

إكرام نفسي و أني لا يوافقني # و لو ظمئت فحمت المشرب الرّنق[8]

قال هارون[9]بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان-و هو إذ ذاك أمير الحجاز-فأمر له بثلاثمائة دينار و خلعة موشيّة من ثيابه، و حمله على فرس و أعطاه ثلاثين لفحة و مائة شاة، و سأله عما يكفيه في كل سنة و يكفي عياله من البرّ و التمر، فأخبره به؛ فأمر له بذلك أجمع لسنة، و قال له: هذا لك عليّ ما دمت و دمت في الدنيا، و اقتطعه لنفسه[10]و أنس به، و قال له: لست بمحوجك إلى غيري أبدا. فلما عزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالي

مكانه و امتدحه. و لم يلبث أن ولي/عبد الواحد بعد ذلك و بلغه [1]في حـ: «و إلا السيف» .

[2]كذا في حـ. و أنبض الرامي القوس و عن القوس: جذب وترها لتصوت. و في سائر الأصول: «انتضوا» ، و هو تصحيف.

[3]المعجس (كمجاس) : مقبض القوس.

[4]أبرق الرجل: لمع بسيفه.

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و يكافحوهم بالسيوف» .

[6]العكر (محركة) : جمع عكرة و هي القطيع الضخم من الإبل، قيل: هي ما فوق خمسمائة من الإبل، و قيل: ما بين الخمسين إلى المائة. و الورق: المال من الإبل و الغنم.

[7]كذا في حـ. و المعاوز: خلقان الثياب المبتذلة، واحدها معوز. و في سائر الأصول: «العواوير» و هو تحريف.

[8]الرنق: الكدر.

[9]هو هارون بن محمد بن عبد الملك الذي ورد في سند هذا الخبر.

[10]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و اقتطعه إلى نفسه» .

الخبر، فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة و طرده و جفاه، حتى تحمّل[1]عليه بعبد اللّه بن الحسن[بن الحسن][2]، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ، و أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشيّ-و خبره أتم-قال الرياشيّ حدّثني أبو سلمة الغفاريّ قال قال ابن[3]ربيح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال: أوّل من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحدا غيره، و كان واليا على المدينة، و كان لا يدع برّي وصلتي و القيام بمئونتي. فلم ينشب أن عزل و ولّي غيره مكانه، و كان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعتني نفسي إلى مدحه طمعا أن يهب لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قدم عبد الواحد المدينة، فأخبر أنّي مدحت الذي عزل به، فأمر بي فحجبت عنه، و رمت الدخول عليه فمنعت، فلم أدع بالمدينة وجها و لا رجلا له نباهة و قدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يعيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب -صلوات اللّه عليه و عليهم-فقلت: يا ابن رسول اللّه، إن هذا الرجل قد كان يكرمني و أخذ عليّ ألاّ أمدح غيره، فأعطيته بذلك عهدا، ثم دعاني الشّره و الكدّ إلى أن مدحت الوالي بعده. و قصصت عليه قصتي و سألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد اللّه بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه و أجلسه إلى جنبه، ثم قال: أ حاجة غدت بك أصلحك اللّه؟قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابن هرمة؛ فقال له: إن رأيت ألاّ تستثني في حاجتي فافعل؛ قال: قد فعلت؛ قال: فحاجتي ابن هرمة؛ /قال: قد رضيت عنه و أعدته إلى منزلته؛ قال: فتأذن له أن ينشدك؛ قال: تعفيني من هذه؛ قال: أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه و أنشدته قولي فيه: وجدنا غالبا كانت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

قال فغضب عبد اللّه بن الحسن حتى انقطع رزّه[4]ثم وثب مغضبا، و تجوّزت في الإنشاد ثم لحقته فقلت له: جزاك اللّه خيرا يا ابن رسول اللّه؛ فقال: و لكن لا جزاك اللّه خيرا يا ماصّ بظر أمه، أ تقول لابن مروان: و كان أبوك قادمة الجناح

بحضرتي و أنا ابن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و سلم-و ابن عليّ بن أبي طالب-عليه السلام-!فقلت: جعلني اللّه فداك، إني قلت قولا أخدعه به طلبا لدنياه، و و اللّه ما قست بكم أحدا قطّ. أ فلم تسمعني قد قلت فيها: و بعض القول يذهب بالرياح

فضحك عبد اللّه و قال: قاتلك اللّه، ما أظرفك!.

[1]تحمل بفلان على فلان: تشفع به إليه.

[2]زيادة عن حـ.

[3]في أكثر الأصول هنا: «قال ربيح» . و في حـ: «قال ربيحة» و كلاهما تحريف (راجع الحاشية رقم 1 ص 374 من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

[4]الرز: الصوت. و في جميع الأصول: «زره» و هو تصحيف.

حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد:

و هذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر و نادر الكلام و من جيّد شعر ابن هرمة خاصة، أولها: صرمت حبائلا من حبّ سلمى # لهند ما عمدت لمستراح[1]

فإنك إن تقم لا تلق هندا # و إن ترحل فقلبك غير صاحي

/يظلّ نهاره يهذي بهند # و يأرق ليله حتى الصباح

/أعبد الواحد المحمود إني # أغصّ حذار سخطك بالقراح

فشلّت راحتاي و جال مهري # فألقاني بمشتجر الرماح

و أقعدني الزمان فبتّ صفرا # من المال المعرّب و المراح

إذا فخّمت غيرك في ثنائي # و نصحي في المغيبة و امتداحي

كأن قصائدي لك فاصطنعني # كرائم قد عضلن عن النكاح

فإن أك قد هفوت إلى أمير # فعن غير التطوّع و السماح

و لكن سقطة عيبت[2]علينا # و بعض القول يذهب في الرياح

لعمرك إنني و بني عديّ[3] # و من يهوى رشادي أو صلاحي

إذا لم ترض عنّي أو تصلني # لفي حين أعالجه متاح

و إنك إن حططت إليك رحلي # بغربيّ الشّراة[4]لذو ارتياح

هششت لحاجة و وعدت أخرى # و لم تبخل بناجزة السّراح

وجدنا غالبا خلقت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

إذا جعل البخيل البخل ترسا # و كان سلاحه دون السلاح

فإنّ سلاحك المعروف حتى # تفوز بعرض ذي شيم صحاح

سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العمريّ قال حدّثني عبد اللّه بن إبراهيم الجمحيّ قال: قلت لابن هرمة: أ تمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت: /

وجدنا غالبا كانت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

[1]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «ما عهدت بمستراح» . و في ب، س: «ما عهدت لمستراح» .

[2]كذا في حـ. و في ب، س: «عيت» . و قد ورد هذا الشطر في سائر الأصول غير مستقيم المعنى.

[3]بنو عدي: هم قوم ابن هرمة. وعدي هذا: هو عدي بن قيس بن الحارث بن فهر.

[4]الشراة: صقع بالشام بين دمشق و مدينة الرسول صلى اللّه عليه و سلم.

ثم تقول فيها:

أعبد الواحد الميمون[1]إني # أغصّ حذار سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك؟فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة[2]بالمدينة، فاستنهضتني بنت عمّي للخروج؛ فقلت لها: ويحك!إنه ليس عندي ما يقلّ جناحي؛ فقالت: أنا أنهضك بما أمكنني، و كانت عندي ناب لي فنهضت عليها نهجّد النوّام و نؤذي السمّار، و ليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة!حتى دفعت إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق[3]عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين، و تأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمت فدنوت منه و سلّمت عليه؛ فقال لي: أبو إسحاق!أهلا و مرحبا؛ فقلت لبّيك، بأبي أنت و أمي!و حيّاك اللّه بالسلام و قرّبك من رضوانه؛ فقال: أ ما آن لك أن تزورنا؟فقد طال العهد و اشتدّ الشوق، فما وراءك؟قلت: لا تسلني-بأبي أنت و أمي-فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثا غيرك؛ فقال: لا ترع فقد وردت على ما تحب إن شاء/ اللّه. فو اللّه إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان[4]، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني و دون أخويه؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى، فلم يلبث أن خرج و معه عبد ضابط[5]يحمل عبئا من الثياب حتى ضرب به بين يديّ؛ ثم همس إليه ثانية فعاد، /و إذا به قد رجع و معه مثل ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادن يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفاقم صدعك، فخذ هذا و ارجع إلى عيالك، فو اللّه ما سللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا؛ و دفع إليّ ألف دينار، و قال لي: قم فارحل فأغث من وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضقت؛ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مبلغتك، يا غلام، قدّم له جملي فلانا. فو اللّه لقد كنت بالجمل أشدّ سرورا مني بكل ما نلته؛ فهل تلومني أن أغصّ حذار سخط هذا بالقراح!و و اللّه ما أنشدته ليلتئذ بيتا واحدا.

مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أمية ثم أكرمه:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال حدّثني عثمان[6]بن حفص الثّقفيّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين-صلّى اللّه عليه-قال: دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة و هو جالس في

دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هرمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني اللّه فداءك، شاعرك و صنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هات؛ فأنشده قوله: سرى[7]ثوبه عنك الصّبا المتخايل

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «المحمود» و قد اتفقت عليها جميع الأصول قبل هذا الموضع بقليل.

[2]في حـ: «أصابتني أزمة و قحمة بالمدينة» . و القحمة السنة الشديدة و القحط.

[3]في حـ: «ينبلق» .

[4]الأشطان: جمع شطن و هو الحبل، و قيل الحبل الطويل.

[5]ضابط: قوي شديد.

[6]كذا في حـ. و قد مر في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة: و في سائر الأصول هنا: «عمر بن حفص الثقفي» .

[7]سرى عنه الثوب: كشفه.

حتى انتهى إلى قوله:

له لحظات عن حفافي[1]سريره # إذا كرّها فيها عقاب و نائل

فأمّ الذي آمنت آمنة الرّدى # و أمّ الذي خوّفت بالثّكل ثاكل

/فقال له المنصور: أما لقد رأيتك في هذه الدار قائما بين يدي عبد الواحد بن سليمان تنشده قولك فيه: وجدنا غالبا كانت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

قال: فقطع بابن هرمة حتى ما قدر على الاعتذار؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، و كل ذلك يقول الشاعر، و قد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق[2]شيئا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يجرى عليه منها ما يكفيه و يكفي عياله و يكتب بذلك إلى صاحب الجاري[3]أن يجريها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: و إنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مغضبا عليه لقوله يمدح عبد اللّه بن حسن: ما غيّرت وجهه أمّ مهجّنة # إذا القتام تغشّى أوجه الهجن

حدّثني يحيى بن علي بن يحيى، و أخبرنا ابن أبي الأزهر و جحظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، و لم يقله الآخران: دخل ابن هرمة على المنصور و قال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحا لم يمدح أحد أحدا بمثله؛ /قال: و ما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[4]في المهلّب: /

براك اللّه حين براك بحرا # و فجّر منك أنهارا غزارا

فقال له: قد قلت أحسن من هذا؛ قال: هات، فأنشده قوله:

له لحظات عن[5]حفافي سريره # إذا كرّها فيها عقاب و نائل

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوها؛ فقال له المنصور: يا بنيّ، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبت له نفسه، أ ليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان: إذا قيل من خير من يرتجى # لمعترّ[6]فهر و محتاجها

و من يعجل الخيل يوم الوغى # بإلجامها قبل إسراجها

أشارت نساء بني غالب # إليك به قبل أزواجها

[1]حفاف الشيء: جانبه.

[2]لا يليق شيئا: أي ما يمسكه و لا يلصق به.

[3]كذا في ب، س. و الظاهر أنه يريد بالجاري الدائم المتصل من الوظائف. و في سائر الأصول: «الجار» .

[4]هو كعب بن معدان، من الأزد و أمه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب. و هذا البيت من قصيدة له يمدح بها المهلب و يذكر قتاله الأزارقة. و له ترجمة تقع في «الأغاني» (ج 13 ص 56-64 طبع بولاق) .

[5]كذا في حـ هنا و فيما مضى في جميع الأصول. و في سائر الأصول هنا: «في» .

[6]المعتر: الفقير و المتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

و هذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، و أولها: أجارتنا روّحي نغمة # على هائم النفس مهتاجها

و لا خير في ودّ مستكره # و لا حاجة دون إنضاجها

-يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان-:

كأن قتودي على خاضب # زفوف العشيّات هدّاجها[1]

إلى ملك لا إلى سوقة # كسته الملوك ذرى تاجها

تحلّ[2]الوفود بأبوابه # فتلقى الغنى قبل إرتاجها

بقرّاع أبواب دور الملو # ك عند التحية ولاّجها

/إلى دار ذي حسب ماجد # حمول المغارم فرّاجها

ركود[3]الجفان غداة الصّبا # و يوم الشّمال و إرهاجها[4]

وقفت بمدحيه عند الجما[5] # ر أنشده بين حجّاجها

دس المنصور إليه من يسمع منه مدحه لعبد الواحد ففطن لذلك و أنشده من شعره في المنصور و أخذ جائزته:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد قال حدّثني أبو إسحاق طلحة بن عبد اللّه الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان[6]بن المنصور قال: وجّه المنصور رسولا قاصدا إلى ابن هرمة و دفع إليه ألف دينار و خلعة، و وصفه له و قال: امض إليه؛ فإنك تراه جالسا في موضع كذا من المسجد، فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم، و سله أن ينشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان: وجدنا غالبا كانت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد و اضرب عنقه و جئني برأسه؛ و إن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألف الدينار و الخلعة، و ما أراه ينشدك غيرها و لا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه و استنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدة قطّ و لا أعرفها و إنما نحلها إياي/من يعاديني، و لكن إن شئت أنشدتك أحسن منها؛ قال: قد شئت فهات؛ فأنشده: سرى ثوبه عنك الصّبا المتخايل

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له: هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيّ شيء تقول يا هذا و أيّ [1]القتود: جمع قتد و هو خشب

الرحل. و الخاضب: ذكر النعام. و زفوف: حسن المشي سريعه. و الهدّاج: الذي في مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش.

[2]في س: «تحلى» و هو تحريف.

[3]الركود من الجفاف: الثقيل المملوء.

[4]الإرهاج: الإمطار.

[5]الجمار: اسم موضع بمنى و هو موضع الجمرات الثلاث.

[6]في حـ: «محمد بن سليمان المنصور» .

شيء دفع إليّ؟فقال: دع ذا عنك، فو اللّه/ما بعثك إلا أمير المؤمنين و معك مال و كسوة إليّ، و أمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربت عنقي و حملت رأسي إليه، و إن أنشدتك هذه اللامية دفعت إلى ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقت لعمري؛ و دفع إليه الألف الدينار و الخلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما.

استقل المهدي على المنصور جائزته فأجابه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عمّي عن جدّي قال: لما أنشد ابن هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف[1]درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ و استقلّها؛ فقال يا بني، لو رأيت هذا بحيث رأيته و هو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان ينشده: وجدنا غالبا كانت جناحا # و كان أبوك قادمة الجناح

لا ستكثرت له ما استقللته، و لرأيت أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير. و اللّه إني يا بنيّ ما هممت له منذ يومئذ بخير فذكرت قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهمّ بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهديّ.

بعض شعره الذي يغني فيه:

و مما يغنّي فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتا لغيره:

صوت

و لما أن دنا منّا ارتحال # و قرّب ناجيات السير كوم[2]

تحاسر واضحات اللون زهر # على ديباج أوجهها النعيم

/أتين مودّعات و المطايا # لدى أكوارها خوص هجوم[3]

فكم من حرة بين المنقّى[4] # إلى أحد إلى ما حاز ريم[5]

و يروى:

فكم بين الأقارع[6]فالمنقّى

و هو أجود.

إلى الجمّاء[7]من خدّ أسيل # نقّي اللون ليس به كلوم

[1]في أ، ء: «بألفي» .

[2]الناجيات: النوق السريعة تنجو بمن ركبها. و الكوم: النوق الضخمة السنام.

[3]خوص: جمع أخوص و خوصاء، و الخوص: ضيق العين و صغرها و غئورها. و هجمت العين هجوما: غارت و دخلت في موضعها.

[4]المنقى: طريق بين أحد و المدينة.

[5]الريم: (بالكسر و الهمز و سهل) : واد لمزينة قرب المدينة.

[6]الذي في المعاجم: الأقرع (بالإفراد) و هو جبل بين مكة و المدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر. و قد تقدّم غير مرة أنه يسوغ في الشعر أن يجيء اسم المكان مفردا و مثنى و مجموعا حسب الضرورة الشعرية و الكل واحد.

[7]الجماء: جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (بضم الجيم و سكون الراء) ، و قيل: هي إحدى هصبتين عن

كأنّي من تذكّر ما ألاقي # إذا ما أظلم الليل البهيم

سليم ملّ منه أقربوه # و أسلمه المداوي و الحميم

ذكر الزّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبي المنهال نفيلة[1]الأشجعيّ. قال[2]: و سمعت بعض أصحابنا يقول: إنه لمعمر بن العنبر[3]الهذليّ. و الصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان/مخفوضة الميم، و لمّا غنّي فيها و في أبيات نفيلة و خلط فيه ما أوجب خفض القافية غيّر إلى ما أوجب رفعها. فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها: أجارتنا بذي نفر[4]أقيمي # فما أبكى على الدهر الذميم

/أقيمي وجه عامك ثم سيري # بلا واهي الجوار و لا مليم

فكم بين الأقارع فالمنقّى # إلى أحد إلى أكناف ريم

إلى الجمّاء من خدّ أسيل # نقيّ اللون ليس بذي كلوم

و من عين مكحّلة الأماقي # بلا كحل و من كشح هضيم

أرقت و غاب عنّي من يلوم # و لكن لم أنم أنا للهموم

أرقت و شفّني وجع بقلبي # لزينب أو أميمة أو رعوم

أقاسي ليلة كالحول حتى # تبدّى الصح منقطع البريم[5]

كأنّ الصبح أبلق في حجول # يشبّ و يتّقي ضرب الشّكيم

رأيت الشّيب قد نزلت علينا # روائعه بحجة مستقيم

إذا ناكرته ناكرت منه # خصومة لا ألدّ و لا ظلوم

و ودّعني الشباب فصرت منه # كراض بالصغير من العظيم

فدع ما لا يردّ عليك شيئا # من الجارات أو دمن الرسوم

و قل قولا تطبّق[6]مفصليه # بمدحه صاحب الرأي الصّروم[7]

يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة. و قيل: الجماوات ثلاث بالمدينة: جماء قضارع التي تسيل على قصر أم عاصم و بئر عروة، و جماء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري و ما والاه، و جماء العاقر و بينها و بين جماء أم خالد فسحة و هي تسيل على قصور جعفر بن سليمان و ما والاها.

[1]في أ، ء هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول ما عدا ب، س: «بقيلة» (بالباء و القاف) .

[2]كلمة «قال» ساقطة في حـ.

[3]في حـ: «العنبري» و لم نوفق لترجيح إحدى الروايتين.

[4]كذا في أكثر الأصول. و ذو نفر (بالتحريك، و يروى بالسكون) : موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها و بين الربذة، و قيل: خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة. و في حـ: «بذي بقر» . و ذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة. و ذو نفر و ذو بقر متقاربان.

[5]البريم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل.

[6]تطبق مفصليه: تصيب فيه الحجة، و أصله: إصابة المفصل و هو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما.

[7]الصروم: القاطع. ـ

لعبد الواحد الفلج[1]المعلّى # علا خلق النّفورة[2]و الخصوم

دعته المكرمات فناولته # خطام المجد في سنّ الفطيم

و هي طويلة. فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة؛ و إنما غيّرت حتى صارت مرفوعة، فاتّفقت الأبيات و غنّي فيها. و أما أبيات نفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. و يتلو ذلك من أبيات نفيلة قوله: يضيء دجى الظلام إذا تبدّى # كضوء الفجر منظره وسيم

و قائلة و مثنية علينا # تقول و ما لها فينا حميم

و أخرى لبّها معنا و لكن # تصبّر و هي واجمة كظوم

تعدّ لنا الليالي تحتصيها # متى هو حائن منه[3]قدوم

متى تر غفلة الواشين عنها[4] # تجد بدموعها العين السّجوم

و الغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعر ابن هرمة و نفيلة لمعبد، و لحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو و يونس. و فيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابصيّ. و فيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد و إلى ابن سريج.

الوابصي و أخباره:

و هذا الوابصيّ هو الصّلت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم.

حدّه عمر بن عبد العزيز في الخمر فذهب إلى بلاد الروم و تنصر و مات نصرانيا:

كان تنصّر و لحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز-فيما ذكر-حدّه في الخمر، و هو أمير الحجاز، فغضب فلحق ببلاد الروم و تنصّر هناك، و مات هنالك نصرانيا.

/رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى: فأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد اللّه بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء[5]-أظنه أبا عمرو أو أخاه-عن جويرية بن أسماء/عن إسماعيل بن أبي حكيم، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا

سعيد بن عامر[6]عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، و قد جمعت الروايتين، قال اليزيديّ في خبره: إن إسماعيل حدّث: أن عمر بن [1]الفلج: الظفر و الغلب.

[2]نفورة الرجل: نافرته و هي أسرته و فصيلته التي تغضب لغضبه.

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «منا» .

[4]في حـ: «يوما» .

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «ابن أبي العلاء» ، و هو تحريف.

[6]هو سعيد بن عامر الضبعي (بضم المعجمة و فتح الموحدة) أبو محمد البصري و هو ابن أخت جويرية بن أسماء و عنه يروى. و قد ورد في حـ: «سعيد بن عامر بن جويرية... إلخ» . و ورد في سائر الأصول: «سعيد بن عباس» ، و كلاهما تحريف.

عبد العزيز بعث في الفداء. و قال عمر بن شبّة: إن إسماعيل حدّث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدّثه قال: بينا أنا أجول في القسطنطينية إذ سمعت رجلا يغنّي بلسان فصيح و صوت شج: فكم من حرّة بين المنقّى # إلى أحد إلى جنبات ريم

فسمعت غناء لم أسمع قطّ أحسن منه. فلما سمعت الغناء و حسنه، لم أدر أ هو كذلك حسن، أم لغربته و غربة العربيّة في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قربت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مستلق على قفاه يغنّي هذين البيتين[1]لا يزيد عليهما و هو واضع إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء اللّه ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مرارا؛ فقلت: السلام عليكم؛ فوثب و ردّ السلام؛ فقلت: أبشر فقد فكّ اللّه أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء/الأسارى. ثم سألته: من أنت؟فقال: أنا الوابصيّ، أخذت فعذّبت حتى دخلت في دينهم؛ فقلت له: أنت و اللّه أحبّ من أفتديه إلى أمير المؤمنين و إليّ إن لم تكن دخلت في الكفر؛ فقال: قد و اللّه دخلت فيه؛ فقلت: أنشدك اللّه إلاّ أسلمت؛ فقال: أ أسلم و هذان ابناي و قد تزوجت امرأة منهم و هذان ابناها، و إذا دخلت المدينة قيل لي يا نصرانيّ و قيل مثل ذلك لولديّ و أمهما!لا و اللّه لا أفعل. فقلت له: قد كنت قارئا للقرآن فما بقي معك منه؟قال: لا شيء إلا هذه الآية **رُبَمَا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** . قال: فعاودته و قلت له: إنك لا تعيّر بهذا؛ فقال: و كيف بعبادة الصليب و شرب الخمر و أكل لحم الخنزير؟فقلت: سبحان اللّه!أ ما تقرأ: **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** فجعل يعيد عليّ قوله: فكيف بما فعلت!و لم يجبني إلى الرجوع. قال: فرفع عمر يده و قال: اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه. قال: فو اللّه ما زلت راجيا لإجابة دعوة عمر فيه. قال جويرية في حديثه: و قد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة.

لقبه رجل بصري فأخبره أن سبب تنصره عشقه لامرأة منهم:

و قال يعقوب بن السّكّيت في هذا الخبر. أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال: نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن: فكم بين الأقارع فالمنقّى # إلى أحد إلى ميقات ريم

إلى الزّوراء[2]من ثغر نقيّ # عوارضه و من دلّ رخيم

و من عين مكحّلة الأماقي # بلا كحل و من كشح هضيم

/و هو ينشد بلسان فصيح و يبكي، فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتى كأحسن الناس. فقلت: من الرجل و ما قصتك؟فقال: أنا رجل من الغزاة من العرب نزلت مكانك هذا، فأشرفت/عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتها فكلّمتها؛ فقالت: إن دخلت في ديني لم أخالفك؛ فغلب عليّ الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: [1]يلاحظ أن الذي تقدم بيت واحد.

[2]الزوراء: اسم يطلق على أكثر من موضع. و الظاهر أنه يريد بها هنا موضعا عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة في البيت السابق.

أ كنت تقرأ القرآن؟فقال: إي و اللّه لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم؟قال: لا شيء إلا قوله عزّ و جلّ: **رُبَمَا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** . قلت: فهل لك أن نعطيهم[1]فداءك و تخرج؟قال: ففكّر ساعة ثم قال: انطلق صحبك اللّه.

بعض ما ورد في شعر ابن هرمة من الأخبار:

<و مما في الأخبار من شعر ابن هرمة>

صوت من المائة المختارة

في حاضر لجب بالليل سامره # فيه الصواهل و الرايات و العكر[2]

و خرّد كالمها حور مدامعها # كأنها بين كثبان النّقا البقر

الشعر لابن هرمة. و الغناء في اللحن المختار لحنين، و لحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: و فيه لأبي همهمة لحن من الثقيل الأوّل أيضا. و أبو همهمة هذا مغنّ أسود من أهل المدينة، ليس بمشهور و لا ممن نادم الخلفاء و لا وجدت له خبرا فأذكره.

صوت من المائة المختارة

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب # و قل إن تملّينا فما ملّك القلب

و قل في تجنّيها لك الذنب: إنما # عتابك من عاتبت فيما له عتب

الشعر لنصيب. و الغناء في اللحن المختار لكردم بن معبد، و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس و الهشاميّ و دنانير. و فيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ.

بعض أخبار لنصيب:

و قد تقدّم من أخبار نصيب ما فيه كفاية، و إنما تأخر منها ما له موضع يصلح إفراده فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

ذكر عن نفسه أنه قال شعرا فعلم أنه شاعر:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كناسة قال: [1]في حـ: «أن نعظم لهم فداءك» .

[2]الحاضر: الحي العظيم. و السامر: المتسامرون. و العكر: جمع عكرة (محركة) و هي القطعة من الإبل، قيل: ما فوق خمسمائة، و قيل: ما بين الخمسين إلى المائة.

قال نصيب: ما توهمت أني أحسن أن أقول الشعر حتى قلت:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

سمع جميل و جرير من شعره فتمنيا لو أنهما سبقاه إليه:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن محمد بن معن الغفاريّ قال أخبرني ابن الربيح[1]قال: مرّ بنا جميل و نحن بضريّة[2]، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت الأسود إلى قوله: /

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

أحبّ إليّ من كذا و كذا-لشيء قاله عظيم-.

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حبيب[3]بن شوذب الأسديّ قال: مرّ بنا جرير بن الخطفي و نحن بضريّة، فاجتمعنا/إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت العبد إلى هذا البيت أحبّ إليّ من كذا و كذا؛ يعني قوله: بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

أنشده الكميت من شعره و بكى:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع الكميت بن زيد و نصيب في الحمّام، فقال له الكميت: أنشدني قولك: بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

فقال: و اللّه ما أحفظها؛ فقال الكميت: لكنّي أحفظها، أ فأنشدك إياها؟ قال نعم، فأقبل الكميت ينشده و هو يبكي.

كان مع زوجته فمر به ابن سريج يتغنى بشعر له فيها فلامته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبي قالا[4]حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر ابن أبي الحويرث عن مولاة لهم، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن مولاة لهم قالت: إنا لبمنى إذ نظرت/إلى أبنية مضروبة و أثاث و أمتعة، فلم أدر لمن هي، حتى أنيخ بعير، فنزل عنه أسود و سوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، و مرّ راكب يتغنّى غناء الركبان: [1]كذا في أ، ء. و في ب، س: «الذبيح» . و في حـ، م: «الزبيح» ، و كلاهما تحريف. (راجع الحاشية رقم 1 ص 374 من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

[2]ضرية: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد. و قيل: هي صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية المعروف، يليه أمراء المدينة و ينزل به حاج البصرة بين الجديلة و طخفة.

[3]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «حبيب بن شوذب» . و المعروف بابن شوذب هو عبد اللّه أبو عبد الرحمن البلخي، و قد تقدّم في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب.

[4]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «قال» . و هو تحريف.

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

فرأيت السوداء تخبط الأسود و تقول له: شهّرتني و أذعت في الناس ذكري[1]؛ فإذا هو نصيب و زوجته. قال إسحاق في خبره: و كان الذي اجتاز بهم و تغنّى ابن سريج.

كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة عن أبيه قال: [قال][2]نصيب: و اللّه إني

لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوة ذوات جمال يتناشدن[3]قولي:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

و إذا معهنّ ابن سريج؛ فقلن له: يا أبا يحيى، غنّنا في هذا الشعر، فغناهنّ فأحسن؛ فقلن: وددنا و اللّه يا أبا يحيى أن نصيبا معنا فيتمّ سرورنا؛ فحرّكت بعيري لأتعرّف بهنّ و أنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني: و اللّه لقد زعموا أن نصيبا يشبه هذا الأسود لا جرم؛ فقلت: و اللّه لا أتعرّف بهنّ سائر اليوم، و مضيت و تركتهنّ. قال: و كان الذي تغنى به ابن سريج من شعري:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب # و قل إن تملّينا فما ملّك القلب

و قل إن تنل بالحبّ منك مودّة # فما مثل ما لقّيت من حبكم حب

و قل في تجنّيها لك الذنب إنما # عتابك من عاتبت فيما له عتب

/فمن شاء رام الوصل أو قال ظالما # لذي ودّه ذنب و ليس له ذنب

سأله جد جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن عبد اللّه السّعدي[4]عن جدّته جمال بنت عون عن جدّها قال: قلت للنّصيب: أنشدني يا أبا محجن من شعرك شيئا؛ فقال: أيّه تريد؟قلت: ما شئت؛ قال: لا أنشدك أو تقترح ما تريد؛ فقلت: قولك: بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

قال: فتبسّم و قال: هذا شعر قلته و أنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: و هي أجود ما قال.

لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنه تاب و استجازه فأجازه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائني عن أبي بكر الهذليّ قال حدّثني أيوب بن شاس، و نسخت هذا الخبر من كتاب/أحمد بن الحارث الخرّاز عن [1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فكري» ، و هو تحريف.

[2]التكملة عن حـ.

[3]في الأصول: «يتناشدون» و هو تحريف.

[4]في ب، س: «السعيدي» .

المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس-و روايته أتم من رواية عمر بن شبّة-قال أيوب: حدّثني عبد اللّه بن سعيد:

أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة؛ فقال له: هيه يا أسود:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب # و قل إن تملّينا فما ملّك القلب

أ أنت الذي تشهر النساء و تقول فيهنّ!فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك و تبت من قول الشعر، و كان قد نسك؛ فأثنى عليه القوم و قالوا فيه قولا/جميلا[1]؛ فقال له: أمّا إذ أثنى عليك القوم فسل حاجتك؛ فقال:

يا أمير المؤمنين، لي بنيّات سويداوات أرغب بهنّ عن السودان و يرغب عنهنّ البيضان، فإن رأيت أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل.

رأى عثمان بن الضحاك امرأة فتمثل بشعره في زينب فكانت هي و أخبرته أنه آت لزيارتها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن شبيب عن محمد بن المؤمّل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحزامي قال:

خرجت على بعير لي أريد الحج، فنزلت في فناء خيمة بالأبواء[2]، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها؛ فاستلهاني حسنها، فتمثّلت قول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب # و قل إن تملّينا فما ملّك القلب

فقالت الجارية: أ تعرف قائل هذا الشعر؟قلت: نعم، ذاك نصيب؛ قالت: أ فتعرف زينب هذه؟قلت: لا؛ قالت: فأنا و اللّه زينبه، و هو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة، و لعلك لا ترحل حتى تراه. فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريبا منها، ثم نزل فسلّم عليها و سلّمت عليه؛ فقلت: عاشقان التقيا و لا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتي فشددت عليها؛ فقال: على رسلك، أنا معك؛ فلبث ساعة ثم رحل و رحلت معه؛ فقال لي: كأنك قلت في نفسك كذا و كذا؛ قلت: قد كان ذاك؛ فقال لا، و ربّ الكعبة البنيّة المستورة ما جلست معها مجلسا قطّ هو أقرب من هذا.

شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة:

لو لم تكن هذه القصيدة:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب

لنصيب، شعر من كانت تشبه؟فقلت: شعر امرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان اللّه!قلت:

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فأثنى عليه القوم خيرا و قالوه فيه فقال... إلخ» .

[2]الأبواء: قرية من أعمال الفرع (بضم الفاء و سكون الراء) من المدينة بينها و بين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة و عشرون ميلا. و قيل:

هي جبل على يمين آرة و يمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، و هناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. و بالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى اللّه عليه و سلم.

ما شأنك؟فقال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت، فعجبت من اتّفاقكما.

منقذ الهلالي و طربه بشعر نصيب:

قال هارون و حدّثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثّقفي عن رجل سمّاه قال: أتاني منقذ الهلالي ليلة و ضرب عليّ الباب، فقلت: من هذا؟فقال: منقذ الهلاليّ؛ فخرجت فزعا، فقلت: فيم السّرى[1]-أي ما جاء بك تسري إليّ ليلا-في هذه الساعة؟قال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين، فتغذّيت[2]بها معهم، ثم أتيت بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها، فشربت و ذكرت قول نصيب: بزينب ألمم قبل أن يرحل الرّكب

فأنشدتها فأطربتني، و فكّرت في إنسان يفهم حسن ذلك و يعرف فضله فلم أجد غيرك فأتيتك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟!قال: لا، و انصرف.

قال حماد: معنى قوله: «التقى طرفاها» أي قد صفت و راقت فأسفلها و أعلاها/سواء في الصفاء.

و ممّا يغنّى فيه من قصيدة نصيب البائيّة المذكورة قوله:

صوت

خليليّ من كعب أ لمّا هديتما # بزينب لا يفقدكما أبدا كعب

من اليوم زوراها فإن ركابنا # غداة غد عنها و عن أهلها نكب

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة.

صوت من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

النّشر مسك و الوجوه دنا # نير و أطراف الأكفّ عنم

و الدار وحش و الرسوم كما # رقّش في ظهر الأديم قلم

لست كأقوام خلائقهم # نثّ أحاديث و هتك حرم

-نثّ الحديث: إشاعته. و العنم: شجر أحمر، و قيل: بل هو دود أحمر كالأساريع[3]يكون في البقل في أيام الربيع. و الأديم: الجلد. و جلد كل شيء أديمه. و رقّش: زين-الشعر[4]لمرقّش الأكبر، و الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

[1]كذا في حـ. و في أ، ء، م: «فما السرى أي ما جاء بك... إلخ» و في ب، س: فما السر الذي جاء بك... إلخ» .

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فتغديت» (بالدال المهملة) .

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «كالتساريع» . و لعلها مصحفة عن «اليساريع» و هي بمعنى الأساريع.

[4]هذا الشعر من قصيدة للمرقش يرثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة، قتله مهلهل في ناحية التغلمين، و كان معه مرقش فأفلت، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلا من تغلب يقال له عمرو بن عوف. و قد وردت هذه الأبيات في المفضليات (ص 484-492 طبع أوروبا) على غير هذا الترتيب باختلاف يسير.

8-أخبار المرقش الأكبر و نسبه

نسبه و سبب تسميته بالمرقش و قرابته للمرقش الأصغر:

المرقّش لقب غلب عليه بقوله:

الدار وحش و الرسوم كما # رقّش في ظهر الأديم قلم

عوف بن مالك المعروف بالبرك:

و هو أحد من قال شعرا فلقّب به. و اسمه-فيما ذكر أبو عمرو الشّيباني-عمرو. و قال غيره: عوف[1]بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن[2]بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. و هو أحد المتيّمين. كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة، و كان المرقّش الأصغر ابن أخي المرقش الأكبر. و اسمه-فيما ذكر أبو عمرو-ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك. و قال غيره: هو عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك. و هو أيضا أحد المتيّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك و يتشبّب بها. و كان للمرقّشين جميعا موقع في بكر بن وائل و حروبها مع بني تغلب، و بأس و شجاعة و نجدة و تقدّم في المشاهد و نكاية في العدوّ و حسن أثر. كان عوف بن مالك بن ضبيعة عمّ المرقّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. و هو القائل يوم قضة: يا لبكر بن وائل، أ في كل يوم فرارا!و محلوفي[3]لا يمرّ بي رجل من بكر بن وائل منهزما إلاّ ضربته بسيفي. و برك يقاتل؛ فسمّي البرك يومئذ.

عمرو بن مالك و أسره لمهلهل:

و كان أخوه عمرو بن مالك أيضا من فرسان بكر، و هو الذي أسر مهلهلا، التقيا في خيلين من غير مزاحفة في بعض الغارات بين بكر و تغلب، في موضع يقال له نقا/الرّمل، فانهزمت خيل مهلهل و أدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق به إلى قومه، و هم في نواحي هجر[4]، فأحسن إساره. و مرّ عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر، و كان صديقا لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى/إليه و هو أسير زقّ خمر؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا و شربوا عند مهلهل في بيته-و قد أفرد له عمرو بيتا يكون فيه-فلما أخذ فيهم الشّراب تغنّى مهلهل فيما كان يقوله [1]قيل سمى عوفا باسم عمه والد أسماء التي كان يهواها و يتشبب بها. (راجع «المفضليات») .

[2]كذا في حـ و قد صححها الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (144 أدب ش) . و في سائر الأصول: «الحصين» و هو تحريف. (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص 47، 48) .

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أما و محلوفي» .

[4]هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع. و الظاهر أنه يريد به هنا هجر التي قصبتها الصفا و بينها و بين اليمامة عشرة أيام و بينها و بين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل لقربها من ديار بكر و تغلب.

من الشعر و ينوح به على كليب؛ فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال: إنه لريّان، و اللّه لا يشرب ماء حتي يرد ربيب- يعني جملا كان لعمرو بن مالك، و كان يتناول الدّهاس[1]من أجواف هجر فيرعى فيها غبّا بعد عشر في حمارّة القيظ-فطلبت ركبان بني مالك ربيبا و هم حراص على ألاّ يقتل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا. و نحر عمرو بن مالك يومئذ نابا فأسرج جلدها على مهلهل و أخرج رأسه. و كانت بنت خال مهلهل امرأته بنت المحلّل[2]أحد بني تغلب قد أرادت أن تأتيه و هو أسير؛ فقال يذكرها: ظبية ما ابنة المحلّل شنبا[3] # ء لعوب لذيذة في العناق[4]

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هبنّقة القيسيّ أحد بني قيس بن ثعلبة و اسمه يزيد بن ثروان يقول-و كان محمّقا و هو الذي تضرب به العرب المثل/في الحمق-: لا يكون لي جمل أبدا إلا سميته ربيبا (يعني أن ربيبا كان مباركا لقتله مهلهلا) . ذكر ذلك أجمع ابن الكلبي و غيره من الرواة. و القصيدة الميميّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها في مرثية ابن عم له. و فيها يقول: بل هل شجتك الظّعن[5]باكرة # كأنها النخيل[6]من ملهم[7]

عشق المرقش أسماء بنت عوف و خطبها فزوّجها أبوها في بني مراد في غيبته:

قال أبو عمرو-و وافقه المفضّل الضبي-: و كان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك، و هو البرك، عشقها و هو غلام فخطبها إلى أبيها؛ فقال: لا أزوّجك حتى تعرف[8]بالبأس-و هذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن-و كان يعده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زمانا و مدحه فأجازه. و أصاب عوفا زمان شديد؛ فأتاه رجل من مراد أحد بني غطيف[9]، فأرغبه في المال فزوّجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.

أخبره أهله بموت أسماء و لما علم بزواجها من المرادي رحل إليها و مات عندها:

و رجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلاّ أنها ماتت؛ فذبحوا كبشا و أكلوا لحمه و دفنوا عظامه و لفّوها في ملحفة ثم قبروها. فلما قدم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، و أتوا به موضع القبر؛ فنظر إليه و صار بعد ذلك يعتاده و يزوره. فبينا هو ذات يوم مضطجع و قد تغطّى بثوبه و ابنا أخيه

يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال [1]الدهاس: المكان السهل ليس برمل و لا تراب.

[2]كذا في الطبري و فيما مر في أكثر الأصول من الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص 51) . و في ب، س هنا و فيما مر من الجزء الخامس و هامش الطبري: «المجلل» (بالجيم) : و في سائر الأصول هنا غير ب، س: «المجالد» .

[3]الشنباء: التي في أسنانها ماء ورقة و برد و عذوبة.

[4]رواية هذا البيت في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص 51) : طفلة ما ابنة المحلل بيضا # ء لعوب لذيذة في العناق

[5]الظعن: النساء بهوادجهن.

[6]في «المفضليات» :

«كأنهن النخل... »

.

[7]ملهم: أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل.

[8]في «المفضليات» : «حتى ترأس» أي تكون رئيسا.

[9]كذا في حـ و «المفضليات» . و غطيف: بطن من مراد، و هم بنو غطيف بن ناجية بن مراد. و في سائر الأصول: «عطيف» (بالعين المهملة) و هو تصحيف. ـ

أحدهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه و قالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنه قبر أسماء. فكشف مرقّش عن رأسه و دعا الغلام-و كان قد ضني ضنا شديدا-فسأله عن الحديث فأخبره به و بتزويج المراديّ أسماء؛ /فدعا مرقّش وليدة له و لها زوج من غفيلة[1]كان عسيفا[2]لمرقّش، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته، و كانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المراديّ[عليها][3]فأحضره إياها، فركبها و مضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا. و إنهما نزلا كهفا بأسفل نجران، و هي أرض مراد، و مع الغفليّ[4]امرأته وليدة مرقّش؛ فسمع مرقّش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه/فقد هلك سقما و هلكنا معه ضرّا و جوعا. فجعلت الوليدة تبكي من ذلك؛ فقال لها زوجها: أطيعيني، و إلا فإني تاركك و ذاهب. قال: و كان مرقّش يكتب، و كان أبوه دفعه و أخاه حرملة -و كانا[5]أحبّ ولده إليه- إلى نصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطّ. فلما سمع مرقّش قول الغفليّ[4]للوليدة كتب مرقّش على مؤخّرة الرحل هذه الأبيات: يا صاحبيّ تلبّثا لا تعجلا # إنّ الرواح رهين ألاّ تفعلا[6]

فلعلّ لبثكما يفرّط سيّئا[7] # أو يسبق الإسراع سيبا مقبلا[8]

/يا راكبا إمّا عرضت فبلّغن # أنس[9]بن سعد إن لقيت و حرملا

للّه درّكما و درّ أبيكما # إن أفلت العبدان[10]حتى يقتلا

من مبلغ الأقوام أنّ مرقّشا # أضحى على الأصحاب عبئا مثقلا[11]

و كأنما ترد السباع بشلوه # إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

قال: فانطلق الغفليّ و امرأته حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقّش. و نظر حرملة إلى الرّحل و جعل يقلّبه فقرأ الأبيات، فدعاهما و خوّفهما و أمرهما بأن يصدقاه ففعلا، فقتلهما. و قد كانا وصفا له الموضع، فركب في [1]في أكثر الأصول: «عقيلة» . و في حـ: «عقيل» (بالعين المهملة و القاف) . و في «تجريد الأغاني» : «عفيل» (بالفاء) . و التصويب عن «المفضليات» و «كتاب المعارف» و «القاموس» . و غفيلة: حي من ولد عمرو بن قاصد و لهم عدد بالجزيرة في بني تغلب.

[2]كذا في حـ و «تجريد الأغاني» و «المفضليات» . و العسيف: الأجير و العبد المستعان به. و في سائر الأصول: «عشيقا» و هو تصحيف.

[3]زيادة عن حـ.

[4]في الأصول هنا و فيما يأتي: «العقيلي» و التصويب عن «المفضليات» .

[5]كذا في ب، س. و في سائر الأصول و «المفضليات» و «تجريد الأغاني» : «و كان... إلخ» .

[6]في هذا البيت عدة روايات ذكرها ابن الأنباري شارح «المفضليات» . (ص 458 طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت) .

[7]كذا في «المفضليات» و «لسان العرب» مادة «فرط» . و قد وردت هذه الكلمة في سائر الأصول محرّفة.

[8]قال صاحب «المفضليات» في التعليق على هذا البيت: «قال أبو عكرمة: يفرط: يقدّم، مأخوذ من الفارط و هو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء و الأرشية و الحياض. يقول: لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروها. و لعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما، فانتظاركما أوفق. قال: و قال أبو عمرو: الإفراط: التقدّم و العجلة، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما و إن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما» .

[9]أنس بن سعد و حرملة: هما أخوا مرقش.

[10]في «المفضليات» :

«إن أفلت الغفلى... إلخ»

.

[11]زاد صاحب «المفضليات» بعد هذا البيت و قبل الأخير بيتا و هو:
ذهب السباء بأنفه فتركته # أعثى عليه بالجبال و جيئلا

و يعني بالأعثى: الضبعان و هو ذكر الضباع. و الجيأل: الأنثى.

طلب المرقّش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره فعرف أنّ مرقّشا كان في الكهف و لم يزل فيه حتى إذا هو[1]بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه و أقبل راعيها إليها. فلما بصر به قال له: من أنت و ما شأنك؟فقال له مرقّش: أنا رجل من مراد، و قال للراعي[2]: من أنت؟قال: راعى فلان، و إذا هو راعى زوج أسماء. فقال له مرقّش: أ تستطيع أن تكلّم أسماء امرأة صاحبك؟قال: لا، و لا أدنو منها؛ و لكن تأتيني جاريتها كلّ ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها.

فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حليت فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، و إنك مصيب به خيرا لم يصبه راع قطّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. و لما راحت الجارية بالقدح و حلب لها العنز طرح الخاتم فيه؛ فانطلقت الجارية به و تركته بين يديها. فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته، و كذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنيّتها، فأخذته و استضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية: /ما هذا الخاتم؟قالت: ما لي به علم؛ فأرسلتها إلى مولاها و هو في شرف[3]بنجران؛ فأقبل فزعا؛ فقال لها: لم دعوتني؟قالت له: ادّع عبدك راعي غنمك فدعاه؛ فقالت: سله أين وجد هذا الخاتم!قال: وجدته مع رجل في كهف خبّان[4]. -قال: و يقال كهف جبار-فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيرا، و ما أخبرني من هو، و لقد تركته بآخر رمق. فقال لها زوجها: و ما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقّش، فأعجل السّاعة في طلبه. فركب فرسه و حملها على فرس آخر و سارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. و قال قبل أن يموت: سرى ليلا خيال من سليمى # فأرّقني و أصحابي هجود

فبتّ أدير أمري كلّ حال # و أذكر أهلها و هم بعيد

على أن قد سما طرفي لنار # يشبّ لها بذي الأرطى[5]وقود

/حواليها مها بيض التّراقي[6] # و آرام و غزلان رقود

نواعم لا تعالج بؤس عيش # أوانس لا تروح[7]و لا ترود

يرحن معا بطاء المشيء بدّا[8] # عليهنّ المجاسد و البرود

سكن ببلدة و سكنت أخرى # و قطّعت المواثق و العهود

فما بالي أفي و يخان عهدي # و ما بالي أصاد و لا أصيد

/و ربّ أسيلة الخدّين بكر # منعّمة لها فرع و جيد[9]

[1]كذا في حـ و «تجريد الأغاني» . و في سائر الأصول: «هم» و هو تحريف.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قال فراعي من أنت» .

[3]في «المفضليات» : «شرب» جمع شارب.

[4]في الأصول: «جبان» (بالجيم) و هو تصحيف. و التصويب عن كتاب «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» و «شرح المفضليات» .

[5]الأرطى: شجر ينبت بالرمل و هو شبيه الغصى، ينبت عصيا من أصل واحد و يطول قدر قامة، و له نور مثل نور الخلاف و رائحته طيبة.

[6]في «المفضليات» : «جم التراقي» . يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها.

[7]في «المفضليات» : «لا تراح» .

[8]بد: جمع أبد و الأنثى بداء. و هو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.

[9]استشهد بهذا البيت في النحو على حذف الصفة و إبقاء الموصوف، أي لها فرع فاحم و جيد طويل. إذ هذا البيت للمدح، و هو لا يحصل بإثبات الفرع و الجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين.

و ذو أشر[1]شتيت النبت عذب # نقيّ اللون برّاق برود

لهوت بها زمانا في[2]شبابي # وزارتها النجائب و القصيد

أناس كلّما أخلقت وصلا # عناني منهم وصل جديد

ثم مات عند أسماء، فدفن في أرض مراد.

خرج لقتل زوج أسماء فرده أخواه و عذلاه فمرض و قال شعرا:

و قال غير أبي عمرو و المفضّل:

أتى رجل من مراد يقال له قرن الغزال، و كان موسرا، فخطب أسماء و خطبها المرقش و كان مملقا؛ فزوّجها أبوها من المراديّ سرّا؛ فظهر على ذلك مرقّش فقال: لئن ظفرت به لأقتلنّه. فلما أراد أن يهتديها[3]خاف أهلها عليها و على بعلها من مرقّش، فتربّصوا بها حتى عزب مرقّش في إبله، و بنى المراديّ بأسماء و احتملها إلى بلده.

فلما رجع مرقّش إلى الحيّ رأى غلاما يتعرّق عظما؛ فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحيّ؟و أوجس في صدره خيفة لما كان؛ فقال الغلام: اهتدى المراديّ امرأته أسماء بنت عوف. فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأمته و ركب فرسه الأغرّ، و اتّبع آثار القوم يريد قتل المراديّ. فلما طلع لهم قالوا للمراديّ: هذا مرقّش، و إن لقيك فنفسك دون نفسه. و قالوا لأسماء: إنه سيمرّ عليك، فأطلعي رأسك إليه و اسفري؛ فإنه لا يرميك و لا يضرّك، و يلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقه إخوته فيردّوه. و قالوا للمراديّ: تقدّم فتقدّم. /و جاءهم مرقّش. فلما حاذاهم أطلعت أسماء من خدرها و نادته، فغضّ[4]من فرسه و سار بقربها، حتى أدركه أخواه أنس و حرملة فعذلاه و ردّاه عن القوم. و مضى بها المراديّ فألحقها بحيّه. و ضني[5]مرقّش لفراق أسماء. فقال في ذلك: أ من آل أسماء الرسوم الدّوارس # تخطّط فيها الطير قفر بسابس[6]

و هي قصيدة طويلة. و قال في أسماء أيضا:

أ غالبك القلب اللّجوج صبابة # و شوقا إلى أسماء أم أنت غالبه

يهيم و لا يعيا بأسماء قلبه # كذاك الهوى إمراره و عواقبه

أ يلحى امرؤ في حبّ أسماء قد نأى # بغمز[7]من الواشين و ازورّ جانبه

و أسماء همّ النفس إن كنت عالما # و بادى أحاديث الفؤاد و غائبه

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنني # يزعزعني قفقاف ورد و صالبه[8]

[1]الأشر: تحزز في الأسنان يكون في الأحداث.

[2]في «المفضليات» : «من شبابي» .

[3]يقال: اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه و ضمها.

[4]يقال: غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته.

[5]كذا في أكثر الأصول. و ضنى: مرض مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس. و في ب، س: «و غنى» و هو تحريف.

[6]قال شارح المفضليات في التعليق على هذا البيت: «قال أبو عمرو: تخطط فيها الطير أي ترعى» .

[7]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «بغم» .

[8]الورد: من أسماء الحمى. و قفقافه: اضطراب الحنكين و اصطكاك الأسنان منه. و صالبه: شدّة حرارته مع رعدة.

كان مع المجالد بن ريان في غارته على بني تغلب و قال شعرا:

و قال أبو عمرو: وقع المجالد بن ريّان ببني تغلب بجمران[1]فنكى فيهم و أصاب مالا و أسرى، /و كان معه المرقّش الأكبر، فقال المرقش في ذلك: أتتني لسان[2]بني عامر # فجلّى أحاديثها عن بصر

/بأنّ بني الوخم[3]ساروا معا # بجيش كضوء نجوم السّحر[4]

بكلّ خبوب[5]السّرى نهدة # و كل كميت طوال أغرّ

فما شعر الحيّ حتى رأوا # بريق القوانس فوق الغرر[6]

فأقبلنهم[7]ثم أدبرنهم # و أصدرنهم قبل حين الصّدر

فيا ربّ شلو تخطرفنه[8] # كريم لدى مزحف أو مكرّ[9]

و كائن بجمران[10]من مزعف[11] # و من رجل وجهه قد عفر

9-و أمّا المرقّش الأصغر

نسبه و عشقه لفاطمة بنت المنذر و أخباره في ذلك و شعره:

فهو-على ما ذكر أبو عمرو-ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة. و المرقّش الأكبر عم الأصغر، و الأصغر عم طرفة بن العبد. قال أبو عمرو: و المرقّش الأصغر أشعر المرقّشين و أطولهما عمرا. و هو الذي عشق [1]جمران (بضم أوّله و إسكان ثانيه) : موضع ببلاد الرباب، أو هو ماء. و قد ورد هذا الاسم في أكثر الأصول: «حمران» (بالحاء المهملة) . و في حـ: «نجران» ، و كلاهما تحريف. راجع «المفضليات» ص 483 طبع أوروبا) . و «معجم ما استعجم» (ص 245) .

[2]اللسان هنا: الرسالة. و جلى أحاديثها عن بصر: أي كشفت أحاديثها العمى.

[3]في حـ: «الرخم» و في باقي الأصول: «الرحم» . و التصويب عن «المفضليات» . و بنو الوخم: بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة.

[4]في شرح «المفضليات» : «قال الأصمعي: خص نجوم السحر لأن النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم و دراريها و هي المضيئة منها» .

[5]في أكثر الأصول: «جنوب السرى» . و التصويب عن حـ. و يروى

«بكل نسول السرى»

-و النسول: السريعة السير-و

«بكل خنوف السرى»

أي خفيفة لينة رجع اليدين بالسير. (راجع «المفضليات» و شرحها ص 483) . و نهدة: ضخمة.

[6]القوانس: جمع قونس و هو أعلى بيضة الحديد. و الغرر: السادة من الرجال، و يقال الغرر: الوجوه. و يروى: «فوق العذر»

.

و العذر: شعر العرف و الناصية. (راجع «شرح المفضليات») .

[7]في الأصول:

«فأقبلتهم ثم أدبرتهم...

إلخ» (بالتاء المثناة) . و التصويب عن «المفضليات» .

[8]كذا في «المفضليات» و الشلو: بقية الجسد. و تخطرفته: استلبته، و قيل: جاوزنه و خلفنه. و في جميع الأصول: «تخطرفته» (بالتاء) .

[9]زاد صاحب «المفضليات» بعد هذا البيت بيتا و هو:

و آخر شاص ترى جلده # كشر القتادة غب المط

و الشاصي: الرافع رجليه و يديه. و إذا أصاب المطر القتاد انتفخت قشوره و ارتفعت عن الصميم. يريد قتيلا قد انتفخ فكأن جلده لحاء قتادة.

[10]في جميع الأصول هنا: «بنجران» و هو تحريف. (راجع الحاشية رقم 6 من الصفحة السابقة) .

[11]كذا في حـ و «المفضليات» و «معجم ما استعجم» . و زعفه و أزعفه: رماه أو ضربه فمات مكانه سريعا. و في سائر الأصول: «مرعف» (بالراء المهملة) .

فاطمة بنت المنذر، و كانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان، و كان لها قصر[بكاظمة][1]و عليه حرس. و كان الحرس يجرّون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. و كان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جناب[2]بن مالك لمرقّش: إنّ بنت عجلان تأخذ كلّ عشيّة رجلا ممن يعجبها فيبيت معها.

و كان مرقّش ترعية[3]لا يفارق إبله، فأقام بالماء و ترك إبله ظمأى، و كان من أجمل الناس وجها و أحسنهم شعرا.

و كانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس. فجاء مرقّش فبات عند ابنة عجلان؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك؟-و إذا نكت كأنها التين[4]و كآثار السّياط من شدّة حفزه إياها عند الجماع-قالت: آثار رجل بات معي الليلة. و قد كانت فاطمة قالت لها: لقد رأيت رجلا جميلا راح نحونا بالعشيّة لم أره قبل ذلك؛ قالت: فإنه فتى قعد عن إبله و كان يرعاها، و هو الفتى الجميل الذي رأيته، و هو الذي بات معي فأثر فيّ هذه/الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غد و أتاك فقدّمي له مجمرا و مريه أن يجلس عليه و أعطيه سواكا، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه، و إن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير فيه. فأتته بالمجمر فقالت له: اقعد عليه؛ فأبى و قال: أدنيه مني، فدخّن لحيته و جمّته و أبى أن يقعد عليه، و أخذ السواك فقطع رأسه و استاك به. فأتت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع؛ فازدادت به عجبا و قالت: ائتيني به. فتعلقت به كما كانت تتعلق، فمضى معها و انصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشدّ ما علقت بنت عجلان المرقّش!و كان الحرس ينثرون التراب حول قبّة فاطمة بنت المنذر و يجرّون عليه ثوبا حين تمسي و يحرسونها فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها و يعودون فيقولون له: لم نر إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حملت بنت عجلان مرقّشا على ظهرها و حزمته/إلى بطنها بثوب، و أدخلته إليها فبات معها. فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا و عادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان و هي مثقلة. فلبث بذلك حينا يدخل إليها. فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل و لا يعرف مذهبه. فقال له: أ لم تكن عاهدتني عهدا لا تكتمني شيئا و لا أكتمك و لا نتكاذب؟!فأخبره مرقّش الخبر؛ فقال له: لا أرضى عنك و لا أكلّمك أبدا أو تدخلني عليها، و حلف على ذلك. فانطلق المرقّش إلى المكان الذي كان

يواعد فيه بنت عجلان فأجلسه فيه و انصرف و أخبره كيف يصنع، و كانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر، فأتته بنت عجلان فاحتملته و أدخلته إليها و صنع ما أمره به مرقش. فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته، و إذا هو يرعد؛ فدفعته بقدمها في صدره و قالت: قبّح اللّه سرّا عند المعيدي. و دعت بنت عجلان فذهبت به، و انطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكرّة و لم يلبث إلا قليلا، علم أنه قد/افتضح، فعضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله و ترك المال الذي كان فيه- يعني الإبل التي كان مقيما فيها-حياء مما صنع. و قال مرقش في ذلك: [1]زيادة عن حـ و «المفضليات» و «تجريد الأغاني» . و كاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها و بين البصرة مرحلتان و فيها آبار كثيرة و ماؤها شروب و استسقاؤها ظاهر.

[2]كذا في «تجريد الأغاني» و «المفضليات» و فيما سيأتي في جميع الأصول. و في حـ: «عمرو بن حباب» . و في سائر الأصول: «حسان» . و كلاهما تحريف.

[3]رجل ترعية (مثلثة الأول مع تشديد الياء و قد تخفف) و ترعاية (بالكسر) و تراعية (بالضم) و ترعى (بالكسر) : يجيد رعية الإبل، أو صناعته و صناعة آبائه رعاية الإبل.

[4]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «البثر» . و في ب و «المفضليات» : «التبن» . و قد أشير في هامش «المفضليات» إلى أن هذه الرواية (التين) لا معنى لها، و أنه يحتمل أن يكون محرفة عن «النبر» و هو الورم في الجسد.

ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما # و لا أبدا ما دام وصلك دائما

رمتك ابنة البكريّ عن فرع ضالة # و هنّ بنا خوص يخلن نعائما[1]

تراءت لنا يوم الرحيل بوارد # و عذب الثنايا لم يكن متراكما[2]

سقاه حباب[3]المزن في متكلل # من الشمس روّاه ربابا سواجما[4]

أرتك بذات الضّال منها معاصما # و خدّا أسيلا كالوذيلة[5]ناعما

صحا قلبه عنها على أنّ ذكرة # إذا خطرت دارت به الأرض قائما

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن # خرجن سراعا و اقتعدن المفائما[6]

تحمّلن من جوّ الوريعة[7]بعد ما # تعالى النهار و انتجعن الصّرائما[8]

تحلّين ياقوتا و شذرا و صيغة # و جزعا ظفاريّا و درّا توائما[9]

/سلكن القرى و الجزع تحدى جمالها # و ورّكن قوّا و اجتزعن المخارما[10]

ألا حبّذا وجه تريك بياضه # و منسدلات كالمثاني فواحما[11]

و إني لأستحيي فطيمة جائعا # خميصا و أستحيي فطيمة طاعما

و إني لأستحييك و الخرق[12]بيننا # مخافة أن تلقى أخا لي صارما

و إني و إن كلّت قلوصي لراجم # بها و بنفسي يا فطيم المراجما

[1]الضال من السدر: ما لم يشرب الماء. و الخوص: الإبل الغائرة العيون من جهد السفر. و النعائم: جمع نعامة.

[2]الوارد من الشعر: الطويل. و الفم المتراكم: المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضا.

[3]في «المفضليات» : «حبيّ المزن» و حبي المزن: ما اقترب منه.

[4]كذا في حـ و «المفضليات» . و في سائر الأصول: «سراكما» و هو تحريف.

[5]الوذيلة: سبيكة الفضة.

[6]كذا في «المفضليات» و «معجم البلدان» (ج 4 ص 929) . و المفائم: العظام من الإبل، و قيل: هي المراكب الوافية الواسعة، واحدها مفأم. و في جميع الأصول: «المقائم» (بالقاف) . و اقتعدن: ركبن.

[7]كذا في «المفضليات» و «معجم البلدان» . و الوريعة: حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم. و الحزم: ما غلظ من الأرض و كثرت حجارته و

أشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس و الإبل إلا بالجهد. و في جميع الأصول: «الوديعة» بالدال المهملة، و هو تحريف.

[8]الصرائم: جمع صريمة و هي القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل.

[9]الشذر: اللؤلؤ الصغير، و قيل: هو خرز يفصل به بين الجواهر في النظم. و الجزع (بالفتح) : الخرز. و ظفاري: نسبة إلى ظفار، بلد باليمن ينسب إليها الجزع. و فيها يقال: «من دخل ظفار حمر» (بتشديد الميم) أي تكلم بلغة حمير. و ذلك أن رجلا من العرب دخل على ملك حمير و هو على سطح، فقال له: ثب، فوثب فتكسر. و وثب بلغة حمير قعد. و توائم: اثنتين اثنتين.

[10]رواية «المفضليات» : «جمالهم» . و الجزع (بالكسر) : منعطف الوادي. و وركن: عدلن و قوّ: منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، يرحل من النباج فينزل قوا، و هو واد يقطع الطريق تدخله المياه و لا تخرج و عليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قوّ. و قيل: قو بين فيد و النباج. و هو أيضا واد بين اليمامة و هجر نزل به الحطيئة على الزبرقان بن بدر فلم يجهزه فقال فيه شعرا. و اجتزعن: قطعن و في ب، س: «و اخترعن» و هو تصحيف. و المخارم: جمع مخرم و هو رمل مستطيل فيه طريق. و قيل: هو أطراف الطرق في الجبال.

[11]في أكثر الأصول: «يريك» . و التصويب عن حـ. و رواية «المفضليات» : «ترينا» . و منسدلات: يريد ذوائب من الشعر مسترخية.

و المثاني: الحبال. شبه ذوائب الشعر بالحبال في الطول. و فواحم: سود.

[12]الخرق: ما اتسع من الأرض.

ألا يا اسلمى بالكوكب الطّلق[1]فاطما # و إن لم يكن صرف النوى متلائما

ألا يا اسلمى ثم اعلمي أنّ حاجتي # إليك فردّي من نوالك فاطما

أ فاطم لو أنّ النساء ببلدة # و أنت بأخرى لابتغيتك[2]هائما

متى ما يشأ ذو الودّ يصرم خليله # و يغضب عليه لا محالة ظالما

و آلى جناب حلفة فأطعته # فنفسك ولّ اللّوم إن كنت نادما

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره # و من يغو لا يعدم على الغيّ لائما

أ لم تر أنّ المرء يجذم كفّه # و يجشم من لوم الصديق المجاشما[3]

أ من حلم أصبحت تنكت واجما[4] # و قد تعترى الأحلام من كان نائما

صوت من المائة المختارة

إذا قلت تسلو النفس أو تنتهي المنى # أبى القلب إلاّ حبّ أمّ حكيم

منعّمة صفراء حلو دلالها # أبيت بها بعد الهدوء[5]أهيم[6]

قطوف[7]الخطا مخطوطة[8]المتن زانها # مع الحسن خلق في الجمال عميم

الشعر مختلف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد اللّه العبشميّ، و منهم من يرويه لقطريّ بن الفجاءة المازنيّ، و منهم من يرويه لعبيدة[9]بن هلال اليشكريّ. و الغناء لسياط، و له فيه لحنان: أحدهما، و هو المختار، ثقيل أوّل بالوسطى، و الآخر خفيف ثقيل بالسّبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و لبعض الشّراة قصيدة في هذا الوزن و على هذه القافية، و فيها ذكر لأمّ حكيم هذه أيضا، تنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، و يختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. و فيها[10]أيضا غناء و هو في هذه الأبيات منها: [1]كذا في «المفضليات» . و الطلق: الذي لا حر فيه و لا قر و لا شيء يؤذي. و في جميع الأصول: «بالكوكب الفرد»

.

[2]في «المفضليات» :

«لا تبعتك»

.

[3]يجذم: يقطع. و يجشم: يركب المكروه.

[4]نكت في الأرض: خطط فيها بعود، و كذلك يفعل المغتم. و واجما: حزينا.

[5]الهدوء: الهزيع من الليل.

[6]في هذا الشعر إقواء، و هو اختلاف حركة الروي.

[7]قطوف الخطا: ضيقتها.

[8]كذا في حـ. و يقال: جارية محطوطة المتنين أي ممدودتهما أو هي ممدودة حسنة مستوية. و في ب، س: «مخطوطة» (بالخاء المعجمة) . و في سائر الأصول: «محظوظة» (بظاءين معجمتين) . و كلاهما تصحيف.

[10]ضبط هذا الاسم في حـ بفتح العين، و كذلك ضبط في «الطبري» بفتح العين و كسر الباء. و ورد في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا مضبوطا بفتح العين و كسر الباء في مواضع و بضم العين و فتح الباء (مصغرا) في مواضع أخرى. و ضبط في «الاشتقاق» لابن دريد بضم العين.

[11]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و فيه» . ـ

لعمرك إنّي في الحياة لزاهد # و في العيش ما لم ألق أمّ حكيم

و لو شهدتني[1]يوم دولاب[2]أبصرت # طعان فتى في الحرب غير ذميم

ذكر المبرّد أن الشعر لقطريّ بن الفجاءة، و ذكر الهيثم بن عديّ أنه لعمرو القنا، و ذكر وهب بن جرير أنه لحبيب بن سهم التّميميّ، و ذكر أبو مخنف[3]أنه لعبيدة بن هلال اليشكريّ، و ذكر خالد بن خداش[4]أنه لعمرو القنا أيضا. و الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى/الوسطى عن إسحاق و يونس.

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «شهدتنا» .

[2]دولاب (بفتح أوّله و أكثر المحدثين يروونه بالضم) : قرية تعرض لها أبو الفرج بالشرح بعد قليل.

[3]كذا في أكثر الأصول، و هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، كان صاحب أخبار و أنساب، و الأخبار عليه أغلب. و جدّه مخنف بن سليم روى عن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم. و في ب، س: «أبو محنف» (بالحاء المهملة) . (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص 267 و «فوات الوفيات» ج 2 ص 175 طبع بولاق) .

[4]كذا فيما سيأتي في جميع الأصول. و «تهذيب التهذيب» . و هو خالد بن خداش بن عجلان الأزدي المهلبي (نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة) . روى عن حماد بن زيد و صالح المري و غيرهما، و روى له البخاري في الأدب، و قد مات سنة 223 هـ.

10-خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران و هي وقعة دولاب و شيء من أخبار هؤلاء الشراة و أنسابهم و خبر أم حكيم هذه

وقعة دولاب و شيء من أخبار الشراة:

هذان الشعران قيلا في وقعة دولاب، و هي قرية من عمل الأهواز، بينها و بين الأهواز نحو من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة و بين مسلم بن عبيس بن كريز خليفة عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، و ذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شبّة عن المدائني، و أخبرني بها عبيد اللّه بن محمد الرازي عن الخرّاز عن المدائنيّ، و أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش:

أن نافع بن الأزرق، لمّا تفرقت آراء الخوارج و مذاهبهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز و أعمالها لا يعترض الناس، و قد كان متشكّكا في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنت قد كفرت بعد إيمانك و شككت فيه، فدع نحلتك و دعوتك، و إن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفّار حيث لقيتهم و أثخن في النساء و الصبيان كما قال نوح: **لاَ تَذَرْ عَلَى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْكَافِرِينَ دَيَّاراً** . فقبل قولها و استعرض[1]الناس و بسط سيفه، فقتل الرجال و النساء و الولدان، و جعل يقول: إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم. و إذا وطئ بلدا فعل مثل هذا به إلى أن يجيبه أهله جميعا و يدخلوا ملّته، فيرفع السيف و يضع الجباية فيجبي الخراج. فعظم أمره و اشتدّت شوكته و فشا عمّاله في السواد. فارتاع لذلك أهل البصرة و مشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم و قالوا له: ليس بيننا و بين القوم إلا ليلتان، /و سيرتهم كما ترى؛ فقال لهم الأحنف: إنّ سيرتهم في مصر كم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهاد عدوّكم. و حرّضهم الأحنف، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبد اللّه بن الحارث بن نوفل، و سأله أن يؤمّر عليهم أميرا، فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة، و كان فارسا شجاعا ديّنا، فأمّره عليهم و شيّعه. فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس و قال: إني ما خرجت لامتيار ذهب و لا و فضة، و إني لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم و رماحهم. فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض، و من أحبّ الحياة فليرجع. فرجع نفر يسير و مضى الباقون معه؛ فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسّرت الرماح و عقرت الخيل و كثرت الجراح و القتلى، و تضاربوا بالسيوف و العمد؛ فقتل في المعركة ابن عبيس و هو على أهل البصرة، و ذلك في جمادى الآخرة سنة خمس و ستين، و قتل نافع

بن الأزرق يومئذ أيضا؛ فعجب الناس من ذلك، و أنّ الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير، و قتل رئيسا العسكرين، [1]استعرض الناس: قتلهم و لم يبال من قتل مسلما أو كافرا من أي وجه أمكنه.

و الشّراة يومئذ ستّمائة رجل، فكانت الحدّة يومئذ و بأس الشراة واقعا ببني[1]تميم و بني سدوس. و أتى ابن عبيس و هو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرّبيع بن عمرو/الغدانيّ، و كان يقال له الأجذم، كانت يده أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة. و استخلف نافع بن الأزرق عبيد اللّه بن بشير بن الماحوز[2]أحد بني سليط بن يربوع. فكان رئيسا المسلمين و الخوارج جميعا من بني يربوع، رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، و رئيس الشّراة من بني سليط بن يربوع، /فاتّصلت الحرب بينهم عشرين يوما. قال المدائني في خبره: و ادّعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة. و تحدّث بعد ذلك قال: كنت لما قتلته على برذون[3]ورد فإذا أنا برجل ينادي، و أنا واقف في خمس[4]بني تميم[5]، فإذا به يعرض عليّ المبارزة فتغافلت عنه، و جعل يطلبني و أنا أنتقل من خمس إلى خمس و ليس يزايلني، فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خرجت إليه، فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته، و نزلت فأخذت رأسه و سلبته، فإذا امرأة[6]قد رأتني حين قتلت نافعا، فخرجت لتثأر به. قالوا: فلما قتل نافع و ابن عبيس و ولّي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل[7]يقاتل الشّراة نيّفا و عشرين يوما، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة؛ قالوا: و كيف ذلك؟قال: إني رأيت البارحة كأنّ يدي التي أصيبت بكابل انحطّت من السماء فاستشلتني. فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[8]فقتل يومئذ-قال: استشلاه: أخذه إليه. يقال: استشلاه و اشتلاه-قال: فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس؛ ثم أجمعوا على الحجّاج بن باب الحميريّ. و قد اقتتل الناس يومئذ و قبله بيومين قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفت، /ثم تضاربوا بالسيوف و العمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة، و حتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئا من الإعياء، و حتى كانوا يترامون بالحجارة و يتكادمون[9]بالأفواه. فلما تدافع القوم الراية و أبوها و اتّفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كريب بن عبد الرحمن: خذها فإنها مكرمة؛ فقال: إنها لراية مشئومة، ما أخذها أحد إلا قتل. فقال له كريب: يا أعور!تقارعت العرب على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوف القتل!خذ اللواء ويحك!فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن. فأخذ اللواء و ناهضهم، فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف و صاروا كراديس[10]، و الخوارج أقوى عدّة بالدروع و الجواشن[11]. و جعل الحجّاج يغمض عينيه و يحمل حتى يغيب في الشّراة و يطعن فيهم و يقتل

حتى يظنّ أنه قد قتل، ثم يرفع رأسه و سيفه يقطر [1]كذا في أ، . و في سائر الأصول: «بين تميم... » .

[2]كذا في «الكامل» للمبرد في أكثر من موضع و «الطبري» . و في جميع الأصول: «الماخور» . (بالخاء المعجمة و الراء المهملة) .

[3]البرذون: واحد البراذين، و هي من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب.

[4]كذا في حـ هنا و فيما يأتي و «الكامل» للمبرد. و أخماس البصرة خمسة: الخمس الأول العالية، و الثاني بكر بن وائل، و الثالث تميم، و الرابع عبد القيس، و الخامس الأزد. و في سائر الأصول هنا و فيما يأتي: «خميس» .

[5]في «الكامل» (ج 2 ص 617 طبع أوروبا) : «و أنا واقف في خمس قيس (صوابه عبد القيس) ينادي: يا صاحب الورد، هلم إلى المبارزة، فوقفت في خمس بني تميم فإذا به يعرضها عليّ... إلخ» .

[6]كذا في حـ و «الكامل» للمبرد. و في سائر الأصول: «فإذا هي امرأته... إلخ» .

[7]في ب، س: «و لم يزل» .

[8]كذا في «الكامل» للمبرد. و غاداهم: باكرهم. و في جميع الأصول: «ثم عاد... إلخ» .

[9]تكادموا بالأفواه: تعاضوا.

[10]الكراديس: كتائب الخيل، واحدها كردوس.

[11]الجواشن: جمع جوشن و هو زرد يلبسه الصدر.

دما، و يفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كلّ قوم في ناحية. ثم التقى الحجّاج بن باب و عمران بن الحارث الراسبيّ[1]، فاختلفا ضربتين كلّ واحد منهما قتل صاحبه، و جال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا؛ و. أصبح أهل البصرة-و قد هرب عامّتهم، و ولّوا حارثة بن بدر الغدانيّ أمرهم-ليس بهم طرق[2]و لا بالخوارج. فقالت امرأة من الشّراة-و هي أم عمران قاتل الحجّاج بن باب و قتيله-ترثي ابنها عمران: اللّه أيّد عمرانا و طهّره # و كان عمران يدعو اللّه في السّحر

/يدعوه سرّا و إعلانا ليرزقه # شهادة بيدي ملحادة[3]غدر

ولّى صحابته عن حرّ ملحمة # و شدّ عمران كالضرّغامة[4]الذكر[5]

قال: فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرئاسة و سلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا، فإذا فتح اللّه عليهم فللعرب زيادة فريضتين و للموالي زيادة فريضة؛ فندب الناس فالتقوا و ليس بأحد منهم طرق، و قد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين، و ما تطأ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمع من الشّراة-يقول المكثّر إنهم مائتان و المقلّل إنهم أربعون-فاجتمعوا و هم يريحون مع أصحابهم[6]و اجتمعوا كبكبة[7]واحدة، فحملوا على المسلمين.

فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم و قال:

كرنبوا[8]و دولبوا # و حيث شئتم فاذهبوا[9]

و قال:

أير الحمار فريضة لعبيدكم # و الخصيتان فريضة الأعراب

/و تتابع الناس على أثره منهزمين، و تبعتهم الخوارج، فألقوا أنفسهم في دجيل[10]فغرق منهم خلق كثير [1]كذا في أ، ء و «الكامل» . و في سائر الأصول: «الراسي» .

[2]كذا في أكثر الأصول. و الطرق (بالكسر) : القوة. و في ب، س: «لهم طرف» بالفاء و هو تصحيف.

[3]الملحادة: مفعال من الإلحاد (و هو الجور و العدول عن الدين) كما يقال رجل معطاء و مكرام. و أدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية و علامة و نسابة. و غدر (بضم ففتح) : كثير الغدر.

[4]الضرغامة: من أسماء الأسد.

[5]في «الكامل» : «الهصر» و الهصر: الذي يهصر كل شيء أي يثنيه.

[6]في ب، س: «مع أصحائهم» و لا معنى لها.

[7]الكبكبة: الجماعة.

[8]كذا في حـ و «الطبري» (ق 2 ص 580) و «معجم البلدان» . و كرنبوا: أنزلوا كرنبي و هي موضع بالأهواز. و دولبوا: أنزلوا دولاب.

و في سائر الأصول: «أكرنبوا» و هو تحريف.

[9]يقال: إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش و جاء الخوارج هذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا، و بقي حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقي معه بالأهواز. فلما ولي ابن الزبير عمر بن عبد اللّه بن معمر على البصرة أرسل عمر أخاه عثمان لقتال الأزارقة و انضم إليه حارثة. ثم كان بين عثمان و حارثة خلاف اعتزل بسببه حارثة. ثم لما أفضى الأمر في محاربة الخوارج إلى المهلب و بلغ حارثة بن بدر أن المهلب قد أمر على الجيش لقتال الخوارج قال لمن معه: كرنبوا و دولبوا # و حيث شئتم فاذهبوا

قد أمر المهلب

فذهب من كان معه إلى البصرة، فردهم الحارث بن عبد اللّه إلى المهلب. (راجع «الطبري» في حوادث سنة 65) .

[10]دجيل: نهر بالأهواز حفره أردش بن بابك أحد ملوك الفرس، و اسمه بالفارسية: «ديلدا كودك» و معناه: دجلة الصغير فعرب على

و سلمت بقيّتهم. و كان ممن غرق دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان. و لحقت قطعة من الشّراة خيل عبد القيس فأكبّوا عليهم، فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم و قاتلوا الشّراة حتى كشفوهم و انصرفوا إلى أصحابهم. و عبرت بقيّة الناس، فصار حارثة و من معه بنهر تيري[1]و الشّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. و كان على الأزد يومئذ قبيصة بن أبي صفرة أخو المهلّب، و هو جدّ هزارمرد[2]. قال: و غرق يومئذ من الأزد عدد كثير. فقال شاعر الأزارقة: يرى من جاء ينظر من دجيل # شيوخ الأزد طافية لحاها

و قال شاعر آخر منهم:

شمت ابن بدر، و الحوادث جمة، # و الظالمون بنافع بن الأزرق

و الموت حتم لا محالة واقع # من لا يصبّحه نهارا يطرق[3]

فلئن أمير المؤمنين أصابه # ريب المنون فمن تصبه يغلق[4]

قال قطريّ بن الفجاءة، فيما ذكر المبرّد، و قال المدائني في خبره: إن صالح بن عبد اللّه العبشميّ قائل ذلك؛ و قال خالد بن خداش: بل قائلها عمرو القنا؛ قال/وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجعد الوشّاء عن أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه عن وهب بن جرير عن أبيه: إن حبيب بن سهم قائلها: لعمرك إنّي في الحياة لزاهد # و في العيش ما لم ألق أمّ حكيم[5]

من الخفرات البيض لم أر مثلها # شفاء لذي بثّ و لا لسقيم

لعمرك إني يوم ألطم وجهها # على نائبات الدهر غير حليم

و لو شهدتني يوم دولاب أبصرت # طعان فتى في الحرب غير لئيم

غداة طفت علماء[6]بكر بن وائل # و ألاّفها من حمير و سليم[7]

/و مال الحجازيّون نحو بلادهم # و عجنا صدور الخيل نحو تميم

دجيل. و مخرجه من أرض أصبهان و مصبه في بحر فارس. و كانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج. و هو أيضا نهر مخرجه من أعلى بغداد، و ليس مرادا هنا.

[1]تيري (بكسر التاء المثناة الفوقية و ياء ساكنة وراء مفتوحة، مقصورا) : بلد من نواحي الأهواز: و نهر تيري حفره أردشير الأصغر بن بابك.

[2]كذا في حـ هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول و «الطبري» و «اللباب في معرفة الأنساب» لابن الأثير الجزري مضبوطا بالقلم بنسخة مخطوطة بخط قديم جدا، و معناه ألف رجل. و في سائر الأصول هنا: «هزامرد» و هو تحريف.

[3]طرقه يطرقه (من باب مصر) : أتاه ليلا.

[4]أمير المؤمنين: يريد به نافع بن الأزرق. و يغلق، أي لا ينفلت و لا ينجو. مأخوذ من غلق الرهن في يد المرتهن، إذا لم يقدر على فكاكه و استخلاصه.

[5]وردت هذه القصيدة في «الكامل» (ص 618-619 طبع أوروبا) و «معجم البلدان» (ج 2 ص 623) باختلاف في بعض الألفاظ و الأبيات.

[6]يريد: على الماء.

[7]يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن. و سليم أبو قبيلة، و هو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر.

و كان لعبد القيس أوّل جدّها # و ولّت شيوخ الأزد فهي تعوم[1]

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا # يمجّ دما من فائظ و كليم[2]

و ضاربة خدّا كريما على فتى # أغرّ نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب و لم تك موطنا # له أرض دولاب و دير حميم[3]

فلو شهدتنا يوم ذاك و خيلنا # تبيح من الكفّار كلّ حريم

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم # بجنّات عدن عنده و نعيم

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا خلاّد[4]الأرقط قال: /كان الشّراة و المسلمون يتواقفون و يتساءلون بينهم عن أمر الدّين و غير ذلك على أمان و سكون فلا يهيج بعضهم بعضا. فتواقف يوما عبيدة بن هلال اليشكريّ و أبو حزابة[5]التّميمي و هما في الحرب؛ فقال عبيدة: يا أبا حزابة، إني سائلك عن أشياء، أ فتصدقني في الجواب عنها؟قال: نعم إن تضمّنت لي مثل ذلك؛ قال: قد فعلت.

قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم؟قال: يبيحون الدم الحرام و المال الحرام و الفرج الحرام. قال: ويحك!فكيف فعلهم في المال؟قال: يجبونه من غير حلّه، و ينفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه ماله، و يمنعونه حقه، و ينيكون أمّه. قال: ويلك يا أبا حزابة!أ فمثل هؤلاء تتّبع؟!قال: قد أجبت، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي؛ قال: قل. قال: أيّ الخمر أطيب: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك!أ تسأل مثلي عن هذا؟قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب؛ قال: أمّا إذ أبيت فإنّ خمر الجبل أقوى و أسكر، و خمر السهل أحسن و أسلس. قال أبو حزابة: فأيّ الزّواني أفره: أ زواني رامهرمز[6]أم زواني أرّجان[7]؟ قال: ويلك!إن مثلي لا يسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بدّ من الجواب أو تغدر؛ فقال: أمّا إذ أبيت فزواني رامهرمز أرقّ أبشارا، و زواني أرّجان أحسن أبدانا. قال: فأيّ الرجلين أشعر: أ جرير أم الفرزدق؟قال: عليك و عليهما لعنة اللّه!أيهما الذي يقول: /

و طوى الطّراد مع القياد[8]بطونها # طيّ التّجار بحضر موت برودا

[1]في هذا البيت إقواء.

[2]المقعص: يقال: أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات مكانه. و الفائظ: الميت، فعله فاظ يفيظ و يفوظ فيظا و فوظا. و الكليم: الجريح.

[3]دير حميم: موضع بالأهواز، ذكره ياقوت و استشهد بهذا البيت.

[4]هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوي.

[5]كذا في حـ. و هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية. (راجع «شرح القاموس» مادة حزب. و ترجمته في «الأغاني» ج 19 ص 152-156 طبع بولاق) . و في سائر الأصول: «أبو خرابة» (بالخاء المعجمة و الراء المهملة) و هو تصحيف.

[6]رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان و العامة يسمونها «رامز» اختصارا.

[7]أرجان (بفتح الألف و بتشديد الراء مفتوحة-و قيل بسكونها-و جيم و ألف و نون، و عامة العجم يسمونها «أرغان») : مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل و زيتون و فواكه، و هي برية بحرية سهلية جبلية، و بينها و بين سوق الأهواز ستون فرسخا.

[8]كذا في أ، ء و «ديوان جرير» . و هو من قصيدة طويلة مطلعها:

أهوى أراك برامتين وقودا # أم بالجنينة من مدافع أودا

و في سائر الأصول: «الغياد» (بالغين المعجمة) و هو تحريف.

قال: جرير؛ قال: فهو أشعرهما. قال: و كان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير و الفرزدق حتى تواثبوا و صاروا إلى المهلّب محكّمين له في ذلك؛ فقال: أردتم[1]أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني!ما كنت لأحكم بينهما، و لكني أدلّكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما، عليكم بالشّراة فسلوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال: حدّثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطريّ بن الفجاءة يقال لها أمّ حكيم، و كانت من أشجع الناس و أجملهم وجها و أحسنهم بدينهم تمسّكا، و خطبها جماعة منهم فردّتهم و لم تجب إلى ذلك؛ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس و ترتجز: /

أحمل رأسا قد سئمت حمله # و قد مللت دهنه و غسله

أ لا فتى يحمل عنّي ثقله

قال: و هم يفدّونها بالآباء و الأمهات، فما رأيت قبلها و لا بعدها مثلها.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: /كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناس ناداهم: ليخرج إليّ بعضكم؛ فيخرج إليه فتيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيّما أحبّ إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر؟فيقولون له: أمّا القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك، فأنشدنا؛ فيقول لهم: يا فسقة، و اللّه قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن، ثم لا يزال ينشدهم و يستنشدهم حتى يملّوا ثم يفترقون.

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فقال إن أردتم... » و ظاهر أن كلمة «إن» مقحمة.

11-أخبار سياط و نسبه

أخبار سياط و نسبه و تلامذته و أستاذه:

سياط لقب غلب عليه، و اسمه عبد اللّه بن وهب، و يكنى أبا وهب، مكيّ مولى خزاعة. و كان مقدّما في الغناء رواية و صنعة، و مقدّما في الضرب معدودا في الضّرّاب. و هو أستاذ ابن جامع و إبراهيم الموصلي، و عنه أخذا و نقلا و نقل نظراؤهما الغناء القديم، و أخذه هو عن يونس الكاتب. و كان سياط زوج أمّ ابن جامع. و فيه يقول بعض الشعراء: ما سمعت الغناء إلّا شجاني # من سياط و زاد في وسواسي

غنّني يا سياط قد ذهب الليـ # ـل غناء يطير منه نعاسي

ما أبالي إذا سمعت غناء # لسياط ما فاتني للرّؤاسي

و الرؤاسيّ الذي عناه هو عباس بن منقار، و هو من بني رؤاس. و فيه يقول محمد بن أبان الضّبّيّ: إذا و آخيت عبّاسا # فكن منه على وجل[1]

فتى لا يقبل العذر # و لا يرغب في الوصل

و ما[2]إن يتغنّى من # يواخيه من النّبل

سبب تلقيبه بسياط:

قال حمّاد بن إسحاق: لقّب سياط هذا اللقب لأنه كان كثيرا ما يتغنّى: كأنّ مزاحف الحيّات فيه # قبيل الصبح آثار السّياط

مدح إبراهيم الموصلي غناءه:

و أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني هارون بن مخارق[3]عن أبيه، و أخبرني به عبد اللّه بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي[4]عن وسواسة الموصليّ-و لم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة-عن حماد عن أبيه، قالا[5]:

[1]كذا في الأصول. و الوجل بالتحريك، و لعله سكن لضرورة الشعر، و يحتمل أن يكون صوابه: «على دخل» . و الدخل بسكون الخاء كالدخل بالتحريك و هو الريبة.

[2]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «و من» .

[3]في الأصول: «هارون بن مخالف» و هو تحريف، لأن الذي يروي عنه محمد بن خلف وكيع هو «هارون بن مخارق» .

[4]كذا في حـ، و في جميع الأصول: «الربعي» و هو تحريف. راجع الحاشية (رقم 2 ص 252 من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

[5]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «قال» .

طلبه المهدي مع حبال و عقاب فظن الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم:

غنّى إبراهيم الموصليّ يوما صوتا لسياط؛ فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبت؟قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله؛ لسياط. قال: و قال المهديّ يوما و هو يشرب لسلاّم الأبرش[1]: جئني بسياط و عقاب و حبال؛ فارتاع كلّ من حضر و ظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم؛ فجاءه بسياط المغنّي و عقاب المدني -و كان الذي يوقع عليه-و حبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم و المهديّ يضحك.

مر بأبي ريحانة المدني و هو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه و بقي في البرد:

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: مرّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد و هو جالس في الشمس و عليه ثوب رقيق رثّ؛ فوثب إليه/أبو ريحانة و قال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتك في شعر ابن جندب[2]: /

فؤادي رهين في هواك و مهجتي # تذوب و أجفاني عليك همول

فغنّاه إياه، فشقّ قميصه و رجع إلى موضعه من الشمس و قد ازداد بردا و جهدا. فقال له رجل: ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك!فقال له يا ابن أخي، إن الشعر الحسن من المغنّي الحسن ذي الصوت المطرب أدفأ للمقرور من حمّام محمّى. فقال له رجل: أنت عندي من الذين قال اللّه جل و عزّ: **فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ؛ فقال: بل أنا من الذين قال تبارك و تعالى: **اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** . و قد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز[3]عن ابن خرداذبه فذكر قريبا من هذا؛ و لفظ أبي أيوب و خبره أتم.

و أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي، المعروف بابن أبي اليسع، قال حدّثنا عمر بن شبّة: أنّ سياطا مرّ بأبي ريحانة المدنيّ، فقال له: بحق القبر و من غنّني بلحنك في شعر ابن جندب: لكلّ حمام أنت باك إذا بكى # و دمعك منهلّ و قلبك يخفق

مخافة بعد بعد قرب و هجرة # تكون و لمّا تأت و القلب مشفق

و لي مهجة ترفضّ من خوف عتبها # و قلب بنار الحبّ يصلى و يحرق

أظلّ خليعا بين أهلي متيّما # و قلبي لما يرجوه منها معلّق

فغنّاه إياه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه و غشي عليه. فقال له رجل لمّا أفاق: يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء!ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم.

[1]كذا في حـ و «الطبري» في أكثر من موضع و فيما مر في جميع الأصول في الجزء الخامس. و هو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية في أيام البرامكة، و هو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعي لأرسطو المعروف بسماع الكيان، و هو ثماني مقالات. و قد ترجم هذا الكتاب من اليوناني إلى السرياني و منها إلى العربي، و من الرومي إلى العربي، و لم ندر اللغة التي ترجمه منها إلى اللغة العربية أ هي السريانية أم الرومية. (راجع «فهرست ابن النديم» و «تاريخ الحكماء» للقفطي و «كشف الظنون») . و في سائر الأصول هنا: «سلام بن الأبرش» ، و هو تحريف.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «في شعر ابن جندب قال... إلخ» . و الظاهر أن كلمة «قال» مقحمة من الناسخ.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «علي بن عبد العزيز بن خرداذبه» و هو تحريف؛ لأن ابن خرداذبه هو عبيد اللّه بن عبد اللّه. و قد سبقت رواية علي بن عبد العزيز عنه.

سمع أبو ريحانة جارية تغني فشق قربتها و اشترى لها عوضها:

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

مرّت جارية بأبي ريحانة يوما على ظهرها قربة و هي تغنّي و تقول:

و أبكى فلا ليلى بكت من صبابة # إليّ و لا ليلى لذي الودّ تبذل

و أخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا # و إن أذنبت كنت الذي أتنصّل

فقام إليها فقال: يا سيّدتي أعيدي؛ فقالت: مولاتي تنتظرني و القربة على ظهري؛ فقال: أنا أحملها عنك؛ فدفعتها إليه فحملها، و غنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقّها. فقالت له الجارية: أ من حقّي أن أغنّيك و تشقّ قربتي!فقال لها: لا عليك، تعالي معي إلى السّوق؛ فجاءت معه فباع ملحفته و اشترى لها بثمنها قربة جديدة. فقال له رجل: يا أبا ريحانة، أنت و اللّه كما قال اللّه عزّ و جلّ: **فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ؛ فقال: بل أنا كما قال اللّه عزّ و جلّ: **اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** .

مر بأبي ريحانة المدني و هو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه و بقي في البرد:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني أبو العيناء قال قال إسحاق الموصليّ: بلغني أنّ أبا ريحانة المدنيّ كان جالسا في يوم شديد البرد و عليه قميص خلق رقيق؛ فمرّ به سياط المغنّي فوثب إليه و أخذ بلجامه و قال له: يا سيّدي، بحق القبر و من فيه غنّني صوت ابن جندب، فغنّاه[1]: فؤادي رهين في هواك و مهجتي # تذوب و أجفاني عليك هموم

/فشقّ قميصه حتى خرج منه و بقي عاريا و غشي عليه، و اجتمع الناس حوله و سياط واقف/متعجّب مما فعل. ثم أفاق و قام إليه؛ فرحمه سياط و قال له: مالك يا مشئوم؟أيّ شيء تريد؟قال: غنّني باللّه عليك: سودّع أمامة حان منك رحيل # إنّ الوداع لمن تحبّ قليل

مثل القضيب تمايلت أعطافه # فالريح تجذب متنه فيميل

إن كان شأنكم الدلال فإنه # حسن دلالك يا أميم جميل

فغنّاه إياه؛ فلطم وجهه ثم خرج الدم من أنفه و وقع صريعا. و مضى سياط، و حمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك! خرقت قميصك و ليس لك غيره!فقال: دعوني، فإن الغناء الحسن من

المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حمّام المهديّ إذا أوقد سبعة أيام. قال: و وجّه له سياط بقميص و جبّة و سراويل و عمامة.

زاره إبراهيم الموصلي و ابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه الخزاعيّ و حمّاد بن إسحاق جميعا عن إسحاق قال: كان سياط أستاذ أبي و أستاذ ابن جامع و من كان في ذلك العصر. فاعتلّ علة، فجاءه أبي و ابن جامع يعودانه.

فقال له أبي: أعزز عليّ بعلتك أبا وهب!و لو كانت مما يفتدى لفديتك منها. قال: كيف كنت لكم؟قلنا: نعم [1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فغناه و قال... إلخ» . و الظاهر أن كلمة «و قال» مقحمة من الناسخ.

الأستاذ و السيّد. قال: قد غنّيت لنفسي ستين صوتا فأحبّ ألاّ تغيّروها و لا تنتحلوها. فقال له أبي: أفعل ذلك يا أبا وهب، و لكن أيّ ذلك كرهت: أن يكون في غنائك فضل فأقصّر عنه فيعرف فضلك عليّ فيه، أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحساني إليك و يأخذه الناس عني لك؟[قال][1]: لقد استعفيت من غير مكروه. قال الخزاعيّ/في خبره: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خزاعيّا، و كان له زامر يقال له حبال، و ضارب يقال له عقاب. قال حماد قال أبي: أدركت أربعة كانوا أحسن الناس غناء، سياط أحدهم. قال: و كان موته في أوّل أيام موسى الهادي.

زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه:

أخبرني يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعب قال:

دخل ابن جامع على سياط و قد نزل به الموت؛ فقال له: أ لك حاجة؟ فقال: نعم، لا تزد في غنائي شيئا و لا تنقص منه، دعه رأسا برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتا.

دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة:

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني محمد بن حديد أخو النّضر بن حديد:

أن إخوانا لسياط دعوه، فأقام عندهم و بات[2]، فأصبحوا فوجدوه ميّتا في منزلهم، فجاءوا إلى أمّه و قالوا:

يا هذه، إنّا دعونا ابنك لنكرمه و نسرّ به و نأنس بقربه فمات فجأة، و ها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت؛ و نشدناك اللّه ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تدّعي فيه علينا ما لم نفعله. فقالت: ما كنت لأفعل، و قد صدقتم، و هكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره و دفنته. و قد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغنّي، و خبره في ذلك يذكر مع أخباره إن شاء اللّه تعالى.

غنى أحمد بن المكي إبراهيم بن المهدي صوتا له فاستحسنه:

أخبرنا يحيى بن عليّ و عيسى بن الحسين الزيات[3]-و اللفظ له-قالا حدّثنا أبو أيوب قال حدّثنا أحمد بن المكّيّ قال:

/ «غنّيت إبراهيم بن المهديّ لسياط:

فاستحسنه جدّا، و قال لي: ممن أخذته؟قلت: من جارية أبيك قرشيّة الزّبّاء؛ فقال: أشعرت أنه/كان لأبي ثلاث جوار محسنات كلّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء و قرشية السوداء و قرشية البيضاء، و كانت الزباء أحسنهن غناء-يعني التي أخذت منها هذا الصوت-قال: و كنت أسمعها كثيرا تقول: قد سمعت المغنّين و أخذت عنهم و تفقّدت أغانيهم، فما رأيت فيهم مثل سياط قطّ. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة.

[1]زيادة عن حـ.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و مات» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «عيسى بن الحسين» (بسقوط كلمة: الزيات) . و لم نجد في المراجع التي بين أيدينا و لا فيما تقدّم من «الأغاني» شيخا روى عنه أبو الفرج اسمه: «عيسى بن الحسين الزيات» . و لكن الذي سبقت رواية أبي الفرج عنه في أكثر من موضع هو: «عيسى بن الحسين الورّاق» .

نسبة هذا الصوت

صوت

ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوي # و جوى الحبّ مفظع غير حلو

لو علا بعض ما علاني ثبيرا[1] # ظلّ ضعفا ثبير من ذاك يهوي

من يكن من هوى الغواني خليّا # يا ثقاتي فإنني غير خلو

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

صوت من المائة المختارة

يا أمّ عمرو لقد طالبت ودّكم # جهدي و أعذرت فيه كلّ إعذار

حتى سقمت، و قد أصبحت سالمة، # مما أعالج من همّ و تذكار

/لم يسمّ قائل هذا الشعر. و الغناء للرّطّاب. و الرّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. و قيل له الرطّاب لأنه كان يبيع الرّطب بالمدينة. و لحنه المختار هزج بالوسطى.

صوت من المائة المختارة

تصدّع الأنس[2]الجميع # أمسى فقلبي به صدوع

في إثرهم و جفون عيني # مخضلّة كلها[3]دموع

لم يسمّ لنا قائل هذا الشعر و لا عرفناه. و الغناء لدكين بن يزيد الكوفي. و لحنه المختار من[4]خفيف الثقيل بالوسطى، و هكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق. و ذكر هذا الصوت في مجرّد شجا فنسبه إلى دكين، و جنّسه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و ذكر أيضا فيه لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى معبد و إلى الغريض. و فيه بيتان آخران و هما:
فالقلب إن سيم عنك صبرا # كلّف ما ليس يستطيع

عاص لمن لام في هواكم # و هو لكم سامع مطيع

[1]ثبر (بفتح أوله و كسر ثانيه بعده ياء وراء مهملة) : جبل معروف بمكة من ناحية الشرق في طريق منى، و هو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عطف وادي إبراهيم عليه السّلام من يسار المارّ إلى منى، و عرف برجل من هذيل، مات فدفن به فعرف به الجبل، و يرى من منى و المزدلفة.

[2]الأنس (بالتحريك) : الحي المقيمون.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «طلها» .

[4]في حـ: «من الثقيل... إلخ» .

صوت من المائة المختارة

يا أيها الرجل الذي # قد زان منطقه البيان

لا تعتبنّ على الزما # ن فليس يعتبك الزمان

/الشعر لعبد اللّه بن هارون العروضيّ. و الغناء لنبيه المغنّي، و لحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر.

فأمّا عبد اللّه بن هارون فما أعلم أنه وقع إليّ له خبر إلا ما شهر من حاله في نفسه. و هو عبد اللّه بن هارون بن السّميدع، مولى قريش، من أهل البصرة. و أخذ العروض من الخليل ابن أحمد، فكان مقدّما فيه. و انقطع إلى آل سليمان بن علي و أدّب أولادهم، و كان يمدحهم كثيرا، فأكثر شعره فيهم. و هو مقلّ جدّا. و كان يقول أوزانا من العروض غريبة في شعره، ثم أخذ ذلك عنه و نحا نحوه فيه رزين العروضيّ فأتى فيه ببدائع جمّة، و جعل أكثر شعره من هذا الجنس. فأمّا عبد اللّه بن هارون فما عرفت له خبرا و لا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرته.

12-ذكر نبيه و أخباره

نسبه و أصله و شعره و سبب تعلمه الغناء:

زعم ابن خرداذبه أنه رجل من بني تميم صليبة، و أن أصله من الكوفة، و أنه كان في أوّل أمره شاعرا لا يغنّي، و يقول شعرا صالحا. فهوي قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها و جعله سببا للدخول عليها؛ و لم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه و صنع فأحسن و اشتهر، و دوّن غناؤه وعدّ في المحسنين. فمما قاله في هذه الجارية و غنّى فيه قوله:

صوت

يا ربّ إني ما جفوت و قد جفت # فإليك أشكو ذاك يا ربّاه

مولاة سوء ما ترقّ لعبدها # نعم الغلام و بئست المولاه

يا ربّ إن كانت حياتي هكذا # ضررا عليّ فما أريد حياه

الغناء لنبيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. و من الناس من ينسب الشعر و الغناء إلى عليّة بنت المهديّ.

سمع مخارق مدح إبراهيم الموصلي لغنائه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: قلت[1]لمخارق، و قد غنّى هذا 2لصوت يوما:

متى تجمع القلب الذكيّ و صارما # و أنفا حميّا تجتنبك المظالم[2]

فسألته لمن هو؛ فقال: هذا لنبيه التّميمي؛ و كان له أخوان يقال لهما منبّه و نبهان، /و كان ينزل شهار سوج[3] الهيثم في درب الرّيحان. قال أبو زيد: و سمعت مخارقا يحدّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن ميمون يقول-و قد ذكر نبيها-: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرنا[4]. قال: و كنت قد غنّيته صوتا أخذته[5]عنه، و هو: شكوت إلى قلبي الفراق فقال لي # من الآن فاياًس لا أغرّك بالصبر

[1]في جميع الأصول: «قال لي مخارق» . و هو غير مستقيم مع سياق الكلام.

[2]هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر، قالها لما استرد إبله و خيله من حريم الهمداني و كان قد أغار عليها و أخذها. (راجع أخباره ج 21 ص 175-176 من «الأغاني» طبع ليدن) .

[3]شهار سوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد في قبلة الحربية. و الهيثم الذي أضيفت إليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية.

[4]في حـ: «خيرنا» (بالياء المثناة) .
[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «أجدته عنه» بالجيم.

إذا صدّ من أهوى و أسلمني العزا # ففرقة من أهوى أحرّ من الجمر

كان مع علي بن المفضل عند عبيد اللّه بن أبي غسان فأكل لحم غزال و مات:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني ابن أبي سعد[1]عن محمد بن عبد اللّه بن مالك قال حدّثني عليّ بن المفضّل قال: اصطبحنا يوما أنا و نبيه عند عبيد اللّه بن أبي غسّان، فغنّانا نبيه لحنه: يا أيها الرجل الذي # قد زان منطقه البيان

/فما سمعت أحسن منه، و كان صوتنا عليه بقية يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألنا عبيد اللّه أن نبيت عنده و نصطبح من غد فأجبناه. و قال لنبيه: أيّ شيء تشتهي أن يصلح لك؟قال: تشتري لي غزالا فتطعمني كبده كبابا، و تجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحبّ. فلما استوفى أكله استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزعنا من ذلك. و بعث عبيد اللّه إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجعت[2]ثم قالت: لا بأس عليكم!هو/رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتتهم جميعا و ميتة أبيهم من قبلهم؛ فسكنّا إلى ذلك. و غسّل في دار عبيد اللّه و أصلح شأنه و صلّي عليه، و مضينا به إلى مقابرهم فدفن هناك.

صوت من المائة المختارة

وقفت على ربع لسعدى و عبرتي # ترقرق في العينين ثم تسيل

أسائل ربعا قد تعفّت رسومه # عليه لأصناف الرياح ذيول[3]

لم يسمّ لنا قائل هذا الشعر. و الغناء لسليم هزج خفيف بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1]كذا في حـ، و هو عبد اللّه بن أبي سعد و قد تقدّمت روايته عن محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي و رواية ابن مهرويه عنه فيما مر من الأجزاء السابقة كثيرا. و في سائر الأصول: «ابن أبي سعيد» و هو تحريف.

[2]استرجع في المصيبة: استعاذ و قال: **إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** .

[3]كذا في حـ. و الذيول من الريح: ما تتركه في الرمل كأثر ذيل مجرور. و في سائر الأصول: «ذبول» (بالباء الموحدة) و هو تصحيف.

13-أخبار سليم

انقطع إلى إبراهيم الموصلي و هو أمرد فأحبه و علمه:

هو سليم بن سلاّم الكوفيّ، و يكنى أبا عبد اللّه. و كان حسن الوجه حسن الصوت. و قد انقطع و هو أمرد إلى إبراهيم الموصليّ، فمال إليه و تعشّقه، فعلّمه و ناصحه، فبرع و كثرت روايته، و صنع فأجاد. و كان إسحاق يهجوه و يطعن عليه. و اتّفق له اتفاق سيّئ: كان يخدم الرشيد فيتّفق مع ابن جامع و إبراهيم و ابنه إسحاق و فليح ابن العوراء و حكم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. و كان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه.

سأل الرشيد برصوما عنه و عن أربعة من المغنين فأجابه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه:

أن إسحاق قال في سليم:

سليم بن سلاّم على برد خلقه # أحرّ غناء من حسين بن محرز

و أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق:

أنّ الرشيد قال لبرصوما الزامر و كانت فيه لكنة ما تقول في ابن جامع؟قال: زقّ من أسل (يريد من عسل) .

قال: فإبراهيم؟قال: بستان فيه فاكهة و ريحان و شوك. قال: فيزيد حوراء؟قال: ما أبيد أسنانه! (يريد ما أبيض) .

قال: فحسين بن محرز؟قال: ما أهسن خظامه[1]! (يريد ما أحسن خضابه) . قال: فسليم بن سلاّم؟قال: ما أنظف ثيابه!.

نصحه برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد:

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبّة عن إسحاق:

/و غنّى سليم يوما و برصوما يزمر عليه بين يدي الرشيد، فقصّر سليم في موضع صيحة، فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به و قال له: يا أبا عبد اللّه، صيهة[2]أشدّ من هذا، صيهة[2]أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: و ما أذكر أني ضحكت قطّ أكثر من ذلك اليوم.

[1]في حـ: «حضابه» .

[2]كذا في ب، س.

كان يجيد الأهزاج فغنى الرشيد فوصله:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب: إنما أخّر سليما عن أصحابه في الصنعة ولعه بالأهزاج، فإن ثلثي/صنعته هزج، و له من ذلك ما ليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غنّى سليم يوما بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولاء، أوّلها: مت على من غبت عنه أسفا

و الثاني:

أسرفت في الإعراض و الهجر

و الثالث:

أصبح قلبي به ندوب

فأطر به و أمر له بثلاثين ألف درهم، و قال[له][1]: لو كنت الحكم الواديّ ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك. (يعني أنّ الحكم كان منفردا بالهزج) .

نسبة هذه الأصوات

صوت

مت على من غبت عنه أسفا # لست منه بمصيب خلفا

لن ترى قرة عين أبدا # أو ترى نحوهم منصرفا

/قلت لمّا شقّني وجدي بهم # حسبي اللّه لما بي و كفى

بيّن الدمع لمن أبصرني # ما تضمّنت إذا ما ذرفا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء لسليم، و له فيه لحنان، أحدهما في الأوّل و الثاني هزج بالوسطى، و الآخر في الثالث و الرابع خفيف رمل بالبنصر مطلق. و فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

و منها:

صوت

أسرفت في الإعراض و الهجر # و جزت حدّ التّيه و الكبر

الهجر و الإعراض من ذي الهوى # سلّم ذي الغدر إلى الغدر

ما لي و للهجران حسبي الذي # مرّ على رأسي من الهجر

و دون ما جرّبت فيما مضى # ما عرّف الخير من الشر

الغناء لسليم هزج بالبنصر.
و منها:
[1]زيادة عن حـ.

صوت

أصبح قلبي به ندوب # أندبه الشادن الرّبيب

تماديا منه في التّصابي # و قد علا رأسي المشيب

أظنني ذائقا حمامي # و أنّ إلمامه قريب

إذا فؤاد شجاه حبّ # فقلّما ينفع الطبيب

الشعر لأبي نواس. و الغناء لسليم، و له فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، و هزج بالوسطى عن الهشاميّ. و زعمت بذل أنّ الهزج لها.

كان أبوه من دعاة أبي مسلم:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كان سليم بن سلاّم كوفيّا، و كان أبوه من أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة و دعاته و ثقاته، فكان يكاتب أهل العراق على يده. و كان سليم حسن الصوت جهيره، و كان بخيلا.

دعا صديقين و لما جاءا اشتريا طعاما فأكل معهما:

قال أحمد بن أبي طاهر و حدّثني أبو الحواجب الأنصاريّ، و اسمه محمد، قال: قال لي سليم يوما: امض إلى موسى بن إسحاق/الأزرق فادعه و وافياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة و نبيذا، و لم يطعمنا شيئا، و لم نكن أكلنا شيئا. فغمر موسى غلامه فذهب فاشترى لنا خبزا و بيضا، فأدخله إلى الكنيف و جلسنا نأكل؛ فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب و خاصمنا و قال: أ هكذا يفعل الناس!تأكلون و لا تطعموننني!و جلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فني الخبز و البيض.

طلب من محمد اليزيدي نظم شعر يغني به الخليفة ففعل:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أبي قال: كان سليم بن سلاّم صديقي و كان كثيرا ما يغشاني. فجاءني يوما و أعلمني الغلام بمجيئه، فأمرت بإدخاله، فدخل و قال: قد جئتك في حاجة؛ فقلت: مقضيّة. فقال: إنّ المهرجان بعد غد، و قد أمرنا بحضور مجلس الخليفة، و أريد أن أغنيه لحنا أصنعه في شعر لم يعرفه هو و لا من بحضرته، فقل أبياتا أغنّي فيها ملاحا؛ فقلت: على أن تقيم عندي و تصنع بحضرتي اللحن؛ قال: أفعل. فردّوا دابّته و أقام عندي، و قلت:

صوت

أتيتك عائذا بك منـ # ك لمّا ضاقت الحيل

و صيّرني هواك و بي # لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي # فما لاقيته جلل

و إن قتل الهوى رجلا # فإني ذلك الرجل

فغنّى فيه و شربنا يومئذ عليه، و غنّانا عدة أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشط منه يومئذ.

سرق محمد اليزيدي معنيين من شعر مسلم بن الوليد:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عبد اللّه[1]بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أخي محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر قطّ إلا معنيين: قال[2]مسلم بن الوليد: ذاك ظبيّ تحيّر[3]الحسن في الأر # كان منه و جال كلّ مكان

عرضت دونه الحجال فما يلـ # قاك إلا في النوم أو في الأماني

فاستعرت[4]معناه فقلت:

صوت

يا بعيد الدار موصو # لا بقلبي و لساني[5]

ربّما باعدك الدهـ # ر فأدنتك الأماني

-الغناء في هذين البيتين لسليم هزج بالبنصر عن الهشاميّ-.

/قال: و قال مسلم أيضا:

متى ما تسمعي بقتيل أرض # فإني ذلك الرجل القتيل

-و يروى: «أصيب فإنني ذاك القتيل» -فقلت:

أتيتك عائذا بك منـ # ك لمّا ضاقت الحيل

و صيّرني هواك و بي # لحيني يضرب المثل

/فإن سلمت لكم نفسي # فما لاقيته جلل

و إن[6]قتل الهوى رجلا # فإني ذلك الرجل

غنى مخارقا صوتا، فلما بلغ ابن المهدي طلبه و غناه إياه:

وجدت في كتاب عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، و لم أسمعه من أحد: أن إبراهيم بن المهديّ سأل جماعة من إخوانه أن يصطبحوا عنده-قال حمدون: و كنت فيهم-و كان فيمن دعا [1]الظاهر أنه: «عبيد اللّه» لا: «عبد اللّه» ، و هو أخو الفضل و العباس ولدي محمد اليزيدي.

[2]في الأصول: «قول» ، و هو لا يلتئم مع سياق الكلام الآتي.

[3]في ب، س: «تخير» (بالخاء المعجمة) و هو تصحيف.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فاستعرضت» .

[5]نسبت هذه الأبيات في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 2 ص 344 طبع مصر) ليحيى بن المبارك اليزيدي المقرئ النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء و هو والد محمد اليزيدي المنسوب إليه الشعر هنا.

[6]كذا في حـ. و في سائر الأصول هنا: «فإن» .

مخارق، فسار إليه و هو سكران لا فضل فيه لطعام و لا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم و عاتبه على ما صنع؛ فقال: لا و اللّه أيها الأمير، ما كان آفتي إلا سليم بن سلاّم؛ فإنه مرّ بي فدخل عليّ فغنّاني صوتا له صنعه قريبا فشربت عليه إلى السّحر حتى لم يبق فيّ فضل و أخذته. فقال له إبراهيم: فغنّناه إملالا[1]، فغنّاه:

صوت

إذا كنت ندماني فباكر مدامة # معتقة زفّت إلى غير خاطب

إذا عتّقت في دنّها العام أقبلت # تردّى[2]رداء الحسن في عين شارب

/-الغناء لسليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر-قال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره، فغنّاه إياه و طرحه على جواريه و أمر له بجائزة، و شربنا عليه بقيّة يومنا حتى صرنا في حالة مخارق و صار في مثل أحوالنا.

صوت من المائة المختارة

عتق الفؤاد من الصّبا # و من السّفاهة و العلاق

و حططت رحلي عن قلو # ص الحبّ في قلص عتاق[3]

و رفعت فضل إزاري الـ # مجرور عن قدمي و ساقي

و كففت غرب النفس حتـ # ى ما تتوق إلى متاق

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر. و الغناء لابن عبّاد الكاتب و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل، و قيل: إنه لغيره، بل قيل: إنه لعمرو.

[1]يريد: غننا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة و لا نقص.

[2]تردى فلان: لبس الرداء.

[3]في ب، س: «العتاق» .

14-أخبار ابن عبّاد

نسبه و كنيته و صناعته:

هو محمد بن عبّاد، مولى بني مخزوم، و قيل: إنه مولى بني جمح، و يكنى أبا جعفر. مكّيّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم. و قد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، متقن الصنعة كثيرها. و كان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابن عبّاد الكاتب.

قابله مالك و طلب منه الغناء ففعل فذمه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثّقفي عن أبي خالد الكنانيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال:

و اللّه إني لأمشي بأعلى مكة في الشّعب[1]، إذ أنا بمالك على حمار له و معه فتيان[2]من أهل المدينة، فظننت أنهم قالوا له: هذا ابن عبّاد؛ فمال إليّ فملت إليه؛ فقال لي: أنت ابن عبّاد؟قلت: /نعم؛ قال: مل معي هاهنا، ففعلت؛ فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهليز ابن عامر و قال: غنّني؛ فقلت: أغنّيك هكذا و أنت مالك!-و قد كان يبلغني أنه يثلب أهل مكة و يتعصّب عليهم-فقال: باللّه إلا غنّيتني صوتا من صنعتك. فاندفعت فغنّيته:

صوت

ألا يا صاحبيّ قفا قليلا # على ربع تقادم بالمنيف[3]

فأمست دارهم[4]شحطت و بانت[5] # و أضحى القلب يخفق ذا و جيف

/و ما غنّيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغت نظر إليّ و قال لي: قد و اللّه أحسنت!و لكنّ حلقك كأنه حلق زانية. فقلت: أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتّ. و هذا اللحن من صدور غناء ابن عباد. و لحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «في الشعر» .

[2]في حـ: «فتيان من أهل المدينة فما ظننت إلا أنهما قالا له» .

[3]المنيف: موضع قبل عمق (بفتح أوله و إسكان ثانيه: ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز) و قيل: المنيف: حصن في جبل صبر (ككتف) من أعمال تعز (بالفتح ثم الكسر و الزاي مشددة) باليمن. و هناك منيف لحج أيضا و هو حصن قرب عدن.

[4]في حـ: «دورهم» .

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و ناءت» .

وفاته ببغداد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى و عيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المديني قال حدّثني جماعة من أهل العلم: أنّ ابن عبّاد الكاتب توفّي ببغداد في الدولة العباسية و دفن بباب[1]حرب. و قال أبو أيوب: أظنه فيمن قدم من مغنّي الحجار على المهديّ.

صوت من المائة المختارة

يا طلا غيّره بعدي # صوب ربيع صادق الرعد

أراك بعد الأنس ذا[2]وحشة # لست كما كنت على العهد

ما لي أبكي طللا كلما # ساءلته عيّ عن الردّ

كان به ذو غنج[3]أهيف # أحور مطبوع على الصّدّ

لم يسمّ أبو أحمد[4]قائل هذا الشعر. و الغناء ليحيى المكيّ، و لحنه المختار من الهزج بالوسطى.

[1]باب حرب: موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد اللّه البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور و كان يتولى شرطة بغداد. و في مقبرة باب حرب قبر أحمد بن حنبل و بشر الحافي و أبي بكر الخطيب و من لا يخصى من العلماء و العباد و الصالحين و أعلام المسلمين.

[2]في حـ: «في وحشة» .

[3]الغنج: التكسر و التدلل.

[4]أبو أحمد هو يحيى بن علي بن يحيى المنجم.

15-أخبار يحيى المكي و نسبه

اسمه و كنيته و كتمانه ولاءه لبني أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس:

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، و كان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفا من أن يجتنبوه و يحتشموه؛ فإذا سئل عن ولائه انتمى إلى قريش و لم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم[1]، و استعفى من سأله عن ذلك.

و يكنى يحيى أبا عثمان. و ذكر ابن خرداذبه أنه مولى خزاعة. و ليس قوله مما يحصّل، لأنه لا يعتمد فيه على رواية و لا دراية.

أخبرني عبد اللّه بن الرّبيع أبو بكر الرّبيعي صديقنا رحمه اللّه قال حدّثني وسواسة بن الموصليّ-و قد لقيت وسواسة هذا، و هو أحمد بن[2]إسماعيل بن إبراهيم و كان معلّما، و لم أسمع هذا منه فكتبته و أشياء أخر عن أبي بكر رحمه اللّه-قال حدّثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي: سألت يحيى المكيّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدته في الشّرح فسألني أن أعفيه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق و يحيى بن عليّ بن يحيى قالا[3]حدّثنا أبو أيوب المديني قال: كان يحيى المكي يكنى أبا عثمان، و هو مولى بني أميّة، و كان يكتم ذلك و يقول: أنا مولى قريش.

مدحه أبان اللاحقي و عارض الأعشى في مدح دحمان:

و لما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان: /

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم # لمّا انبرى لهم دحمان خصيانا

/فأبلغوه عن الأعشى مقالته # أعشى سليم أبي عمرو سليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته # يا ليت دحمان قبل الموت غنّانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ-و يقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها. و الأشبه عندي أنها لأبان، و ما أظنّ ابنه[4]أدرك يحيى-: يا من يفضّل دحمانا و يمدحه[9] # على المغنّين طرّا قلت بهتانا

[1]في أ، ء، م: «له» .

[2]راجع الحاشية-رقم 1 ص 154 من الجزء الخامس من «الأغاني» من هذه الطبعة.

[3]في ب، س: «قال» . و هو تحريف.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «أنه» ، و هو تحريف.
[5]في حـ: «يمدحنه» .

لو كنت جالست يحيى أو سمعت به # لم تمتدح أبدا ما عشت إنسانا

و لم تقل سفها في[1]منية[2]عرضت # يا ليت دحمان قبل الموت غنّانا

لقد عجبت لدحمان و مادحه # لا كان مادح دحمان و لا كانا

ما كان كابن صغير العين إذ جريا # بل قام في غاية المجرى و ما دانى

بذّ الجياد أبو بكر و صيّرها # من بعد ما قرحت جذعا و ثنيانا[3]

يعني بأبي بكر ابن صغير العين، و هو من مغنّي مكة. و له أخبار[4]تذكر في موضعها إن شاء اللّه تعالى.

منزلته في الغناء و تلاميذه:

و عمّر يحيى المكي مائة و عشرين سنة، و أصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه، و مات و هو صحيح السمع و البصر و العقل. و كان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته، فخرج أكثرهم و بقي يحيى بالعراق هو و ولده/يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. و كان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي، و كان يغنّي مرتجلا، و يحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة. و لقيه جماعة من أصحابنا، و أخذ عنه جماعة ممن أدركنا[5]من عجائز المغنيّات، منهم قمرية العمريّة، و كانت أمّ ولد عمرو بن بانة. و ممن أدركه من أصحابنا جحظة، و كتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكايات حسنة من أخبار أهله. و كان ابن جامع و إبراهيم الموصليّ و فليح يفزعون إليه في الغناء القديم و يأخذونه عنه، و يعايي[6]بعضهم بعضا بما يأخذه منه و يغرب به على أصحابه؛ فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا[7]منها و وفّروا نصيبه. و له صنعة عجيبة نادرة متقدّمة. و له كتاب في الأغاني و نسبها و أخبارها[و أجناسها][8]كبير جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطّرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. و العمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيرا مما أفسده أبوه، و أزال ما عرفه من تخاليط أبيه، و حقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه. و هو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

عمل كتابا في الأغاني و أهداه لعبد اللّه بن طاهر فصححه ابنه لمحمد بن عبد اللّه:

أخبرني عبد اللّه بن الرّبيع قال حدّثني وسواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال: عمل جدّي كتابا في الأغاني و

أهداه إلى عبد اللّه بن طاهر، و هو يومئذ شابّ حديث السن، فاستحسنه و سرّ به؛ [1]في أ، ء، م: «من» .

[2]المنية (بالضم و تكسر) : البغية و ما يتمنى.

[3]قرح الفرس: صار قارحا. و القارح من ذي الحافر: الذي شق نابه و طلع، و هو بمنزلة البازل من الإبل، و ذلك في الخامسة من سنه.

و الجذع (بضمتين و سكن لضرورة الشعر) : جمع جذع (بالتحريك) و هو ما كان في الثانية من سنه. و الثنيان (بالضم) : جمع ثنى و هو ما كان في الثالثة من سنه.

[4]لم نجد لأبي بكر هذا أخبارا في «الأغاني» المطبوع في بولاق. فلعل المؤلف أنسى أن يذكره، أو ذكره و سقط من الكتاب.

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «ممن دركناه» .

[6]كذا في أكثر الأصول. و عايا فلان فلانا معاياة: ألقى إليه كلاما أو عملا لا يهتدي لوجهه. و في ب، س: «يعاني» . و هو تصحيف.

[7]في ب: «أخذوه» و قد صححها المرحوم الشنقيطي في نسخته فجعلها: «أحذوه» (بالحاء المهملة) . و أحذاه من الغنيمة: أعطاه.

[8]زيادة عن أ، ء، م.

ثم عرضه على إسحاق فعرّفه عوارا[1]كثيرا/في نسبه، لأن جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت البتّة، و ينسب صنعته إلى المتقدمين، و ينحل بعضهم صنعة بعض ضنّا بذلك على غيره، فسقط من عين عبد اللّه و بقي في خزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد اللّه، فدعا أبي، و كان إليه محسنا و عليه مفضلا، فعرضه عليه؛ فقال له: إن في هذه[2]النّسب تخليطا كثيرا، خلّطها/أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، و لكني أعمل لك كتابا أصحح هذا و غيره فيه. فعمل له كتابا فيه اثنا عشر ألف صوت و أهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم. و صحّح له الكتاب الأوّل أيضا فهو في أيدي الناس. قال وسواسة: و حدّثني حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكيّ تقديما كثيرا و يفضّله[3] و يناضل[4]أباه و ابن جامع فيه، و يقول: ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحد منكم من أحد أمرين: إمّا أن يكون محقّا[فيه][5]كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته و قد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل[له][5]و أوضح لتقدّمه عليكم. قال: و كان أبي يقول: لو لا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين و إضافته إليهم ما ليس لهم و قلّة ثباته على ما يحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد. و قال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلّط في نسب الغناء تخليطا كثيرا، و لا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة و بمعبد أخرى و بابن سريج و ابن محرز، و يجتهد في إحكامه و إتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث[فيه][6]من ذلك، فيأتي بأحسن[7]صنعة و أتقنها، /و ليس أحد يعرفها؛ فيسأل عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان و أخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يشكّ في قوله، و لا يثبت لمباراته أحد، و لا يقوم لمعارضته و لا يفي بها؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء و أخذه من مظانّه و دوّنه، و كشف عوار يحيى في منحولاته و بيّنها للناس.

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا و عاتبه:

أخبرني عمّي[قال]سمعت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ-و كان مغنيا منقطعا إلى طاهر و ولده و كان من القوّاد-قال: حضرت يحيى المكيّ يوما و قد غنّى صوتا فسئل عنه فقال: هذا لمالك-و لم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت- ثم غنّى لحنا لمالك فسئل عن صانعه فقال: هذا لي؛ فقال له إسحاق: قلت ما ذا؟فديتك، و تضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنّى الصوت. فخجل يحيى حتى أمسك عنه؛ ثم غنّى بعد ساعة في الثقيل الأوّل، و اللحن:

صوت

إنّ الخليط أجدّ فاحتملا # و أراد غيظك بالذي فعلا

[1]العوار (مثلثة) : العيب.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «هذا» .

[3]في ب، س: «و يصله» .

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و يواصل» و هو تحريف.

[5]زيادة عن حـ.

[6]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

[7]في ب، س: «أحسن» .

فظللت تأمل قرب أوبتهم # و النفس مما تأمل الأملا

فسئل عنه فنسبه إلى الغريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نمط الغريض و لا طريقته في الغناء، و لو شئت لأخذت مالك و تركت للغريض ماله و لم تتعب. فاستحيا يحيى و لم ينتفع بنفسه بقيّة يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطاف كثيرة و برّ واسع، و كتب إليه يعاتبه و يستكفّ شرّه و يقول له: لست من أقرانك فتضادّني، و لا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك و مباراتك فتكايدني، و لأنت إلى أن أفيدك و أعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسمو به على أكفائك أحوج منك إلى أن تباغضني، فأعطي غيرك سلاحا إذا حمله عليك لم تقم له، و أنت/أولى و ما تختار. فعرف إسحاق صدق يحيى، فكتب إليه يعتذر، و ردّ/الألطاف التي حملها إليه، و حلف لا يعارضه بعدها، و شرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد؛ فوفّى له بها، و أخذ منه كلّ ما أراد من غناء المتقدمين. و كان إذا حز به أمر في شيء منها فزع إليه فأفاده و عاونه و نصحه؛ و ما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك.

و حذره يحيى، فكان إذا سئل بحضرته عن شيء صدق فيه، و إذا غاب إسحاق خلّط فيما يسأل عنه. قال: و كان يحيى إذا صار إليه إسحاق بطلب منه شيئا أعطاه إياه و أفاده و ناصحه، و يقول لابنه أحمد: تعال حتى تأخذ مع أبي محمد ما اللّه يعلم أني كنت أبخل به عليك فضلا عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: و كان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّبا شديدا؛ و يصفه و يقدّمه و يعترف برئاسته، و كذلك كان في وصف أحمد ابنه و تقريظه.

عدد أصواته التي صنعها:

قال أحمد بن سعيد: و الاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: و كانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد، و الباقي متوسّط. و ذكر بعض أصحاب أحمد بن يحيى المكيّ عنه أنه سئل عن صنعة أبيه فقال: الذي صحّ عندي منها ألف و ثلاثمائة صوت، منها مائة و سبعون صوتا غلب فيها على الناس جميعا من تقدّم منهم و من تأخّر، فلم يقم له فيها أحد.

كان ينسب الأصوات عمدا لغير أصحابها فافتضح أمره:

و قال حماد بن إسحاق قال لي أبي:

كان يحيى المكي يسأل عن الصوت، و هو يعلم لمن هو، فينسبه إلى غير صانعه، فيحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسبه غير تلك النسبة؛ حتى طال ذلك و كثر منه و قلّ تحفّظه، فظهر عواره، و لو لا ذلك لما قاومه أحد.

أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد:

و قال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره:

قال إسحاق يوما للرشيد، قبل أن تصلح الحال بينه و بين يحيى المكي: أ تحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء؟قال نعم. قال: أعطني أيّ شعر شئت حتى أصنع فيه، و اسألني بحضرة يحيى عن نسبته فإني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، و اسأل يحيى عنه إذا غنّيته، فإنه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته. فأعطاه شعرا فصنع فيه لحنا و غنّاه الرشيد؛ ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه. فلما حضر يحيى غنّاه

إسحاق فسأله الرشيد: لمن هذا اللحن؟فقال له إسحاق: لغناديس[1]المديني. فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أ كنت لقيت غناديس المديني؟قال: نعم، لقيته و أخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتا و قال: هذا أحدهما. فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثا و عتق جواريه: أن اللّه ما خلق أحدا اسمه غناديس، و لا سمع في المغنين و لا غيرهم، و أنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره.

علم إسحاق صوتا غناه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب و خاتم:

حدّثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي المرتجل قال: غنى جدّي يوما بين يدي الرشيد:

صوت

هل هيّجتك مغاني الحيّ و الدّور # فاشتقت إن الغريب الدار معذور[2]

و هل يحلّ بنا إذ عيشنا أنق[3] # بيض أوانس أمثال الدّمى حور

/-و الصنعة له خفيف ثقيل-فسار[4]إليه إسحاق و سأله أن يعيده إياه؛ فقال: نعم، حبّا و كرامة/لك يا ابن أخي، و لو غيرك يروم ذلك لبعد عليه؛ و أعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدّي بتخت[5]ثياب و خاتم ياقوت نفيس.

دس له إبراهيم بن المهدي من أخذ عنه صوتا بثمن غال:

حدّثني جحظة قال حدّثني القاسم بن زرزور عن أبيه عن مولاه عليّ[6]بن المارقيّ قال: قال لي إبراهيم بن المهديّ: ويلك يا مارقيّ!إن يحيى المكيّ غنّى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتا فيه ذكر زينب، و قد كان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره، و استعدته إياه فلم يعده، فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه و لك عليّ سبق[7]. فقال لي المارقيّ-و أنا يومئذ غلامه-اذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليوم عندي؛ فمضيت إليه فجئته به. فلما تغدّرا وضع النبيذ؛ فقال له المارقي: إني كنت سمعتك تغنّي صوتا فيه زينب و أنا أحب أن آخذه منك-و كان يحيى يوفّي هذا الشأن حقّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، و لا يدع الطلب و المسألة، و لا يلقي صوتا إلا بعوض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا-فديتك-فعل يحيى مع ما أفاده من المال، و مع كرم من عاشره و خدمه من الخلفاء مثل الرشيد و البرامكة و سائر الناس، لا يلام و لا يعاب، و نحن مع [1]في حـ: «لعتاديس المدني» .

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «مغرور» .

[3]أنق الشيء (من باب علم) : راع حسنه.

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «فصار» .

[5]التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

[6]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «عن مولاه عن ابن المارقي قال» ، و هو تحريف، لأن المارقي هو مولى زرزور كما يشعر بذلك سياق الحديث هنا و كما مر في الجزء الرابع من هذه الطبعة (ص 93) .

[7]السبق (بالتحريك) : الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه.

هؤلاء السّفل إن جئناهم نكارمهم[1]تغافلوا عنا، و إن أعطونا النّزر اليسير منّوا به علينا و عابونا، فمن يلومني أن أشتمهم؟فقلت: ما عليك لوم. /-قال: فقال له يحيى: و أيّ شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت؟قال:

ما تريد؛ قال: هذه الزّربيّة[2]الإرمينيّة، كم تقعد عليها!أ ما آن لك أن تملّها؟قال: بلى، و هي لك. قال: و هذه الظباء الحرميّة، و أنا مكيّ لا أنت، و أنا أولى بها؛ قال: هي لك، و أمر بحملها معه. فلما حصلت له، قال المارقيّ: يا غلام، هات العود؛ قال يحيى: و الميزان و الدراهم، و كان لا يغنّي أو يأخذ خمسين درهما، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قوله:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب # و قل إن تملّينا فما ملّك القلب

-و لحنه لكردم ثقيل أول-فلم يشكّ المارقيّ أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم و أدرك حاجته. فبكّر إلى إبراهيم و قد أخذ الصوت، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له: لا و اللّه ما هو هذا، و قد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثني إليه و بعث معي خمسين درهما. فلما دخل إليه و أكلا و شربا قال له يحيى:

قد واليت بين دعواتك لي، و لم تكن برّا و لا وصولا، فما هذا؟قال: لا شيء و اللّه إلا محبتي للأخذ عنك و الاقتباس منك؛ فقال: سرّك اللّه، فمه. قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت عليّ. قال: فتريد ما ذا؟قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغنّاه:

ألمم بزينب إنّ البين قد أفدا[3] # قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا

-و الغناء لمعبد ثقيل أول-فقال له: نعم، فديتك يا أبا عثمان، هذا هو، ألقه عليّ؛ قال: العوض؛ قال: ما شئت؟قال: هذا المطرف الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه/و ألقى عليه هذا الصوت حتى استوى له، و بكّر إلى إبراهيم؛ فقال له: ما وراءك؟قال: قد قضيت الحاجة؛ فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال: خدعك و اللّه، ليس هذا هو؛ فعاود الاحتيال عليه، و كلّ ما تعطيه إياه ففي ذمّتي. فلما كان/اليوم الثالث بعث بي إليه، فدعوته و فعلنا مثل فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فما لك أيضا؟قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوت هو الذي أردت؛ فقال له: لست أعلم ما في نفسك فأذكره، و إنما عليّ أن أذكر ما فيه زينب من الغناء كما التمست حتى لا يبقى عندي زينب البتة إلا أحضرتها؛ فقال: هات على اسم اللّه؛ قال: اذكر العوض؛ قلت: ما شئت؛

قال: هذه الدّراعة[4]الوشي التي عليك؛ قال: فخذها و الخمسين الدرهم، فأحضرها. فألقى عليه-و الغناء لمعبد ثقيل أول-:

لزينب طيف تعتريني طوارقه # هدوءا إذا النجم ارجحنّت[5]لواحقه

فأخذه منه و مضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحرم؛ فقال له حاجبه: هو متشاغل؛ فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه؛ فقال: يدخل فيغنّيه في الدار و هو قائم، فإن كان هو و إلا فليخرج، ففعل؛ فقال:

[1]كذا في أ، ء، م. و كارمه: أهدى إليه ليكافئه و يثيبه. و في سائر الأصول: «مكارهة» و هو تحريف.

[2]كذا في أكثر الأصول. و الزربية: واحدة الزرابيّ و هي البسط، و قيل كل ما بسط و اتكئ عليه. و في حـ: «الزلية» و الزلية (بضم الزاي و تشديد اللام المكسورة) : البساط، معرب «زيلو» بالفارسية، و جمعها زلالي.

[3]أفد: دنا.

[4]الدراعة (كرمانة) : جبة مشقوقة المقدم و لا تكون إلا من صوف، و جمعها دراريع

[5]ارجحنت: اهتزت و مالت.

لا و اللّه ما هو هذا، و لقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى و هو يضحك: أ ما ظفرت بزينبك بعد؟فقال: لا و اللّه يا أبا عثمان، و ما أشكّ في أنك تعتمدني بالمنع مما أريده، و قد أخذت كل[1] شيء عندي معابثة. فضحك يحيى و قال: قد استحييت منك الآن، و أنا ناصحك على شريطة؛ قال: نعم، لك الشريطة؛ قال: لا تلمني في أن أعابثك لأنك أخذت في معابثتي، و المطلوب إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود/أن تحتال عليّ فإنك تظفر منّي بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ مني صوتا غنّيته، فسألني إعادته فمنعته بخلا عليه لأنه لا يلحقني منه خير و لا بركة، و يريد أن يأخذ غنائي باطلا، و طمع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن و لا حمد؛ لا و اللّه إلا بأوفر ثمن و بعد اعترافك، و إلا فلا تطمع في الصوت. فقال له: أمّا إذ فطنت فالأمر و اللّه على ما قلت، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو و إلا فعليك إعادته، و لو غنّيتني كلّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلا و ماكسه[2]حتى بلغ الصوت ألف درهم، فدفعها إليه؛ و ألقى عليه:

صوت

طرقتك زينب و المزار بعيد # بمنى و نحن معرّسون هجود

فكأنما طرقت بريّا روضة # أنف تسحسح مزنها و تجود

-لحنه خفيف ثقيل. قال: و هو صوت كثير العمل، حلو النّغم، محكم الصّنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع-فأخذه و بكّر إلى إبراهيم بن المهديّ، فقال له: قد أفقرني هذا الصوت و أعراني، و أبلاني بوجه يحيى المكي و شحّه و طلبه و شرهه، و حدّثه بالقصّة؛ فضحك إبراهيم. و غنّاه إياه، فقال: هذا أبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، و أخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه و زاده خمسة آلاف درهم، و حمله على برذون أشهب فاره بسرجه و لجامه. فقال له: يا سيّدي؛ فغلامك زرزور المسكين قد تردّد عليه حتى ظلع[3]، هب له شيئا، فأمر له بألف درهم.

غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فأبى:

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة اللّه بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثتني ريّق و شارية/جميعا قالتا: كان مولانا-تعنيان أبي-في مجلس محمد الأمين يوما و المغنّون حضور، فغنّى يحيى المكي-و اللحن له خفيف ثقيل-:

صوت

خليل لي أهيم به # فما كافا[4]و لا شكرا

بلى يدعى له باسمي # إذا ما ربع أو عثرا

[1]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «و قد أخذت في كل... إلخ» . و الظاهر أن «في» مقحمة.

[2]في الأصول: «و ماكسه أبي حتى بلغ... إلخ» . و راوي القصة هو زرزور غلام المارقي لا ابنه. فلعل كلمة «أبي» مقحمة من النساخ. و ماكسه في البيع: شاحه و استحطه الثمن و استنقصه إياه.

[3]ظلع: عرج و غمز في مشيه.

[4]كافا مسهل كافأ.

فاستردّه سيّدنا و أحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يفسده. و فطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم و أمره بردّه و ترك التخليط، فدعا له و قبّل الأرض بين يديه و ردّ الصوت و جوّده؛ ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تطيب لك نفسي به إلا بعوض من مالك، و لا أنصحك و اللّه فيه، فهذا مال مولاي أخذته، فلم تأخذ أنت غنائي!فضحك الأمين و حكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يده و أعاد الصوت و جوّده، فنظر إلى مخارق و علّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت؛ ثم أقبل عليهما و قال: قطعة من خصية الشيخ تغطي أستاه عدّة صبيان، و اللّه لا أعدته بحضرتكما. ثم أقبل على مولانا-تعنيان إبراهيم بن المهدي-فقال: يا سيّدي، إني أصير إليك حتى تأخذه عنّي متمكّنا و لا يشركك فيه أحد. فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، و أخذناه معه.

غنى للرشيد بتل دارا فأكرمه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: /أرسل إليّ هارون الرشيد، فدخلت إليه و هو جالس على كرسيّ بتلّ دارا[1]، فقال: يا يحيى، غنّني: متى تلتقي الألاّف و العيس كلّما # تصعّدن من واد هبطن إلى واد

فلم أزل أغنّيه إيّاه و يتناول قدحا إلى أن أمسى. فعددت عشر مرّات استعاد فيها الصوت، و شرب عشرة أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، و أمرني بالانصراف.

مدح إسحاق غناءه و ذكر أصواتا له:

و قال محمد بن أحمد بن يحيى المكي في خبره حدّثني أبي أحمد بن يحيى قال: قال لي إسحاق: يا أبا جعفر، لأبيك مائة و سبعون صوتا، من أخذها عنه بمائة و سبعين ألف درهم فهو الرابح. فقلت لأبي: أيّ شيء تعرف منها؟فقال: لحنه في شعر الأخطل:

صوت

خفّ القطين فراحوا منك و ابتكروا[2] # و أزعجتهم نوّى في صرفها غير

كأنني شارب يوم استبدّ بهم # من قهوة عتّقتها حمص أو جدر[3]

لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقيل أول-هكذا في الخبر-و لإبراهيم فيهما ثقيل أوّل آخر، و لابن سريج رمل.

[1]دارا (بالقصر) : بلدة في لحف جبل بين نصيبين و ماردين، و هي من بلاد الجزيرة، ذات بساتين و مياه جارية، و من أعمالها يجلب المحلب الذي تتطيب به الأعراب، و عندها كان معسكر دارا الملك بن قباذ الملك لما لقي الإسكندر المقدوني، فقتله الإسكندر و تزوج ابنته. و بنى في موضع معسكره هذه المدينة و سماها باسمه. و هي أيضا قلعة حصينة في جبال طبرستان، و واد في ديار بني عامر.

[2]في أ، ء، م و «ديوان الأخطل» :

«... أو بكروا»

. و هذان البيتان من قصيدة له من فاخر شعره، قالها يمدح عبد الملك بن مروان و يهجو قيسا و بني كليب.

[3]جدر: قرية بين حمص و سلمية، تنسب إليها الخمر، و هي قرب دير إسحاق. و قد ورد الشطر الأخير في «ديوانه» و «معجم البلدان» هكذا: «من قرقف ضمنتها حمص أو جدر»

- .

/قال: و منها:

صوت

بان الخليط فما أؤمّله # و عفا من الرّوحاء[1]منزله

ما ظبية أدماء عاطلة # تحنو على طفل تطفّله

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لي إسحاق: وددت أن هذا/الصوت لي أو لأبي و أني مغرّم عشرة آلاف درهم. ثم قال: هل سمعتم بأحسن من قوله: «على طفل تطفّله» .

قال: و منها:

صوت

و كفّ كعوّاذ[2]النقا لا يضيرها # إذا برزت ألاّ يكون خضاب

أنامل فتخ[3]لا ترى بأصولها # ضمورا و لم تظهر لهن كعاب

و لحنه من الثقيل الثاني.

قال: و منها:

صوت

صادتك[4]هند و تلك عادتها # فالقلب مما يشفّه كمد

/كم تشتكي الشوق من صبابتها # و لا تبالي هند بما تجد

و لحنه من خفيف الثقيل.

قال: و منها:

صوت

أعسيت من سلمى هوا # ك اليوم محتلاّ جديدا

و مرابط الخيل الجيا # د و منزلا خلقا همودا

[1]الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما نحو أربعين ميلا.

[2]الظاهر أن الشاعر يريد «بعواذ النقا» الديدان التي تعوذ بالنقا (الكثيب من الرمل) و تلوذ به. و قد ورد كثيرا في الشعر العربي تشبيه

أصابع النساء و أنامل العذارى بهذه الديدان. قال امرؤ القيس: و تعطو برخص غير شثن كأنه # أساريع ظبي أو مساويك إسحل

(ظبي: اسم كثيب. و الأساريع: دواب تكون بالرمل صغار بيض ملس، واحدها أسروع و يسروع) . و يقال لهذه الديدان بنات النقا؛ قال ذو الرمة: خراعيب أملود كأن بناتها # بنات النقا تخفى مرارا و تظهر

[3]فتح: رخصة لينة. و قد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول بالحاء المهملة؛ و هو تصحيف.

[4]في ب، س: «صادتها» . و هو تحريف.

و لحنه خفيف ثقيل أيضا.

قال: و منها:

صوت

ألا مرحبا بخيال ألمّ # و إن هاج للقلب طول الألم

خيال لأسماء يعتادني # إذا الليل مدّ رواق الظّلم

و لحنه ثقيل أول.

قال: و منها:

صوت

كم ليلة ظلماء فيك سريتها # أتعبت فيها صحبتي و ركابي

لا يبصر الكلب السّروق خباءها # و مواضع الأوتاد و الأطناب[1]

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه خفيف ثقيل بالوسطى للغريض. قال ابن المكيّ: غنّى أبي الرشيد ليلة هذا الصوت فأطربه، ثم قال له: قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت؛ فظنّه فرشا أو ثيابا، فإذا فيه أكياس فيها عين و ورق؛ فحملت بين يديه فكانت خمسين ألف درهم مع قيمة العين.

/قال: و منها:

صوت

إني امرؤ مالي يقي عرضي

و يبيت جاري آمنا جهلي # و أرى الذّمامة[2]للرّفيق إذا

ألقى رحالته[3]إلى[4]رحلي

و لحنه خفيف ثقيل. قال ابن المكي غنّى ابن جامع الرشيد يوما البيت الأول من هذين البيتين و لم يزد عليه شيئا؛ فأعجب به الرشيد و استردّه مرارا، و أسكت لابن جامع المغنّين جميعا، و جعل يسمعه و يشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم و عشرة خواتيم و عشر خلع، /و انصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فاستأذن عليه، فأذن له، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع و استغاث به. فقال له يحيى: أ فزاد على البيت الأول شيئا؟قال لا؛ قال أ فرأيت إن زدتك بيتا ثانيا لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه، و طرحته عليك حتى تأخذه ما تجعل لي؟ قال: النصف مما يصل إليّ

بهذا السبب؛ قال: و اللّه؟!فأخذ بذلك عليه عهدا و شرطا و استحلفه عليه أيمانا مؤكّدة؛ ثم زاده البيت الثاني و ألقاه عليه حتى أخذه و انصرف. فلما حضر المغنّون من غد و دعي به كان أوّل صوت غنّاه إبراهيم هذا الصوت، و جاء بالبيت الثاني و تحفّظ فيه فأصاب و أحسن كلّ الإحسان، و شرب عليه الرشيد و استعاده [1]الأطناب: حبال طوال يشد بها سرادق البيت، واحدها طنب.

[2]الذمامة: (بالفتح و الكسر) : الحرمة و الحق.

[3]الرحالة و الرحل: مركب للبعير، و هما أيضا: منزل الرجل و مسكنه و بيته.

[4]في حـ: «على» .

حتى سكر، و أمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم و عشرة خواتيم و عشر خلع؛ فحمل ذلك كلّه، و انصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه و مضى إلى منزله. و انصرف ابن جامع إليه من دار الرشيد، و كان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه؛ فدفع ابن جامع في صدر بوّابه و دخل إليه، فقال له: إيه يا يحيى، كيف صنعت!/ألقيت الصوت على الجرمقانيّ[1]لا رفع اللّه صرعتك و لا وهب لك العافية. و تشاتما ساعة، ثم خرج ابن جامع من عنده و هو مدوّخ.

مدحه إسحاق الموصلي في جمع من المغنين عند الفضل بن الربيع:

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال قال لي إسحاق: كنت أنا و أبوك و ابن جامع و فليح بن أبي العوراء و زبير بن دحمان يوما عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زبير بن دحمان لأبيك[2] (يعني يحيى) ، فجعلا يغنّيان و يباري كلّ واحد منهما صاحبه، و ذلك يعجب الفضل، و كان يتعصّب لأبيك و يعجب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس و تدّعيه و تنحلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضل عليّ و قال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخف عليك ما هما فيه؛ فقلت: لئن كان ما يرويه يحيى و يغنّيه شيئا لغيره فلقد روى ما لم يرووه و ما لم نروه، و علم ما جهلناه و جهلوه، و لئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعة، و ما أعرف أحدا أروى منه و لا أصحّ أداء للغناء، كان ما يغنّيه له أو لغيره. فسرّ بذلك الفضل و أعجبه. و ما زال أبوك يشكره لي.

صوت من المائة المختارة

أهاجتك الظعائن يوم بانوا # بذي الرّيّ الجميل من الأثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقّى[3] # تحثّ إذا ونت أيّ احتثاث

الشعر للنّميري. و الغناء للغريض، و لحنه المختار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

[1]الجرمقاني: واحد الجرامقة، و هم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام.

[2]في أ، ء، م: «لأبيك يحيى» .

[3]في «معجم البلدان» لياقوت (مادة نقب) : «... و نقب المنقى بين مكة و الطائف في شعر محمد بن عبد اللّه النميري... » و ذكر الأبيات. و في كلامه على المنقى: «و المنقى بين أحد و المدينة» . و في «معجم ما استعجم» : «المنقى بضم أوله و فتح ثانيه و تشديد القاف موضع على سيف البحر مما يلي المدينة» . و ذكر المبرد أبيات النميري في «الكامل» (جـ 1 ص 376) ثم قال: «المنقى: موضع بعينه. و النقب: الطريق في الجبل... إلخ» .

16-أخبار النّميريّ و نسبه

نسبه و منشؤه:

هو محمد بن عبد اللّه بن نمير بن خرشة[1]بن ربيعة بن حبيّب[2]بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسيّ؛ و قسيّ هو ثقيف. شاعر غزل، مولّد؛ و منشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، و كان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، و له فيها/أشعار كثيرة يتشبّب بها.

كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف، و سياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها:

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العمريّ عن لقيط بن بكر[3] المحاربيّ، و أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة:

أن النميريّ كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجّاج بن يوسف بن الحكم لأبيه و أمه. و أمهما الفارعة بنت همّام بن عروة بن مسعود الثّقفيّ؛ و كانت عند/المغيرة بن شعبة؛ فرآها يوما بكرة و هي تتخلّل، فقال لها: و اللّه لئن كان من غداء لقد جشعت[4]، و لئن كان من عشاء لقد أنتنت، و طلقها[5]. فقالت: أبعدك اللّه!فبئس بعل المرأة الحرة أنت!و اللّه ما هو إلا من شظيّة من سواكي استمسكت بين سنّين من أسناني. قال حبيب بن نصر خاصّة في خبره: قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النّبيل.

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثقفيّ، و حدّثنا به ابن عمّار و الجوهريّ [1]كذا في أ، ء، م، و «الاستيعاب» (حـ 1 ص 312) و «الطبري» (ق 1 ص 1689) ، و «الاشتقاق» لابن دريد (ص 184) . و في سائر الأصول: «حرشة» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[2]في جميع الأصول: «... ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن مالك... إلخ» . و الظاهر أنه محرف عما أثبتناه. فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه «المعارف» عند الكلام على ثقيف (ص 44) أن ثقيفا ولد جشم و ولد جشم حطيطا و ولد حطيط مالكا و غاضرة، و من بني مالك السائب بن الأقرع و بنو الحارث بن مالك. و ذكر الذهبي في «المشتبه» عند كلام على حبيب (ص 146-147) قال: «... و حبيب (بضم الحاء و فتح الموحدة و تشديد المثناة و كسرها) ابن الحارث بن مالك الثقفي... إلخ» . و قال صاحب «شرح القاموس» (مادة حبب) : «... و حبيب بن الحارث الثقفي» . و لم

نجد مرجعا اتفق مع الأصول فيما ذهبت إليه من سوق النسب على نحو ما أوردته و جعل الحارث ابنا لحبيب.

[3]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «بكير» و هو تحريف. (راجع الهامشة رقم 1 ص 99 من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

[4]في أكثر الأصول: «أجشعت» . و في حـ: «أبشعت» . و المعروف في هذين الفعلين أنهما من باب فرح. و قد وردت هذه القصة في «العقد الفريد» (حـ 3 ص 6) و في «وفيات الأعيان» في ترجمة الحجاج باختلاف في ألفاظها.

[5]في حـ: «و لفظها و طلقها» .

عن عمر بن شبّة-و لم يذكرا[1]فيه يعقوب بن داود-قالوا جميعا:

قال مسلم بن جندب الهذليّ-و كان قاضي الجماعة بالمدينة-: إني لمع محمد بن عبد اللّه بن نمير بنعمان[2] و غلام يسير خلفه يشتمه أقبح الشتيمة؛ فقلت: من هذا؟فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دعه[3]فإني ذكرت أخته في شعري، فأحفظه ذلك.

قال عمر بن شبة في خبره: و ولدت الفارعة أمّ الحجّاج من المغيرة بن شعبة بنتا فماتت؛ فنازع الحجاج عروة بن المغيرة إلى ابن زياد في ميراثها؛ فأغلظ الحجاج لعروة، فأمر به ابن زياد فضرب أسواطا على رأسه و قال: لأبي عبد اللّه تقول هذه المقالة!/و كان الحجاج حاقدا على آل زياد ينفيهم من آل أبي سفيان و يقول: آل أبي سفيان ستة حمش[4]، و آل زياد رسح حدل[5].

و كان يوسف بن الحكم اعتلّ علّة فطالت عليه؛ فنذرت زينب إن عوفي أن تمشي إلى البيت[6]، فعوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطن وجّ[7]، و هو ثلاثمائة ذراع، في يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها، و لم تقطع ما بين مكة و الطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير[إذ][8]لقيها إبراهيم بن عبد اللّه النّميريّ أخو محمد بن عبد اللّه منصرفا من العمرة. فلما قدم الطائف أتى محمدا[9]يسلّم عليه؛ فقال له: أ لك علم بزينب؟قال: نعم، لقيتها بالهماء[10]في بطن نعمان؛ فقال: ما أحسبك إلا و قد قلت شيئا؛ قال: نعم، قلت بيتا واحدا و تناسيته كراهة أن ينشب بيننا و بين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدة و هي أول ما قاله:

صوت

تضوّع[11]مسكا بطن نعمان إذ[12]مشت # به زينب في نسوة عطرات

فأصبح ما بين الهماء فحزوة[13] # إلى الماء ماء الجزع ذي العشرات[14]

[1]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «... يذكروا... إلخ» و هو تحريف.

[2]نعمان (بفتح أوله و سكون ثانيه) : هو نعمان الأراك؛ واد بينه و بين مكة نصف ليلة.

[3]في ب، س، حـ: «قلت دعه» و لا تستقيم العبارة بهذه الزيادة.

[4]سته: عظام الأستاه. و حمش: دقاق السوق.

[5]رسح: جمع أرسح، و هو قليل لحم العجز و الفخذين. و الحدل: جمع أحدل، و هو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر.

[6]المراد به الكعبة.

[7]وج: اسم واد بالطائف و هو ما بين جبلي المحترق و الأحيحين (بالتصغير) .

[8]زيادة عن حـ.

[9]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «محمد» بالرفع.

[10]الهماء: موضع بنعمان بين الطائف و مكة.

[11]وردت هذه القصيدة كاملة و باختلاف كثير ضمن قصائد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (1845 أدب) .

[12]كذا في ب، س. و في سائر الأصول و «تجريد الأغاني» و «الكامل» (ص 289) : «أن» .

[13]كذا في جميع الأصول. و في «تجريد الأغاني» : «و جذوة» و لم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على مكان تسمى بأحد هذين الاسمين. و قد أورد ياقوت في كلامه على الهماء هذا البيت برواية أخرى و هي: فأصبح ما بين الهماء فصاعدا # إلى الجزع جزع الماء ذي العشرات

(في «المعجم» : «فأصبحن») . و رواية هذا البيت في المجموعة المخطوطة: فأصبح بطنان الهواء فجوزه # إلى الجزع جزع الماء ذي العشرات

[14]العشرات: جمع عشر (بضم ففتح) . و هو من كبار الشجر و له صمغ حلو، و هو عريض الورق ينبت صعدا في السماء، و له سكر

له أرج من مجمر الهند ساطع[1] # تطلّع ريّاه من الكفرات[2]

تهادين ما بين المحصّب[3]من منى # و أقبلن لا شعثا و لا غبرات[4]

أعان الذي فوق السموات عرشه # مواشي بالبطحاء مؤتجرات[5]

مررن بفجّ[6]ثم رحن عشية # يلبّين للرحمن معتمرات

/يخبّئن[7]أطراف البنان من التقى # و يقتلن بالألحاظ مقتدرات

تقسّمن لبّي يوم نعمان إنني # رأيت فؤادي عارم[8]النظرات

جلون وجوها لم تلحها سمائم # حرور و لم يسفعن بالسّبرات[9]

فقلت يعافير الظباء تناولت # نياع[10]غصون المرد[11]مهتصرات

و لما رأت ركب التّميري راعها # و كنّ من ان يلقينه حذرات

/فأدنين، حتى جاوز الركب، دونها # حجابا من القسّيّ[12]و الحبرات

فكدت اشتياقا نحوها و صبابة # تقطّع نفسي إثرها حسرات

فراجعت نفسي و الحفيظة بعد ما # بللت رداء العصب[13]بالعبرات

يخرج من شعبه و مواضع زهره يقال له سكر العشر، و في سكره شيء من مرارة.

[1]في المجموعة المخطوطة:

له أرج بالعنبر الورد فاغم

[2]الكفرات: جمع كفر (بفتح الكاف و كسر الفاء) و هو العظيم من الجبال.

[3]المحصب: موضع بين مكة و منى، و هو إلى منى أقرب.

[4]في المجموعة المخطوطة:

«تهادين ما بين المحصب من منى # و نعمان... إلخ»

[5]مؤتجرات: طالبات للأجر. و في «تجريد الأغاني» : «معتجرات» أي لابسات المعاجر و هي أثواب تلفها النساء على استدارة رءوسهن ثم تجلبن فوقها بجلابيبهن. و رواية هذا البيت في المجموعة المخطوطة: خرجن إلى البيت العتيق بعمرة # نواحب في نذر و مؤتجرات

[6]فخ: موضع بينه و بين مكة ثلاثة أميال و به كانت وقعة الحسين و عقبة.

[7]في المجموعة المخطوطة: «يخمرن» . و يقال: ليست امرأة من الطائف تخرج إلا و على يديها قفازان للتقى.

[8]أي شارد النظرات حائرها.

[9]لاحته الشمس و لوحته: لفحته و غيرت وجهه. و السمائم: جمع سموم و هي ريح حارة أو حر النهار. و سفعته: غيرته. و السبرات: جمع سبرة (بسكون الباء) و هي شدة برد الشتاء.

[10]في جميع الأصول: «يناع» . و الظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. و النياع من الغصون: التي تحركها الرياح فتتحرك و تتمايل. يريد أن أعناقهن في امتدادها كأعناق الظباء.

[11]كذا في أ، ء، م و «تجريد الأغاني» و المجموعة المخطوطة. و المرد (بالفتح) : العص من ثمر الأراك و قيل ناضجه. و في جميع الأصول: «الورد» .

[12]القسي: ضرب من الثياب، و هو منسوب إلى قس، موضع بين العريش و الفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتان مخلوط بحرير. و الحبرات: جمع حبرة (كعنبة) ، و هي ضرب من برود اليمن موشى. و روى هذا البيت في المجموعة المخطوطة: و قام جوار دونها فسترتها # بأكسية الديباج و الحبرات

[13]العصب: ضرب من البرود، و قيل: هي برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لانثنى و لا تجمع و إنما يثنى و يجمع ما يضاف إليها، فيقال برد عصب و برود عصب.

-غنّى ابن سريج في الأوّل و بعده «مررن بفخ» و بعده «يخمرن أطراف البنان» ، و لحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق- قال أبو زيد: فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجّاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فاله عنه و أعرض عن ذكره، فإنك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته، و إن عاقبته صدّقته.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغفاريّ قال: هرب النّميريّ من الحجّاج إلى عبد الملك و استجار به؛ فقال له عبد الملك: أنشدني ما قلت في زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله: و لما رأت ركب النميريّ أعرضت # و كنّ من ان يلقينه حذرات

قال له عبد الملك: و ما كان ركبك يا نميريّ؟قال: أربعة أحمرة لي كنت أجلب قال له عبد الملك: و ما كان ركبك يا نميريّ؟قال: أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القطران، و ثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر. فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكا، ثم قال: لقد عظّمت أمرك و أمر ركبك؛ و كتب له إلى الحجاج أن لا سبيل/له عليه. فلما أتاه بالكتاب وضعه و لم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له: أنا بريء من بيعة أمير المؤمنين، لئن لم ينشدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه، و لئن أنشدني لأعفونّ عنه، و هو إذا أنشدني آمن.

فقال له يزيد: ويلك!أنشده؛ فأنشده قوله:

تضوّع مسكا بطن نعمان إذ مشت # به زينب في نسوة خفرات

فقال: كذبت و اللّه، ما كانت تتعطّر إذا خرجت من منزلها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله: و لما رأت ركب النّميريّ راعها # و كنّ من أن يلقينه حذرات

قال له: حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله: مررن بفخّ رائحات عشية # يلبّين للرحمن معتمرات

فقال: صدقت، لقد كانت حجّاجة صوّامة ما علمتها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله: يفرّن أطراف البنان من التقى # و يخرجن جنح الليل معتجرات[1]

فقال له: صدقت، هكذا كانت تفعل، و هكذا المرأة الحرة المسلمة. ثم قال له: ويحك!إني أرى ارتباعك ارتياع مريب، و قولك قول بريء، و قد

أمّنتك، و لم يعرض له. قال أبو زيد[2]: و قيل: /إنه طالب عريفه به و أقسم لئن لم يجئه به ليضربنّ عنقه، فجاءه به بعد هرب طويل منه؛ فخاطبه بهذه المخاطبة:

من شعره في زينب:

قال أبو زيد: و قال النّميريّ في زينب أيضا:

[1]تقدم هذا الشطر بغير هذه الرواية.

[2]هو أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، كان شاعرا إخباريا فقيها صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع. روى عن أبي عاصم النبيل و محمد بن سلام الجمحي و هارون بن عبد اللّه و إبراهيم بن المنذر و غيرهم. و له عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم في «الفهرست» ، و منها كتاب «أخبار بني نمير» . ولد سنة 173 هـ و توفي بسر من رأى سنة 263 هـ.

صوت

طربت و شاقتك المنازل من جفن[1] # ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن

نظرت إلى أظعان زينب باللّوى # فأعولتها[2]لو كان إعوالها يغني

فو اللّه لا أنساك زينب ما دعت # مطوّقة و رقاء شجوا على غصن

فإنّ احتمال الحيّ يوم تحمّلوا # عناك و هل يعنيك إلا الذي يعني

و مرسلة في السرّ أن قد فضحتني # و صرّحت باسمي في النّسيب فما تكنى

و أشمتّ بي أهلي و جلّ عشيرتي # ليهنئك ما تهواه إن كان ذا يهنى

و قد لا مني فيها ابن عمّي ناصحا # فقلت له خذلي فؤادي أو دعني

-غنّى ابن سريج في الأوّل و الثاني و الخامس و السادس من هذه الأبيات لحنا من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق-قال أبو زيد: فيقال: إنه بلغ زينب بنت يوسف قوله هذا فبكت؛ فقالت لها خادمتها؛ ما يبكيك؟فقالت: أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهل بي لا يعرفني و لا يعلم مذهبي فيراه حقّا.

قال: و قال النميريّ فيها أيضا:

أهاجتك الظعائن يوم بانوا # بذي الرّيّ الجميل من الأثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقّى # تحثّ إذا ونت أيّ احتثاث

تؤمّل أن تلاقي أهل بصرى # فيا لك من لقاء مستراث[3]

/كأنّ على الحدائج يوم بانوا # نعاجا[4]ترتعي بقل البراث[5]

يهيّجني الحمام إذا تداعى[6] # كما سجع النوائح بالمرائي

كأن عيونهنّ من التبكّي # فصوص الجزع أو ينع الكباث[7]

ألاق أنت في الحجج البواقي # كما لاقيت في الحجج الثلاث

طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلا فلقيه الحجاج و لم يعرض له:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدّثنا عثمان بن حفص و غيره: أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مروان لمّا بعث بالحجّاج لحرب بن الزبير، و قال له: [1]جفن: اسم واد بالطائف لثقيف، و هو بين الطائف و بين معدن البرام.

[2]أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.

[3]كذا ورد هذا الشطر الأخير في أ، ء، م و «تجريد الأغاني» . و مستراث: مستبطأ. و في سائر الأصول: فيا لك مستزار مستراث

[4]الحدائج: جمع حديجة. و الحديجة (و مثلها الحدج بالكسر) : من مراكب النساء نحو الهودج و المحفة. و النعاج: البقر الوحشي.

[5]البراث: الأماكن السهلة من الرمل، واحدها برث (بالفتح) .

[6]في «الكامل» (ص 377) : «تغنى» .

[7]الجزع (بالفتح) : الخرز اليماني الذي فيه سواد و بياض، تشبه به الأعين. و ينع: جمع يانع. و الكباث (بالفتح) : النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه، و قيل: حمله إذا كان متفرقا، و هو فويق حب الكسبرة في المقدار.

يا أمير المؤمنين، إنّ غلاما منّا قال في ابنتي زينب ما لا يزال الرجل يقول مثله في بنت عمّه، و إن هذا (يعني ابنه الحجّاج) لم يزل يتتوّق إليه و يهمّ به، و أنت الآن تبعثه إلى ما هناك، و ما آمنه عليه. فدعا بالحجّاج فقال له: إن محمدا النّميريّ جاري و لا سلطان لك عليه، فلا تعرض له.

قال إسحاق فحدّثني يعقوب بن داود الثّقفي قال: قال لي مسلم بن جندب الهذليّ: كنت مع النّميريّ و قد قتل الحجاج عبد اللّه بن الزبير و جلس يدعو الناس للبيعة، فتأخّر النميريّ حتى كان في آخرهم، فدعا به ثم قال له: إنّ مكانك لم يخف عليّ، ادن فبايع. ثم قال له: أنشدني ما قلت في زينب؛ قال: ما قلت إلا خيرا؛ قال: لتنشدنّي. فأنشده قوله: /

تضوّع مسكا بطن نعمان إذ مشت # به زينب في نسوة عطرات

/أعان الذي فوق السموات عرشه # مواشي بالبطحاء مؤتجرات

يخمّرن أطراف الأكفّ من التّقى # و يخرجن جنح الليل معتجرات

فما ذكرت أيها الأمير إلا كرما و خيرا و طيبا. قال: فأنشد كلمتك كلّها فأنت آمن؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله: و لمّا رأت ركب النّميريّ راعها # و كنّ من أن يلقينه حذرات

فقال له: و ما كان ركبك؟قال: و اللّه ما كان إلا أربعة أحمرة تحمل القطران. فضحك الحجّاج و أمره بالانصراف و لم يعرض له.

تهدده الحجاج فهرب و قال شعرا:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ عن الخليل بن أسد عن العمريّ عن عطاء عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن نمير الثّقفيّ يشبّب بزينب بنت يوسف بن الحكم؛ فكان الحجّاج يتهدّده و يقول: لو لا أن يقول قائل صدق لقطعت لسانه. فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر[1]عدن، و قال في هربه: أتتني عن الحجّاج و البحر بيننا # عقارب تسري و العيون هواجع

فضقت بها ذرعا و أجهشت خيفة # و لم آمن الحجّاج و الأمر فاظع

و حلّ بي الخطب الذي جاءني به # سميع فليست تستقرّ الأضالع

فبتّ أدير الأمر و الرأي ليلتي # و قد أخضلت خدّي الدموع التوابع[2]

و لم أر خيرا لي من الصبر إنه # أعفّ و خير إذ عرتني الفواجع

/و ما أمنت نفسي الذي خفت شرّه # و لا طاب لي مما خشيت المضاجع

إلى أن بدا لي رأس إسبيل[3]طالعا # و إسبيل حصن لم تنله الأصابع

[1]هو بحر القلزم، و يسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يسمى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، و هو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء. و بقرب عدن معدن اللؤلؤ يرفع ما يخرج منه إلى عدن.

[2]في «معجم البلدان» (ج 1 ص 240 طبع أوروبا) : «الدوافع» .

[3]كذا في أ، ء، م و «تجريد الأغاني» و «معجم البلدان» . و إسبيل: جبل في مخلاف ذمار، و هو منقسم بنصفين نصف إلى مخلاف رداع ـ

فلي عن ثقيف إن هممت بنجوة # مهامه تهوي[1]بينهنّ الهجارع[2]

و في الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف # إذا شئت منأى لا أبا لك واسع

فإن نلتني حجّاج فاشتف جاهدا # فإنّ الذي لا يحفظ اللّه ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يقدر عليه. و طال على النّميريّ مقامه هاربا و اشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج؛ فقال له: إيه يا نميريّ!أنت القائل: فإن نلتني حجّاج فاشتف جاهدا

فقال: بل أنا الذي أقول:

أخاف من الحجّاج ما لست خائفا # من الأسد العرباض[3]لم يثنه ذعر

أخاف يديه أن تنالا مقاتلي # بأبيض عضب ليس من دونه ستر

و أنما الذي أقول:

فها أنا ذا طوّفت شرقا و مغربا # و أبت و قد دوّخت[4]كلّ مكان

/فلو كانت العنقاء منك تطير بي # لخلتك إلا أن تصدّ تراني[5]

قال: فتبسّم الحجاج و أمّنه، و قال له: لا تعاود ما تعلم؛ و خلّى سبيله.

زواج زينب أخت الحجاج و تولية كريّها شرطة البصرة:

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق.

قال حمّاد فحدّثني أبي قال ذكر المدائنيّ و غيره:

أنّ الحجّاج عرض على زينب أن يزوّجها/محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل-و هو ابن سبع عشرة سنة، و هو يومئذ أشرف ثقفيّ في زمانه-أو الحكم ابن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، و هو شيخ كبير، فاختارت الحكم، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام. و كان محمد بن رياط كريّها، و هو يومئذ يكري. فلما ولي و نصف إلى مخلاف عنس. و بين إسبيل و ذمار أكمة سوداء، بها جمة (بئر) تسمى «حمام سليمان» و الناس يستشفون به من الأوصاب و الجرب و غير ذلك. و في سائر الأصول: «إسبيك» بالكاف، و هو تحريف.

[1]في أ، ء، م و «معجم البلدان» : «تعمى» . و العمى هنا كناية عن الضلال.

[2]الهجارع: جمع هجرع (كدرهم و جعفر) و هو الخفيف من الكلاب السلوقية.

[3]العرباض: الأسد الثقيل العظيم.

[4]دوّخ فلان البلاد: سار فيها حتى عرفها و لم تخف عليه طرقها.

[5]هذان البيتان رواهما المبرد في «الكامل» ببعض تغيير و هما: هاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها # و إن كنت قد طوّفت كل مكان

و لو كنت بالعنقاء أو بيسومها # لخلتك إلا أن تصدّ تراني

و قد نسبهما المؤلف أيضا للعديل بن الفرخ في ترجمته (ج 20 ص 18 طبع بولاق) . و ذكر أن الحجاج جدّ في طلبه حتى ضاقت به الأرض، فأتى واسطا و تنكر و أخذ بيده رقعة و دخل إليه مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول: ها أنا ذا ضاقت بي الأرض كلها # إليك و قد جولت كل مكان

فلو كنت في ثهلان أو شعبتي أجا # لخلتك إلا أن تصدّ تراني

الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة، فكلمته زينب في محمد بن رياط فولاّه شرطته بالبصرة.

فكتب إليه الحجاج: إنك ولّيت أعرابيّا جافيا شرطتك، و قد أجزنا ذلك لكلام من سألك فيه. قال: ثم أنكر الحكم بعض تعجرفه فعزله. ثم استعمل الحجّاج الحكم بن سعد العذريّ على البصرة و عزل الحكم بن أيّوب عنها و استقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، و جهّزه من ماله. فلمّا قدم البصرة هيّأت له زينب طعاما و خرجت متنزّهة إلى بعض البساتين و معها نسوة. /فقيل لها: إنّ فيهن امرأة لم ير أحسن ساقا منها. فقالت لها زينب: أريني ساقك؛ فقالت: لا، إلا بخلوة؛ فقالت: ذاك لك، فكشفته لها، فأعطتها ثلاثين دينارا و قالت: اتّخذي منها خلخالا. قال: و كان الحجاج وجّه بزينب مع حرمه إلى الشام لمّا خرج ابن الأشعث خوفا عليهنّ. فلما قتل ابن الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، و كتب مع الرسول كتابا إلى زينب يخبرها الخبر، فأعطاها الكتاب، و هي راكبة على بغلة في هودج، فنشرته تقرؤه، و سمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت، و سقطت زينب عنها فاندقّ عضداها و تهرّأ[1]جوفها فماتت. و عاد إليه الرسول، الذي نفذ بالفتح، بوفاة زينب. فقال النميريّ يرثيها: ماتت زينب فرثاها:

صوت

لزينب طيف تعتريني طوارقه # هدوءا إذا[2]النجم ارجحنّت[3]لواحقه

سيبكيك مرنان[4]العشيّ يجيبه[5] # لطيف بنان الكفّ درم[6]مرافقه

إذا ما بساط اللهو مدّ و ألقيت[7] # للذّاته أنماطه و نمارقه[8]

غنّاه معبد، و لحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ما بقي من شعره[9]من الأغاني في نسيب النميريّ لم نذكر طريقته و صانعه لنذكر أخباره معه.

صوت

غنى ابن سريج من شعره لعبد اللّه بن جعفر فنحر راحلته و شق جلته:

تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت # به زينب في نسوة خفرات

مررن بفجّ رائحات عشية # يلبّين للرحمن معتمرات

[1]كذا في أكثر الأصول. و تهرأ اللحم (بالهمز) : طبخ حتى يتفسخ و يسقط عن العظم. و في ب، س: «تهرى» . و لم يحكها من أهل اللغة غير ابن دريد عن أبي مالك.

[2]في ب، س: «إذ» .

[3]ارجحن النجم: مال نحو المغرب.

[4]مرنان العشيّ: كنى به عن الصنج ذي الأوتار و هو من آلات الطرب. و الرنين: الصوت الشجى.

[5]كذا في «تجريد الأغاني» . و في جميع الأصول: «نجيبه» .

[6]درم: جمع أدرم و هو من لا حجم لعظامه.

[7]في «الكامل» : «و قربت» .

[8]نسب المبرد في «الكامل» (ص 708 طبع أوروبا) هذا البيت لنصيب.

[9]ظاهر أن السياق يكون واضحا لو حذفت كلمة «من شعره» أو كلمة «في نسيب النميري» . فلعل إحداهما من زيادات النساخ.

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني الحسين بن يحيى و محمد بن مزيد قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني[1]عن عبد اللّه بن مسلم الفهريّ[2]قال: خرج عبد اللّه بن جعفر متنزّها، فصادف ابن سريج و عزّة الميلاء متنزّهين، فأناخ ابن جعفر راحلته و قال لعزّة: غنّيني فغنّته، ثم قال لابن سريج: غنّني يا أبا يحيى، فغنّاه لحنه في شعر النميريّ: تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت

فأمر براحلته فنحرت، /و شقّ حلّته فألقى نصفها على عزّة و النصف الآخر على ابن سريج. فباع ابن سريج النصف الذي صار إليه بمائة و خمسين دينارا. و كانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخر عليها تتجمّل به.

سمع سعيد بن المسيب شعرا له فأعجبه و زاد عليه:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عتّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المطّلبي: /أن سعيد بن المسيّب[3]مرّ في بعض أزقّة مكة، فسمع الأخضر الحربيّ[4]يتغنّي في دار العاص بن وائل: تضوّع مسكا بطن نعمان إذ مشت # به زينب في نسوة خفرات

فضرب برجله و قال: هذا و اللّه مما يلذّ استماعه، ثم قال:

و ليست كأخرى أوسعت جيب درعها # و أبدت بنان الكفّ للجمرات[5]

و علّت[6]بنان[7]المسك و حفا[8]مرجّلا # على مثل بدر لاح في الظلمات

و قامت تراءى يوم جمع[9]فأفتنت # برؤيتها من راح من عرفات

[1]هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد اللّه بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد مناف. كان من رواة الأخبار المشهورين. ولد سنة 135 هـ و توفي سنة 225 هـ في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي، و كان منقطعا إليه. و له من الكتب عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم في «الفهرست» .

[2]هو أبو محمد عبد اللّه بن وهب بن مسلم القرشي الفهري، أحد الأعلام المعروفين، ولد سنة 125 هـ و توفي سنة 197 هـ. و كان ممن جمع و صنف، و له تصانيف كثيرة، و هو الذي حفظ علم أهل الحجاز و مصر. و روى عنه كثيرون، و المدائني المذكور أحد من رووا عنه.

[3]المسيب: هو ابن حزن بن أبي وهب المخزومي، و أهل العراق يفتحون و أهل المدينة يكسرون. و يحكي عن سعيد ابنه أنه كان يقول: سيب اللّه من سيب أبي. و حكى (الكسر) عياض و ابن المديني.

[4]كذا في جميع الأصول هنا. و قد ذكر فيما مر من الأجزاء السابقة باسم «الجدي» .

[5]في حـ: «بالجمرات» .

[6]كذا في جميع الأصول. و لعله يريد: كررت وضع الطيب في رأسها. و يحتمل أن تكون مصحفة عن: «غلت» (بالغين المعجمة) : و غل شعره بالطيب: أدخله فيه، و غل الدهن في رأسه: أدخله في أصول الشعر.

[7]كذا في جميع الأصول. و لعلها محرفة عن «فتات» .

[8]الوحف: الشعر الغزير الأسود.

[9]جمع: علم للمزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها.

قال: فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المسيّب.

مر على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره في زينب:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد اللّه أخي الأصمعيّ عن عبد اللّه بن عمران الهرويّ، و أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد اللّه عن عبد اللّه بن عمران الهرويّ قال:

لمّا تأيّمت عائشة[1]بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة و بالمدينة سنة، و تخرج إلى مال لها عظيم بالطائف و قصر كان لها هناك فتتنزّه فيه، و تجلس بالعشيّات، فيتناضل/بين يديها الرّماة. فمرّ بها النّميريّ الشاعر؛ فسألت عنه فنسب لها، فقالت: ائتوني به، فأتوها به. فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب؛ فامتنع عليها و قل: تلك ابنة عمّي و قد صارت عظاما بالية. قالت: أقسمت عليك باللّه إلا فعلت؛ فأنشدها قوله:

تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت

الأبيات. فقالت: و اللّه ما قلت إلا جميلا، و لا ذكرت إلا كرما و طيبا، و لا وصفت إلا دينا و تقى، أعطوه ألف درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها؛ فقالت: عليّ به، فأحضر. فقالت له: أنشدني من شعرك في زينب؛ فقال لها: أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد[2]فيك؟فوثب مواليها إليه؛ فقالت: دعوه فإنه أراد أن يستقيد[3] لبنت عمّه، هات مما قال الحارث فيّ؛ فأنشدها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق # و غدوا بلبّك مطلع الشّرق

فقالت: و اللّه ما ذكر إلا جميلا، ذكر أني إذا صبّحت زوجا بوجهي غدا بكواكب الطّلق[4]، و أني غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق، و أني أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم و اكسوه حلّتين، و لا تعد لإتياننا بعد هذا يا نميريّ.

غنى إبراهيم الموصلي للرشيد من شعره و كان غاضبا عليه فرضي عنه:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي[5]قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

/أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقّة فحبسه مدّة، ثم اصطبح يوما، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، [1]تأيمت المرأة: مات عنها زوجها و لم تتزوّج. و قد كانت عائشة عند عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر، و كان أبا عذرتها (أول من تزوجها) ثم هلك فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبد اللّه بن معمر فمات عنها. و لم تتزوج بعده.

[2]هو الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، و قد مرت ترجمته في الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص 311-343) .

[3]أي يأخذ بثأرها.

[4]تشير إلى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة و هو:

ما صبحت أحدا برؤيتها # إلا غدا بكواكب الطلق

أي أن من تصبحه برؤيتها يرى الزمان صافيا طيبا سعيدا تفاؤلا بطلعتها و استبشارا. يقال يوم طلق أي مشرق لا برد فيه و لا حر و لا شيء يؤذي.

[5]في جميع الأصول هنا: «الشعبي» و هو تحريف.

فقال: لو كان الموصليّ حاضرا لانتظم أمرنا و تمّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، /فجيء[1]به، فما له كبير ذنب. فبعث فجيء به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، و أومأ إليه من حضر بأن يغنّي؛ فاندفع فغنّى:
تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت # به زينب في نسوة خفرات

فما تمالك الرشيد أن حرّك رأسه مرارا و اهتزّ طربا، ثم نظر إليه و قال: أحسنت و اللّه يا إبراهيم!حلّوا قيوده و غطّوه بالخلع، ففعل ذلك. فقال: يا سيّدي، رضاك أوّلا؛ قال: لو لم أرض ما فعلت هذا، و أمر له بثلاثين ألف درهم.

و مما قاله النّميريّ في زينب و غنّى فيه:

صوت

تشتو بمكة نعمة # و مصيفها بالطائف

أحبب بتلك مواقفا # و بزينب من واقف

و عزيزة[2]لم يغدها[3] # بؤس و جفوة حائف

غرّاء يحكيها الغزا # ل بمقلة و سوالف

الغناء ليحيى المكّي خفيف رمل عن الهشاميّ، و ذكر عمر بن بانة أنه لابن سريج و أنه بالبنصر. و زعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ أيضا لحنا من الثقيل الأوّل.

و من الغناء في أشعاره في زينب:

صوت

ألا من لقلب معنى غزل # يحبّ المحلّة أخت المحلّ

/تراءت لنا يوم فرع الأرا # ك بين العشاء و بين الأصل

كأنّ القرنفل و الزّنجبيل # و ريح الخزامى و ذوب العسل

يعلّ به برد أنيابها # إذا ما صفا الكوكب المعتدل

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر يونس أن لمالك فيه لحنا فيه: كأن القرنفل و الزّنجبيل

و البيت الذي بعده و بيتين آخرين و هما:

و قالت لجارتها هل رأيـ # ت إذ أعرض الركب فعل الرجل

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فنجيء به» و انظر هذه القصة في (ج 5 ص 166 طبع دار الكتب المصرية) .

[2]في حـ: «و غريرة» . و الغريرة: الشابة الحديثة التي لم تجرب الأمور.

[3]في جميع الأصول: «لم يغدها» (بالدال المهملة) . و الظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

و ذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهذليّ لحنا، و لم يذكر طريقته.

المحلّ الذي عناه النميريّ هاهنا: الحجّاج بن يوسف؛ سمّي بذلك لإحلاله الكعبة، و كان أهل الحجاز يسمّونه بذلك. و يسمّى أهل الشأم عبد اللّه بن الزبير المحلّ لأنه أحلّ الكعبة، زعموا أنه بمقامه فيها، و كان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها[1].

فأخبرني الحسين بن يحيى المرداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق: قرأت على أبي: و بلغني[2]أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس تزوّج أسماء بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد اللّه بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة و هو بفارس، فمرّت بالأهواز على السيد الحميري[3]؛ فسأل عنها فنسبت له؛ فقال فيها قوله: مرّت تزفّ على بغلة # و فوق رحالتها[4]قبّة

/زبيريّة من بنات الذي # أحلّ الحرام من الكعبة

تزفّ إلى ملك ماجد # فلا اجتمعا[5]و بها الوجبه[6]

و قد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها:

ألا من لقلب معنى غزل

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزّبير، و قيل: إنها لأبي شجرة السّلميّ[7].

[1]تقدمت في الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص 277) كلمة وافية عن احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير و بنائه لها.

[2]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و بلغك» .

[3]ستأتي ترجمته في الجزء السابع من هذه الطبعة.

[4]الرحالة: مركب من مراكب النساء.

[5]في الأصول هنا: «فلا اجتمعوا» . و التصويب عن «الأغاني» نفسه في ترجمة السيد الحميري.

[6]لعل الوجبة: مصدر للمرة من وجب القلب يجب وجيبا أي خفق و اضطرب.

[7]في «الكامل» للمبرد: «أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزي... و قال الطبري: اسمه سليم بن عبد العزي» من بني سليم بن منصور بن عكرمة.

و في كتاب «الشعر و الشعراء» : أنه عبد اللّه بن رواحة بن عبد العزي. و في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» : عمرو بن عبد العزي و قال نقلا عن المرزباني: يقال اسمه عمرو، و يقال عبد اللّه بن عبد العزي و ذكره الواقدي في كتاب «الردة» باسم: عمرو بن عبد العزي. و أمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة. و كان من فتاك العرب، و يسكن البادية. و هو الذي يقول في قتال خالد بن الوليد أهل الردة: و لو سألت سلمى غداة مرامر # كما كنت عنها سائلا لو نأيتها

و كان الطعان في لؤى بن غالب # غداة الجواء حاجة فقضيتها

و كان أبو شجرة السلمي هذا ارتدّ فيمن ارتد من بني سليم ثم أسلم. و أتي عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) يطلب إليه صدقة؛ فقال له عمر: و من أنت؟قال: أنا أبو شجرة السلمي. فقال له عمر: أي عدي (تصغير عدوّ) نفسه!أ لست القائل حين ارتددت: و رويت رمحي من كتيبة خالد # و إني لأرجو بعدها أن أعمرا

و عارضتها شهباء تخطر بالقنا # ترى البيض في حافاتها و الستورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة و هو يعدو أمامه حتى فاته هربا و هو يقول: قد ضنّ عنا أبو حفص بنائله # و كل مختبط يوما له ورق

(راجع «الكامل» ص 220-221 طبع أوروبا و «تاريخ الطبري» ص 1905-1908 من القسم الأول و «الشعر و الشعراء» ص 197 و «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر ج 7 ص 97 طبع مصر) .

استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميري و قام إلى الصلاة:

حدّثني الحسين بن الطيّب البلخي الشاعر قال حدّثنا قتيبة بن سعيد قال حدّثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب المعوليّ[1]قال: كنت عند ابن سيرين، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابن سيرين[2]: كأنّ المدامة و الزنجبيل # و ريح الخزامى و ذوب العسل

يعلّ به برد أنيابها # إذا النجم وسط السماء اعتدل

و قال: اللّه أكبر، و دخل في الصلاة.

صوت من المائة المختارة

يا قلب ويحك لا يذهب بك الخرق[3] # إنّ الألى كنت تهواهم قد انطلقوا

-و يروى: يذهب بك الحرق-:

ما بالهم لم يبالوا إذ هجرتهم # و أنت من هجرهم قد كدت تحترق

الشعر لوضّاح اليمن. و الغناء لصبّاح الخيّاط، و لحنه المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها. و في أبيات من هذه القصيدة ألحان عدّة، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرها من شعر الحارث بن خالد و من شعر ابن هرمة؛ فأخّرت ذكرها إلى أن تنقضي أخبار وضّاح، ثم أذكرها[4]بعد ذلك إن شاء اللّه تعالى.

[1] (بفتح الميم و بكسرها) : نسبة إلى المعاول و المعاولة (قبائل من الأزد) . و هم بنو معولة بن شمس بن عمرو.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فأنشده ابن سيرين يقول» .

[3]الخرق (بضمتين و بضم فسكون) : نقيض الرفق.

[4]لم نجد ذكرا لهذه الأبيات بعقب أخبار وضاح في النسخ التي بين أيدينا، كما يقول أبو الفرج هنا.

17-أخبار وضّاح اليمن و نسبه

نسبه و أصله و سبب لقبه:

وضّاح لقب غلب عليه لجماله و بهائه، و اسمه عبد الرحمن[1]بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جمد.

ثم يختلف في تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع و هرز لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة. و يزعم آخرون أنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج[2]و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب و هو المرعف[3]بن قحطان. فممن[4]ذكر أنه من حمير خالد بن كلثوم، قال كان وضّاح اليمن من أجمل العرب و كان أبوه إسماعيل بن داذ ابن أبي جمد من آل خولان بن عمرو بن معاوية الحميريّ. فمات أبوه و هو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، و انقضت عدّتها فتزوجت رجلا من أهلها من أولاد الفرس. و شبّ وضّاح في حجر زوج أمّه. فجاء عمّه و جدّته أمّ أبيه، و معهم جماعة من أهل بيته من حمير ثم من آل ذي قيفان[5]ثم من آل ذي جدن[6]يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه/ولده. /فحاكموه فيه و أقاموا البيّنة أنه ولد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه، فحكم به الحاكم لهم، و قد كان اجتمع الحميريّون و الأبناء[7]في أمره و حضر معهم. فلما حكم به الحاكم للحميريين، مسح يده على [1]و قيل: إن اسمه عبد اللّه. (راجع «النجوم الزاهرة» ج 1 ص 226 طبع دار الكتب المصرية) .

[2]كان يقال لحمير العرنجج. و العرنجج في الأصل: العتيق. (راجع الجزء الثامن من كتاب «الإكليل للهمداني» طبع بغداد ص 208) .

[3]كذا في جميع الأصول هنا و فيما سيأتي في ب في الجزء الخامس عشر (ص 73 طبع بولاق) . و فيما سيأتي في حـ في هذا الموضع:

«المرعب» . و في كتاب «أنساب العرب» المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 2461 تاريخ «المرعث» . و لم نوفق إلى وجه الصواب فيه.

[4]في ب، س: «فمن» .

[5]كان الأذواء في اليمن طبقتين طبقة تعرف بالمثامنة و هم ثمانية ملوك كان لا يصح لملك من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية و إن هم اجتمعوا على عزله عزلوه. و الطبقة الثانية أذواء آخرون، منهم ذو

قيفان هذا، و هو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذي جدن الأكبر، و هو الذي وهب سيفه الصمصامة لعمرو بن معديكرب الزبيدي، فقال فيه عمرو:

و سيف لابن ذي قيفان عندي # تخيره الفتى من عصر عاد

يقدّ البيض و الأبدان قدّا # و في الهام الململم ذو احتداد

ثم وهبه عمرو لسعد بن أبي وقاص ثم صار إلى آل سعيد بن العاص فاشتراه الخليفة المهديّ منهم بمال جسم و أحضر الشعراء فقالوا فيه أشعارا كثيرة. ثم أمر المهدي بالسيف فسقى فتغير لذلك و قل قطعه بسبب سقيه. (راجع «شرح القصيدة الحميرية» و «منتخبات في أخبار اليمن» كلاهما لنشوان بن سعيد الحميري) .

[6]ذكر المؤلف ترجمته في الجزء الرابع (ص 217) من هذه الطبعة.

[7]الأبناء: هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، و كانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، و باليمن الأبناء، و بالكوفة الأحامرة، و بالبصرة الأساورة، و بالجزيرة الخضارمة، و بالشام الجراجمة. (عن «الأغاني» ج 16 ص 76 طبع بولاق) .

رأسه و أعجبه جماله و قال له: اذهب فأنت وصّاح اليمن، لا من أتباع ذي يزن[1] (يعني الفرس الذين قدم بهم ابن ذي يزن لنصرته) فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ، فلقّب وصّاح اليمن. قال خالد: و كانت أمّ داذ ابن أبي جمد جدّة وضاح كنديّة؛ فذلك حيث يقول في بنات عمه: إن قلبي معلّق بنساء # واضحات الخدود لسن بهجن

من بنات الكريم داذ و في كنـ # دة ينسبن من أباة اللّعن

/و قال أيضا يفتخر بجدّه أبي جمد:

بنى لي إسماعيل مجدا مؤثّلا # و عبد كلال بعده و أبو جمد

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال: كان وصّاح اليمن و المقنّع الكنديّ و أبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب مقنّعين يسترون وجوههم خوفا من العين و حذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم. قال خالد بن كلثوم: فحدّثت بهذا الحديث مرّة و أبو عبيدة معمر بن المثنّى حاضر ذلك، و كان يزعم أن وصّاحا من الأبناء؛ فقال أبو عبيدة: داذ اسم فارسي. فقلت له: عبد كلال اسم يمان، و أبو جمد كنية يمانية، و العجم لا تكتنى، و في اليمن جماعة قد تسمّوا بأبرهة، و هو اسم حبشيّ، فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة. و أيّ شيء يكون إذا سمّي عربيّ باسم فارسيّ!و ليس كلّ من كنى أبا بكر هو الصدّيق، و لا من سمّي عمرا هو الفاروق، و إنما الأسماء علامات و دلالات لا توجب نسبا و لا تدفعه. قال: فوجم أبو عبيدة و أفحم فما أجاب.

و ممن زعم أنه من أبناء الفرس ابن الكلبيّ و محمد بن زياد الكلابيّ.

و قال خالد بن كلثوم: إنّ أمّ إسماعيل أبي الوصّاح بنت ذي جدن، و أم أبيه بنت فرعان ذي[2]الدّروع الكنديّ من بني الحارث بن عمرو.

[1]هو سيف بن ذي يزن الذي بقتله دخلت اليمن في ملك الأحباش. و كان سيف هذا جميل المنظر عالي الهمة قوي السلطان شديد البأس كريم الخلق جوادا حسن التدبير و السياسة. و كان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه و توجه لقيصر الروم و استنجده في ردّ ملك والده فلم يجبه قيصر لطلبه، فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه إلى طلبه و أرسل معه جيشا تحت قيادة «و هرز» فأخرجهم من المين و ردّ إليه ملكه. فتربع سيف على ملك أجداده تحت رعاية الأعجام، و اتخذ مقر أعماله قصر

غمدان بمدينة صنعاء التي كانت في ذلك العهد عاصمة ملكه. و قد هنأته وفود العرب و الشعراء لاسترداد ملك أبيه و تغلبه على الأحباش.

و كان من جملة وفود المهنئين وفد الحجازيين الذي كان يرأسه عبد المطلب جدّ النبيّ صلى اللّه عليه و سلم فاستأذنوا عليه و دخلوا و هو في قصره (غمدان) فأذن لهم فدخلوا عليه و هو متضمخ بالمسك و عليه بردان و التاج على رأسه و السيف بين يديه و ملوك اليمن و أقيال حمير حواليه، و أمامه أمية بن الصلت الثقفي ينشده قصيدته يمدحه فيها و يهنئه؛ و مطلعها:
لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن # في البحر خيم للأعداء أحوالا

ثم استأذنه عبد المطلب في الكلام و ألقى بين يديه خطبة نالت منه استحسانا. ثم أمر بهم إلى دار الضيافة و أجرى عليهم ما يحتاجون شهرا لا يؤذن لهم في مقابلته و لا في الانصراف. و القصيدة و الخطبة ذكرهما المؤلف في الجزء السادس عشر من هذا الكتاب (ص 75-77 طبع بولاق) .

[2]كذا في أ، ء، م هنا و «شرح القاموس» (مادة فرع) و ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه. و في سائر الأصول و فيما سيأتي في أ، ء، م: «فرعان بن ذي الدروع» و هو تحريف.

أحب روضة و لم يتزوجها و قال فيها شعرا:

و كان وضّاح يهوى امرأة من أهل اليمن يقال لها روضة.

/أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال:

ذكر هشام بن الكلبيّ أنها روضة بنت عمرو، من ولد فرعان ذي الدروع الكنديّ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني محمد بن سعيد الكراني قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد اللّه بن عيّاش[1]: أنّ وضّاحا هوي امرأة من بنات الفرس يقال لها روضة؛ فذهبت به كل مذهب. و خطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها؛ و عاتبه أهله و عشيرته. فقال في ذلك:

صوت

يا أيها القلب بعض ما تجد # قد يعشق المرء ثم يتئّد

قد يكتم المرء حبّه حقبا # و هو عميد و قلبه كمد

ما ذا تريدين من فتى غزل # قد شفّه السّقم فيك و السّهد

/يهدّدوني كيما أخافهم # هيهات أنّى يهدّد الأسد

الغناء لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيها لحن لابن عبّاد، من كتاب إبراهيم، غير مجنّس: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني سالم بن زيد قال أخبرني التّوّزيّ قال حدّثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال: كان وضّاح يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة. فلما اشتهر أمره معها خطبها فلم يزوّجها، و زوّجت غيره، فمكثت مدة طويلة. ثم أتاه رجل من بلدها/فأسرّ إليه شيئا فبكى. فقال له أصحابه: مالك تبكي؟و ما خبرك؟ فقال: أخبرني هذا أنّ روضة قد جذمت، و أنه رآها قد ألقيت مع المجذومين. و لم نجد لهما[2]خبرا يرويه أهل العلم إلا لمعا يسيرة و أشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبر متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غثّ الحديث و الشعر لا يذكر مثله. و أصابها الجذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما. ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتله الوليد لذلك. و أخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثنا مصعب بن عبد اللّه قال: كان وضّاح اليمن يهوى امرأة يقال لها روضة و يشبّب بها في شعره، و هي امرأة من أهل اليمن. و فيها يقول:

صوت

يا روضة الوضّاح قد # عنّيت وضّاح اليمن

فاسقي خليلك من شرا # ب لم يكدّره الدّرن

[1]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «عباس» و هو تصحيف.

[2]في أ، ء، م: «لها» .

الريح ريح سفرجل # و الطعم طعم سلاف دنّ

إني تهيّجني إليـ # ك حمامتان على فنن

قال مصعب: فحدّثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضاح مع روضة من أهل اليمن: أنّ وضّاحا كان في سفر مع أصحابه. فبينا هو يسير إذ استوقفهم و عدل عنهم ساعة، ثم عاد إليهم و هو يبكي. فسألوه عن حاله؛ فقال: عدلت إلى/روضة، و كانت قد جذمت فجعلت مع المجدومين، و أخرجت من بلدها، فأصلحت من شأنها و أعطيتها صدرا[1]من نفقتي. و جعل يبكي غمّا بها.

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر ينسب مع تمام الأبيات؛ فإن في جميعها غناء.

و مما قاله وضّاح في روضة المذكورة و فيه غناء، و أنشدنا حرميّ عن الزّبير عن عمه:

صوت

أيا روضة الوضّاح يا خير روضة # لأهلك لو جادوا علينا بمنزل

رهينك وضّاح ذهبت بعقله # فإن شئت فاحييه و إن شئت فاقتلي

و توقد حينا باليلنجوج[2]نارها # و توقد أحيانا بمسك و مندل

و الأبيات الأول النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب، و في سائرها غناء: و تمامها بعد قوله: «إني تهيّجني إليـ # ك حمامتان على فنن»

/الزوج يدعو إلفه # فتطاعما حبّ السكن

لا خير في نث[3]الحديـ # ث و لا الجليس إذا فطن

فاعصي الوشاة فإنما # قول الوشاة هو الغبن

إنّ الوشاة إذا أتو # ك تنصّحوا و نهوك عنّ[4]

دسّت حبيبة موهنا # إني و عيشك يا سكن

/أبلغت عنك تبدّلا # و أتى بذلك مؤتمن

و ظننت أنك قد فعلـ # ت فكدت من حزن أجنّ

ذرفت دموعي ثم قلـ # ت بمن يبادلني بمن

اسكت فلست مصدّقا # ما كان يفعل ذا أظن

إني و جدّك لو رأيـ # ت خليلنا ذاك الحسن

[1]الصدر: الطائفة من الشيء.

[2]اليلنجوج: عود البخور.

[3]نث الحديث: إفشاؤه و إذاعته. و قد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول: «بث» (بالباء الموحدة) و الظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه.

[4]يريد: عنى.

يجفوه ثم يحبنا[1] # و اللّه متّ من الحزن

أخبره إمّا جئته # أنّ الفؤاد به يجنّ

أبغضت فيه أحبّتي # و قليت[2]أهلي و الوطن

أ تركتني حتى إذا # علّقت أبيض كالشّطن

أنشأت تطلب وصلنا # في الصيف ضيّعت اللبن[3]

-هكذا قال، و غيره يرويه: «في الصيف ضيحت[4]اللبن» أي مذقته[5]. قال[6]-: /

لو قيل يا وضّاح قم # فاختر لنفسك أو تمنّ

لم أعد روضة و الذي # ساق الحجيج له البدن

الغناء في الأوّل من القصيدة و هو «يا روضة الوضّاح» ينسب إن شاء اللّه. و له في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعة، و بعضها لم يقع إليّ أنه صنع فيه. فمن قوله[7]فيها:

صوت

يا روض جيرانكم[8]الباكر # فالقلب لا لاه و لا صابر[9]

قالت ألا لا تلجن دارنا # إنّ أبانا رجل غائر

قلت فإني طالب غرّة # منه و سيفي صارم باتر

قالت فإن القصر من دوننا # قلت فإني فوقه ظاهر

[1]في حـ: «يجيئنا» . و في أ، ء، م: «يجبنا» . و لعل هذا الشطر مصحف عن: نحفوه ثم يجبنا

و حفاه يحفوه: أكرمه و أعطاه. وجبه: قطعه.

[2]قلى: هجر.

[3]المثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه و هو: «في الصيف ضيعت اللبن» و يروى: «الصيف ضيعت اللبن» (بكسر التاء) و لو خوطب به المذكر أو الجمع، لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت شيخ كبير موسى فكرهته فطلقها فتزوجها فتى جميل الوجه مملق، فبعثت إلى الأول تستميحه فقال ذلك لها. و قيل: إنه صدر عن امرأة الأسود بن هرمز و كانت عنودا، فرغب عنها إلى جميلة من قو ثم جرى بينهما ما أدى إلى الفارقة؛

فتتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها: أ تركتني حتى إذا # علقت أبيض كالشطن

أنشأت تطلب وصلنا # في الصيف ضيعت اللبن

و على هذا فالتاء مفتوحة.

[4]وردت هذه الكلمة في أكثر الأصول: «صبحت» (بالصاد المهملة و الباء الموحدة) . و في حـ: «صيحت» . (بالياء المثناة) . و كلاهما مصحف عما أثبتناه.

[5]مذق اللبن بالماء يمذقه (من باب نصر) : مزجه.

[6]الظاهر أن كلمة «قال» هاهنا مقحمة من النساخ.

[7]في الأصول: «فمن قوله فيها هزج قديم يمني» . و لعل ذلك من زيادات النساخ، فإن المؤلف قد ذكر اللحن عقب الشعر.

[8]كذا في الأصل.

[9]أورد أبو هلال العسكري في كتابه «ديوان المعاني» المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم 1874 أدب ج 1 ص 193) هذه الأبيات و لم يذكر معها هذا البيت، و روايتها فيه تخالف ما هنا في بعض الأبيات و الألفاظ.

قالت فإن البحر من دوننا # قلت فإني سابح ماهر

قالت فحولي إخوة سبعة # قلت فإني غالب قاهر

قالت فليث رابض بيننا # قلت فإني أسد عاقر

قالت فإن اللّه من فوقنا # قلت فربّي راحم غافر

قالت لقد أعييتنا حجّة # فأت إذا ما هجع السامر[1]

فاسقط علينا كسقوط النّدى # ليلة لا ناه و لا زاجر

/الغناء في هذه الأبيات هزج يمنيّ، و ذكر يحيى المكي أنه له.

/و قال في روضة و هو بالشام:

أبت بالشام نفسي أن تطيبا # تذكّرت المنازل و الحبيبا

تذكّرت المنازل من شعوب[2] # و حيّا أصبحوا قطعوا[3]شعوبا

سبوا قلبي فحلّ بحيث حلّوا # و يعظم إن دعوا ألاّ يجيبا

ألا ليت الرياح لنا رسول # إليكم إن شمالا أو جنوبا

فتأتيكم بما قلنا سريعا # و يبلغنا الذي قلتم قريبا

ألا يا روض قد عذّبت قلبي # فأصبح من تذكّركم كئيبا

و رقّقني هواك و كنت جلدا # و أبدى في مفارقي المشيبا

أما ينسيك روضة شحط دار # و لا قرب إذا كانت قريبا

و مما قال فيها أيضا:

طرب الفؤاد لطيف روضة غاشي # و القوم بين أباطح و عشاش[4]

أنّى اهتديت و دون أرضك سبسب # قفر و حزن في دجى و رشاش

قالت تكاليف المحبّ كلفتها # إنّ المحبّ إذا أخيف[5]لماشي

أدعوك روضة رحب و اسمك غيره # شفقا و أخشى أن يشي بك واشي

قالت فزرنا قلت كيف أزوركم # و أنا امرؤ لخروج سرّك خاشي

قالت فكن لعمومتي سلما معا # و الطف لإخوتي الذين تماشي

فتزورنا معهم زيارة آمن # و السريا وضّاح ليس بفاشي

[1]السامر: اسم جمع بمعنى المتسامرين.

[2]شعوب: موضع قريب من صنعاء، و كان به قصر معروف بالارتفاع و حواليه بساتين بظاهر صنعاء.

[3]في «مهذب الأغاني» (ج 3 ص 27 طبع مصر) : «قطعا» .

[4]العشاش: جمع عشة (بالفتح) ، و هي الأرض القليلة الشجر، و قيل: هي الأرض الغليظة.

[5]كذا في الأصول.

و لقيتها تمشي بأبطح مرّة # بخلاخل و بحلّة أكباش[1]

فظللت معمودا و بتّ مسهّدا # و دموع عيني في الرداء غواشي

يا روض حبّك سلّ جسمي و انتحى # في العظم حتى قد بلغت مشاشي[2]

و مما قال فيها أيضا:

طرق[3]الخيال فمرحبا سهلا # بخيال من أهدى لنا الوصلا

و سرى إليّ و دون منزله # خمس دوائم تعمل الإبلا[4]

يا حبّذا من زار معتسفا[5] # حزن البلاد إليّ و السّهلا

حتى ألمّ بنا فبتّ به # أغنى الخلائق كلّهم شملا

يا حبذا هي حسبك قدك في[6] # و اللّه ما أبقيت لي عقلا

و اللّه ما لي عنك منصرف # إلا إليك فأجملي الفعلا

حجت أم البنين و رأته فهويته:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المروزيّ قال حدّثنا العمريّ عن لقيط و الهيثم بن عديّ: أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها، و هو يومئذ خليفة و هي زوجته. فقدمت مكة و معها من الجواري ما لم ير مثله حسنا. و كتب الوليد يتوعّد الشعراء جميعا إن/ذكرها أحد منهم أو ذكر/أحدا ممن تبعها. و قدمت، فتراءت للناس، و تصدّى لها أهل الغزل و الشعر، و وقعت عينها على وضّاح اليمن فهويته.

فحدّثنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزّهري[7] عن محمد[8]بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه عن بديح قال: قدمت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان و هي عند الوليد بن عبد الملك حاجّة، و الوليد يومئذ خليفة. فبعثت

[1]الأكباش (بالموحدة) : من برود اليمن. و قد وردت هذه الكلمة في جميع الأصول (بالمثناة التحتية) ، و هو تصحيف. (راجع «شرح القاموس» مادة كبش) .

[2]المشاش: النفس. و المشاش أيضا: رءوس العظام مثل الركبتين و المرفقين و المنكبين، واحده مشاشة.

[3]في حـ: «طاف» .

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الأسلا» .

[5]في حـ: «... من زائر متعسف» .

[6]كذا ورد هذا الشطر في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: يا حب روضة حبك قد

و كلاهما غير مستقيم.

[7]كذا في أ، ء، م. و قد ورد في الجزء الأوّل (ص 342) من هذه الطبعة: «محمد بن عبد العزيز الزهري. و في ب، حـ: «الجوهري» .

و في س: «الجوهري الزهري» . و كلاهما «تحريف» .

[8]في حـ: «محرز بن جعفر» .

إلى كثيّر و إلى وضّاح اليمن أن انسبا بي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها و صرّح بالنّسيب بها؛ فوجد الوليد عليه السبيل فقتله. و أمّا كثيّر فعدل عن ذكرها و نسب بجاريتها غاضرة فقال[1]:

صوت

شجا أظعان غاضرة الغوادي # بغير مشورة[2]عرضا[3]فؤادي

أ غاضر لو شهدت غداة بنتم # حنوّ العائدات على وسادي

أويت[4]العاشق لم تشكميه # بواقدة تلذّع كالزناد

/الغناء في هذه الأبيات لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش. قال بديح: فكنت لمّا حجّت أم البنين لا تشاء أن ترى وجها حسنا إلا رايته معها. فقلت لعبيد اللّه[5]بن قيس الرّقيات: بمن تشبّب من هذا القطين؟فقال لي: و ما تصنع بالسرّ # إذا لم تك مجنونا[6]

إذا عالجت ثقل الحـ # بّ عالجت الأمرّينا[7]

و قد بحت بأمر كا # ن في قلبي مكنونا

و قد هجت بما حاولـ # ت أمرا كان مدفونا

قال: ثم خلا بي[8]فقال لي: اكتم عليّ، فإنك موضع للأمانة؛ و أنشدني:

صوت

أصحوت عن أمّ البنيـ # ن و ذكرها و عنائها

و هجرتها هجر امرئ # لم يقل صفو صفائها

قرشيّة كالشمس أشـ # رق نورها ببهائها

زادت على البيض الحسا # ن بحسنها و نقائها

لمّا اسبكرّت للشبا # ب و قنّعت بردائها

[1]فيما سيأتي في «الأغاني» في خبر كثير و خندق الأسدي في الجزء الحادي عشر (طبع بولاق) : أن هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندق الأسدي لما قتل. و ذكرت هناك القصيدة كاملة.

[2]كذا فيما سيأتي في ب في الجزء الحادي عشر من الأغاني (ص 47، 49 طبع بولاق) و حـ. و في جميع الأصول هنا: «بغير مثيبة» .

[3]كذا فيما سيأتي بعد قليل في حـ و فيما سيأتي في الجزء الحادي عشر. و قد حـ هنا: «عوضا. و في سائر الأصول هنا و فيما يأتي: «غرضا» . و الظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

[4]أويت العاشق: رثيت له و أشفقت عليه. و في حـ: «رضيت» .

[5]في ب، س: «لعبد اللّه» و هو تحريف.

[6]وردت هذه القصيدة و القصيدتان اللتان بعدها في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب (ص 49 طبع بولاق) في خبر كثير و خندق الأسدي باختلاف يسير عما هنا.

[7]الأمرّون: الدواهي.

[8]في ب، س: «ثم خلاني» . و هو تصحيف.

لم تلتفت للداتها # و مضت على غلوائها

لو لا هوى أمّ البنيـ # ـن و حاجتي للقائها

قد قرّبت لي بغلة # محبوسة لنجائها

/قال بديح: فلمّا قتل الوليد وصّاح اليمن، حجّت بعد ذلك أم البنين محتجبة لا تكلّم أحدا؛ و شخصت كذلك، فلقيني ابن قيس الرقيّات، فقال: يا بديح

صوت

/

بان الحبيب[1]الذي به تثق[2] # و اشتدّ دون الحبيبة القلق

يا من لصفراء[3]في مفاصلها # لين و في بعض بطشها خرق

و هي قصيدة قد ذكرت[4]مع أخبار ابن قيس الرقيّات.

الغناء في الأبيات الأول التي أولها: أصحوت عن أمّ البنين

ينسب في موضع آخر إن شاء اللّه.

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي[5]عن عبد اللّه بن أبي عبيدة قال حدثني كثيّر قال: حججت مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، و هي زوجة الوليد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ و إلى وصّاح اليمن أن انسبا بي؛ فهبت ذلك و نسبت بجاريتها غاضرة، فقلت: شجا أظعان غاضرة الغوادي # بغير مشورة عرضا فؤادي[6]

/أ غاضر لو شهدت غداة بنتم # حنوّ العائدات على وسادي

أويت لعاشق لم تشكميه # بواقدة تلذّع كالزناد

و أمّا وصّاح فنسب بها، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله.

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد[7]الكرانيّ قال حدثني أبو عمر العمريّ عن العتبيّ قال: [1]في أ، ء، م: «الخليط» .

[2]في حـ: «نثق» بالنون.

[3]في ب، س: «لصغرى» و هو تحريف.

[4]لم نجد هذه القصيدة في أخبار ابن قيس الرقيات المذكورة في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص 73-100) . و قد ذكر المؤلف بعض

أبيات منها في الجزء الحادي عشر (ص 49-50 طبع بولاق) .

[5]في حـ: «قال حدّثني عمر بن أبي بكر الموصلي» . و في سائر الأصول: «قال حدّثني عمر ابن عمي عن أبي بكر الموصلي» . (راجع الحاشية رقم 1 ص 123 من الجزء الرابع من هذه الطبعة و «المشتبه» للذهبي 300 طبع ليدن سنة 1863 م) .

[6]راجع الحاشيتين (رقم 4 و 5 ص 219) من هذا الجزء.

[7]كذا في جميع الأصول و قد مر هذا الاسم فيما سبق من الأجزاء مضطربا بين سعد مرة و سعيد أخرى، و لم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين.

مدح وضّاح اليمن الوليد بن عبد الملك، و هو يومئذ خليفة، و وعدته أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن ترفده[1]عنده و تقوّي أمره. فقدم عليه وضّاح و أنشده قوله فيه:

صوت

صبا قلبي و مال إليك ميلا # و أرّقني خيالك يا أثيلا[2]

يمانية تلمّ بنا فتبدي # دقيق محاسن و تكنّ[3]غيلا[4]

دعينا ما أممت[5]بنات[6]نعش # من الطّيف الذي ينتاب ليلا

و لكن إن أردت فصبّحينا # إذا أمّت ركائبنا سهيلا[7]

فإنك لو رأيت الخيل تعدو # سراعا[8]يتخذن النّقع ذيلا

/إذا لرأيت فوق الخيل أسدا[9] # تفيد مغانما و تفيت[10]نيلا

إذا سار الوليد بنا و سرنا # إلى خيل نلفّ بهنّ خيلا

و ندخل بالسرور ديار قوم # و نعقب آخرين أذى و ويلا

فأحسن الوليد رفده و أجزل صلته. و مدحه بعدّة قصائد. ثم نمي إليه أنه شبّب بأم البنين، فجفاه و أمر بأن يحجب عنه، و دبر في قتله.

و مدحه وضّاح بقوله أيضا:

ما بال عينك لا تنام كأنما # طلب الطبيب بها قذى فأضلّه

بل ما لقلبك لا يزال كأنه # نشوان أنهله النديم و علّه

ما كنت أحسب أن أبيت ببلدة # و أخي بأخرى لا أحلّ محلّه

[1]رفده و أرفده: أعانه.

[2]أثيل: ترخيم أثيلة، و هو اسم امرأة.

[3]كذا في ب، س و «شرح الحماسة» (ص 316 طبع مدينة بن سنة 1828 م) . و في سائر الأصول و «تجريد الأغاني» : «و تجن» .

[4]الغيل: الساعد الريان الممتلئ. و في «شرح الحماسة» في التعليق على هذا البيت: «دقيق محاسنها كالعين و الأنف و الأسنان و الفم.

و تكن غيلا: أي تستر ما جل منها كالمعصم و الساعد و الساق و الفخذ» .

[5]في «تجريد الأغاني» : «ما أممنا» .

[6]بنات نعش: من الكواكب الشامية، و كان غزوه نحو الروم. يقول: دعيني من طيفك حين أؤم بنات نعش، أي حين أقصد قصد الشام للغزو.

[7]يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن. و رواية هذا البيت في «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني» : و لكن إن أردت فهيجينا # إذا رمقت بأعينها سهيلا

[8]في حـ و «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني» : «عوابس» .

[9]رواية هذا الشطر في «شرح الحماسة» :

رأيت على متون الخيل جنا

[10]كذا في «شرح الحماسة» و «تجريد الأغاني» . يريد: تفيد المغانم من أعدائها و تفيتهم نيل شيء منها. و في جميع الأصول: «تقيد مغانما و تفيد نيلا» .

كنّا لعمرك ناعمين[1]بغبطة # مع ما نحبّ مبيته و مظلّه

فأرى الذي كنّا و كان بغرّة # نلهو بغرّته و نهوى دلّه

/كالطيف وافق ذا هوى فلها به # حتى إذا ذهب الرقاد أضلّه

قل للذي شعف[2]البلاء فؤاده # لا تهلكنّ أخا فربّ أخ له

و الق ابن مروان الذي قد هزّه # عرق[3]المكارم و النّدى فأقلّه

و اشك الذي لاقيته من دونه[4] # و انشر إليه داء قلبك كلّه

/فعلى ابن مروان السلام من امرئ # أمسى يذوق من الرّقاد أقلّه

شوقا إليك فما تنالك حاله # و إذا يحلّ الباب لم يؤذن له

فإليك أعملت المطايا ضمّرا # و قطعت أرواح الشتاء و ظلّه[5]

و لياليا لو أنّ حاضر بثّها # طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفوّا حتى وجد الوليد له غرّة، فبعث إليه من اختلسه ليلا فجاءه به، فقتله و دفنه في داره، فلم يوقف له على خبر.

قتل الوليد له:

و قال خالد بن كلثوم في خبره:

كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأة الوليد بن عبد الملك، و هي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد، و الشرف فيهم. فبلغ الوليد تشبّبه بها، فأمر بطلبه فأتي به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّق قوله، و لكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهبل؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد و سأله أن يقتله؛ فقال: إذا تحقّق قوله، و لكن تبرّه و تحسن إليه فيستحي و يكفّ و يكذّب نفسه. فلم يقبل منه، و جعله في صندوق و دفنه حيّا. فوقع بين رجل من زنادقة الشّعوبيّة و بين رجل من ولد الوليد فخار خرجا فيه إلى أن أغلظا المسابّة، و ذلك في دولة بني العبّاس؛ فوضع الشّعوبيّ عليهم كتابا زعم فيه أن أمّ البنين عشقت وضّاحا، فكانت تدخله صندوقا عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه و أراه الصندوق، فأخذه فدفنه.

هكذا ذكر خالد بن كلثوم و الزّبير بن بكّار جميعا.

و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبيّ قال: /عشقت أمّ البنين وضّاحا، فكانت ترسل إليه فيدخل إليها و يقيم عندها؛ فإذا خافت وارته

في صندوق عندها [1]كذا في «تجريد الأغاني» . و في جميع الأصول: «يا عمير» .

[2]في حـ: «شغف» (بالغين المعجمة) ، و هما بمعنى.

[3]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «عرف» . و العرف (بالضم) : المعروف.

[4]في حـ و «تجريد الأغاني» : «من جفوة» .

[5]في «تجريد الأغاني» : «طله» (بالطاء المهملة) ، و الطل: أخف المطر و أضعفه. و قيل: هو الندى.

و أقفلت عليه. فأهدي للوليد جوهر له قيمة فأعجبه و استحسنه، فدعا خادما له فبعث به معه إلى أم البنين و قال: قل لها: إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتك به. فدخل الخادم عليها مفاجأة و وضّاح عندها، فأدخلته الصندوق و هو يرى، فأدّى إليها رسالة الوليد و دفع إليها الجوهر، ثم قال: يا مولاتي، هبيني منه حجرا؛ فقالت: لا، بابن اللّخناء و لا كرامة. فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال: كذبت يا ابن اللخناء، و أمر به فوجئت عنقه. ثم لبس نعليه و دخل على أمّ البنين و هي جالسة في ذلك البيت تمتشط، و قد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فجلس عليه ثم قال لها: يا أمّ البنين، ما أحبّ إليك هذا البيت من بين بيوتك!فلم تختارينه؟فقالت: أجلس فيه و أختاره لأنه يجمع حوائجي كلّها فأتناولها منه كما أريد من قرب. فقال لها: هبي لي صندوقا من هذه الصناديق؛ قالت: كلّها لك يا أمير المؤمنين؛ قال: ما أريدها كلّها و إنما أريد واحدا منها؛ فقالت/له: خذ أيّها شئت؛ قال: هذا الذي جلست عليه؛ قالت: خذ غيره فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها؛ قال: ما أريد غيره؛ قالت: خذه يا أمير المؤمنين. فدعا بالخدم و أمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه. ثم دعا عبيدا له فأمرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة، فنحّى البساط و حفرت إلى الماء. ثم دعا بالصندوق فقال: [يا هذا][1]إنه بلغنا شيء إن كان حقّا فقد كفّنّاك[2]و دفنّاك و دفنّا ذكرك و قطعنا أثرك إلى آخر الدهر، و إن كان باطلا فإنا دفنّا الخشب، و ما أهون/ذلك! ثم قذف به في البئر و هيل عليه التراب و سوّيت الأرض و ردّ البساط إلى حاله و جلس الوليد عليه. ثم ما رئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم. قال: و ما رأت أمّ البنين لذلك أثرا في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما.

أرضت أم البنين وضاح و هو في دمشق فقال شعرا:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب بن عبد اللّه قال: رضت أم البنين و وضّاح مقيم بدمشق، و كان نازلا عليها؛ فقال في علّتها:

صوت

حتّام نكتم حزننا حتّاما # و علام نستبقي الدموع علاما

إن الذي بي قد تفاقم و اعتلى # و نما و زاد و أورث الأسقاما

قد أصبحت أمّ البنين مريضة # نخشى و نشفق أن يكون حماما

يا ربّ أمتعني بطول بقائها # و اجبر بها الأرمال و الأيتاما

و اجبر بها الرجل الغريب بأرضها # قد فارق الأخوال و الأعماما

كم راغبين و راهبين و بؤّس # عصموا بقرب جنابها إعصاما

بجناب ظاهرة الثّنا[3]محمودة # لا يستطاع كلامها إعظاما

[1]الزيادة عن كتاب «أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية و الإسلام» لمحمد بن حبيب، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم 57 أدب ش) .

[2]كذا في جميع الأصول و لعلها: «كفيناك» .

[3]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «النثا» . الثنا، كما قال الجوهري، في الخير خاصة. النثا (بالقصر) : مثل الثنا إلا أنه في الخير و الشر. ـ

الغناء في الأول و الثاني و الثالث و الرابع و الخامس لحكم الواديّ خفيف رمل بالوسطى، عن الهشامي و عبد اللّه بن موسى. و ممّا وجد في روايتي هارون بن الزيّات و ابن المكيّ في الرابع[1]ثم الخامس ثم الأوّل و الثاني لعمر الوادي خفيف رمل، من رواية الهشامي.

شبب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد في بئر و هو حي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال: بلغ الوليد بن عبد الملك تشبّب وضّاح بأمّ البنين فهمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنه فيه، و قال له: إن قتلته فضحتني و حقّقت قوله، و توهّم الناس أن بينه و بين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ و حنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، و كانت زوجة عمر بن عبد العزيز رضي اللّه تعالى عنه، و قال فيها: بنت الخليفة و الخليفة جدّها # أخت الخليفة[2]و الخليفة بعلها

فرحت قوابلها بها و تباشرت # و كذاك كانوا في المسرّة أهلها

فأحنق[3]و اشتدّ غيظه و قال: أ ما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا و أخواتنا، و لا له عنّا مذهب!ثم دعا به فأحضر، و أمر ببئر فحفرت و دفنه فيها حيّا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون/قال: أنشدت محمد بن المنكدر قول وضّاح:

فما نوّلت حتى تضرّعت عندها # و أعلمتها ما رخّص اللّه في اللّمم

قال: فضحك و قال: إن كان وضّاح لا مفتيا لنفسه. و تمام هذه الأبيات: ترجّل[4]وضّاح و أسبل بعد ما # تكهّل حينا في الكهول و ما احتلم

و علّق بيضاء العوارض طفلة # مخضّبة الأطراف طيّبة النّسم

/إذا قلت يوما نوّليني تبسّمت # و قالت معاذ اللّه من فعل ما حرم

فما نوّلت حتى تضرّعت عندها # و أعلمتها ما رخّص اللّه في اللّمم

رثى أباه و أخاه بشعر و هو عند أم البنين:

أخبرني عمي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وضّاح مع أمّ البنين قال: كان وضّاح مقيما عند

أم البنين، فورد عليه نعي أخيه و أبيه[5]؛ فقال يرثيهما: [1]كذا في أ، ء، م: و في سائر الأصول: «و في الرابع» .

[2]في حـ: «الخلائف» .

[3]كذا في حـ. و أحنق الرجل إذا حقد حقدا لا ينحل. و في سائر الأصول: «فاحتنق» و هو تحريف.

[4]الترجل و الترجيل: تسريح الشعر.

[5]يلاحظ أن أبا وضاح توفي و وضاح صغير كما هي في أول الترجمة.

أراعك طائر بعد الخفوق # بفاجعة مشنّعة الطّروق
نعم و لها على رجل عميد # أظلّ كأنني بشرق بريقي
كأني إذ علمت بها هدوّا # هوت بي عاصف من رأس نيق[1]
أعلّ بزفرة من بعد أخرى # لها في القلب حرّ كالحريق
و تردف عبرة تهتان أخرى # كفائض غرب نضّاح فتيق
كأني إذ أكفكف دمع عيني # و أنهاها أقول لها هريقي
ألا تلك الحوادث غبت عنها # بأرض الشام كالفرد الغريق
فما أنفكّ أنظر في كتاب # تداري النفس عنه هوى زهوق[2]
يخبّر عن وفاة أخ كريم # بعيد الغور نفّاع طليق
و قرم يعرض الخصمان[3]عنه # كما حاد البكار عن الفنيق[4]
/كريم يملا الشّيزى[5]و يقري # إذا ما قلّ إيماض البروق
و أعظم ما رميت به فجوعا[6] # كتاب جاء من فجّ عميق
يخبّر عن وفاة أخ فصبرا # تنجّز وعد منّان صدوق
سأصبر للقضاء فكل حيّ # سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة و فيها # من الأحياء ذو عين رموق
و للأحياء أيّام تقضّى # يلفّ ختامها سوقا بسوق
فأغناهم كأعدمهم إذا ما # تقضّت مدّة العيش الرقيق
كذلك يبعثون و هم فرادى # ليوم فيه توفية الحقوق
أبعد همام قومك ذي الأيادي # أبى الوضّاح رتّاق الفتوق
و بعد عبيدة المحمود فيهم # و بعد سماعة العود العتيق
و بعد ابن المفضّل و ابن كاف # هما أخواك في الزمن الأنيق
/تؤمّل أن تعيش قرير عين # و أين[7]أمام طلاّب لحوق[8]

[1]النيق: أعلى موضع في الجبل.

[2]الزهوق: الهالك.

[3]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «الخصماء» . و كلاهما جمع لخصيم.

[4]البكار: جمع بكر و هو الفتى من الإبل. و الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله و لا يركب.

[5]الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع. و قد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى، كما أريد هنا.

[6]الفجوع: الفاجع، فعول للمبالغة.

[7]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «و أنت» .

[8]كذا في حـ: و في سائر الأصول «طلاب اللحوق» .

و دنياك التي أمسيت فيها # مزايلة الشقيق عن الشقيق

و مما قاله في مرثية أهله و ذكر الموت و غنّى فيه-و إنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة-:

صوت

مالك وضّاح دائم الغزل # أ لست تخشى تقارب الأجل

صلّ لذي العرش و اتّخذ قدما # تنجيك يوم العثار و الزّلل

/يا موت ما إن تزال معترضا # لا مل دون منتهى الأمل

لو كان من فرّ منك منفلتا[1] # إذا لأسرعت رحلة الجمل

لكنّ كفّيك نال طولهما # ما كلّ عنه نجائب الإبل

تنال كفّاك كلّ مسهلة # و حوت بحر و معقل الوعل

لو لا حذاري من الحتوف فقد # أصبحت من خوفها على وجل

لكنت للقلب في الهوى تبعا # إنّ هواه ربائب الحجل

حرميّة[2]تسكن الحجاز لها # شيخ غيور يعتلّ بالعلل

علّق قلبي ربيب بيت[3]ملو # ك ذات قرطين وعثة الكفل[4]

تفترّ عن منطق تضنّ به # يجري رضابا كذائب العسل

قال شعرا يسبّب بحبابة قبل أن يشتريها يزيد بن عبد الملك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مصعب قال: قال وضّاح اليمن في حبابة جارية يزيد بن عبد الملك، و شاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد و تصير إليه، و سمع غناءها فأعجب بها إعجابا شديدا:

صوت

يا من لقلب لا يطيـ # ـع الزاجرين و لا يفيق

تسلو قلوب ذوي الهوى # و هو المكلّف[5]و المشوق

تبلت[6]حبابة قلبه # بالدّلّ و الشكل الأنيق

[1]كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته. و في جميع الأصول «منقلبا» .

[2]حرمية: نسبة إلى الحرم (بالتحريك) على غير قياس.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «بنت ملوك» . و هو تصحيف.

[4]يقال: امرأة و عثة: أي كثيرة اللحم كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها و كثرة لحمها.

[5]كلف به كلفا: إذا ولع به فهو كلف و مكلف.

[6]تبله الحب: أسقمه.

و بعين أحور يرتعي # سقط الكثيب[1]من العقيق

مكحولة بالسحر تنـ # شي نشوة الخمر العتيق

هيفاء إن هي أقبلت # لاحت كطالعة الشروق

و الردف مثل نقا تلـ # بد فهو زحلوق زلوق

في درّة الأصداف معـ # تنقا بها ردع الخلوق[2]

داوي هواي و أطفئي # ما في الفؤاد من الحريق

و ترفّقي أملي فقد # كلّفتني ما لا أطيق

في القلب منك جوى المحـ # بّ و راحة الصبّ الشفيق

هذا يقود برمّتي[3] # قودا إليك و ذا يسوق

/يا نفس قد كلّفتني # تعب الهوى منها فذوق[4]

إن كنت تائقة لحـ # رّ صبابة منها فتوق[4]

شعر له في روضة:

و مما قاله في روضة و فيه عناء قوله:

صوت

يا لقومي لكثرة العذّال # و لطيف سرى مليح الدّلال

زائر في قصور[5]صنعاء يسري # كلّ أرض مخوفة و جبال

/-و الغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل-و هذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها: يقطع الحزن و المهامة و البيـ # د و من دونه ثمان ليالي

عاتب في المنام أحبب بعتبا # ه إلينا و قوله من مقال

قلت أهلا و مرحبا عدد القط # ر و سهلا بطيف هذا الخيال

حبّذا من إذا خلونا نجيّا # قال: أهلي لك الفداء و مالي

و هي الهمّ و المنى و هوى النفـ # س إذا اعتلّ ذو هوى باعتلال

قست ما كان قبلنا من هوى النا # س فما قست حبّها بمثال

[1]سقط الكثيب: منقطعه.

[2]الخلوق (كرسول) : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران. و الردع: أثر الطيب في الجسد.

[3]الرمة: قطعة حبل يشدّ بها.

[4]أصله: «فذوقي» و «فتوقي» . فحذفت الياء لضرورة القافية.

[5]راجع ما كتبه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفي في سجن صنعاء سنة 334 هـ عن هذه القصور في الجزء الثامن من كتابه «الإكليل» المطبوع في بغداد سنة 1931 م فقد وصفها وصفا شافيا و ذكر أقوال الشعراء في مدحها.

لم أجد حبّها يشاكله الحبّ و لا وجدنا كوجد الرجال

كل حبّ إذا استطال سيبلى # و هو روضة المنى غير بالي

لم يزده تقادم العهد إلاّ # جدّة عندنا و حسن احتلال

أيها العاذلون كيف عتابي # بعد ما شاب مفرقي و قذالي

كيف عذلي على التي هي منّي # بمكان اليمين أخت الشّمال

و الذي أحرموا له و أحلّوا # بمنى صبح عاشرات الليالي[1]

ما ملكت الهوى و لا النفس منّي # منذ علّقتها فكيف احتيالي

إن نأت كان نأيها الموت صرفا # أو دنت لي فثمّ يبدو خبالي

يا ابنة المالكيّ يا بهجة النفـ # س أ في حبّكم يحلّ اقتتالي

أيّ ذنب عليّ إن قلت إني # لأحبّ الحجاز حبّ الزّلال

لأحبّ الحجاز من حبّ من فيـ # ه و أهوى حلاله من حلال[2]

صوت

و مما فيه غناء من شعر وضاح:

أيها النّاعب ما ذا تقول # فكلانا سائل و مسول

لا كساك اللّه ما عشت ريشا # و بخوف بتّ ثم تقيل[3]

ثم لا أنقفت[4]في العشّ فرخا # أبدا إلا عليك دليل

حين[5]تنبى أنّ هندا قريب # يبلغ الحاجات منها الرسول

و نأت هند فخبّرت عنها # أن عهد الودّ سوف يزول

و منها:

صوت

/

حيّ التي أقصى فؤادك حلّت # علمت بأنك عاشق فأدلّت

و إذا رأتك تقلقلت أحشاؤها # شوقا إليك فأكثرت و أقلّت

و إذا دخلت فأغلقت أبوابها # عزم الغيور حجابها فاعتلّت

[1]يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجة.

[2]الحلال: جمع حلة (بالكسر) و هي المحلة، أو القوم النزول فيهم كثرة.

[3]كذا في حـ و هامش نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و في سائر الأصول: «ثقيل» (بالثاء المثلثة) ، و هو تصحيف.

[4]أنقف الفرخ: استخرجه من البيضة. و في أ، ء، م: «ثم لا أبقيت» .

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «حيث» .

و إذا خرجت بكت عليك صبابة # حتى تبلّ دموعها ما بلّت

إن كنت يا وضّاح زرت فمرحبا # رحبت عليك بلادنا و أظلّت

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. و فيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى، من كتابه. و لابنه أحمد فيها هزج. و ذكر حبش أن ليحيى فيها أيضا خفيف ثقيل.

/و منها:

صوت

أ تعرف أطلالا بميسرة اللّوى # إلى أرعب[1]قد حالفتك[2]به الصّبا

فأهلا و سهلا بالتي حلّ حبّها # فؤادي و حلّت دار شحط من النّوى

-الغناء فيه هزج يمنيّ بالبنصر عن ابن المكيّ-و هذه أبيات يقولها لأخيه سماعة، و قد عتب عليه في بعض الأمور. و فيها يقول: أبادر درنوك[3]الأمير و قربه # لأذكر في أهل الكرامة و النّهى

و أتّبع القصّاص كلّ عشيّة # رجاء ثواب اللّه في عدد الخطا

و أمست بقصر يضرب الماء سوره # و أصبحت في صنعاء ألتمس النّدى

فمن مبلغ عنّي سماعة ناهيا # فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السّلى[4]

و إن شئت وصل الرّحم في غير حيلة # فعلنا و قلنا للذي تشتهي بلى

و إن شئت صرما للتفرّق و النّوى # فبعدا، أدام اللّه تفرقة النّوى

و منها:

صوت

طرق الخيال فمرحبا ألفا # بالشاغفات قلوبنا شغفا

و لقد يقول لي الطبيب و ما # نبّأته من شأننا حرفا:

/إني لأحسب أنّ داءك ذا # من ذي دمالج يخضب الكفّا

إني أنا الوضّاح إن تصلي # أحسن بك التشبيب و الوصفا

شطّت فشفّ القلب ذكركها # و دنت فما بذلت لنا عرفا

و منها:

[1]كذا ذكره صاحب «معجم البلدان» (بالراء المهملة) . و قال: «أرعب (بالفتح ثم السكون و عين مهملة و الباء موحدة) : موضع في قول

الشاعر» . و ساق هذين البيتين. و في جميع الأصول: «أزعب» . (بالزاي المعجمة) .

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قد خالفتك» (بالخاء المعجمة) .

[3]الدرنوك: الطنفسة و ضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير كخمل المناديل و به تشبه فروة البعير و الأسد.

[4]السلى: الجلدة التي يكون فيها الجنين من الناس و المواشي، فإن انقطع في البطن هلكت الأم و هلك الجنين.

صوت

-و يروى لبشّار-:

يا مرحبا ألفا و ألفا # بالكاسرات إليّ طرفا

رجح الرّوادف كالظّبا # تعرّضت حوّاء و وطفا[1]

أنكرن مركبي الحما # ر و كنّ لا ينكرن طرفا[2]

و سألنني أين الشبا # ب فقلت بان و كان حلفا

أفنى شبابي فانقضى # حلف النساء تبعن حلفا

أعطيتهنّ مودّتي # فجزينني كذبا و خلفا

/و قصائد مثل الرّقى # أرسلتهن فكنّ شغفا

أوجعن كلّ مغازل # و عصفن بالغيران عصفا

من كل لذّات الفتى # قد نلت نائلة و عرفا

صدت الأوانس كالدّمى # و سقيتهنّ الخمر صرفا

و منها: -و هذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر و فخره بأبيه و جدّه أبي جمد-.

صوت

أغنّى[3]على بيضاء تنكلّ[4]عن برد # و تمشي على هون كمشية ذي الحرد[5]

و تلبس من برّ العراق مناصفا # و أبراد[6]عصب[7]من مهلهلة الجند[8]

إذا قلت يوما نوّليني تبسّمت # و قالت لعمر اللّه لو أنه اقتصد

سموت إليها بعد ما نام بعلها # و قد وسّدته الكفّ في ليلة الصّرد[9]

أشارت بطرف العين أهلا و مرحبا # ستعطى الذي تهوى على رغم من حسد

أ لست ترى من حولنا من عدوّنا # و كل غلام شامخ الأنف قد مرد[10]

[1]الحو: جمع حواء، و هي التي بها لون الحوة، و هي سواد إلى خضرة، و قيل: حمرة إلى سواد. و الحوّة أيضا سمرة الشفة.

و الوطف: جمع و طفاء، و هي كثيرة شعر أهداب العينين.

[2]الطرف: الكريم من الخيل.

[3]كذا في جميع الأصول. و لعلها: «أعني» (بالعين المهملة) ، أمر من الإعانة.

[4]تنكل: تفتر و تبسم.

[5]الحرد: ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط في المشي، أو هوداء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها.

[6]في حـ: «أكباش» ، و هي و الأبراد بمعنى واحد.

[7]العصب: ضرب من برود اليمن، واحده و جمعه سواء، يقال: برد عصب و برد عصب بالإضافة.

[8]الجند (بالتحريك) : مدينة باليمن بينها و بين صنعاء ثمانية و أربعون فرسخا.

[9]الصرد (بسكون الراء و فتحها) : البرد و قيل شدته.

[10]مرد: عتا و بلغ الغاية.

فقلت لها إني امرؤ فاعلمنّه # إذا ما أخذت السيف لم أحفل العدد
بنى لي إسماعيل مجدا مؤثّلا # و عبد كلال قبله[1]و أبو جمد
تطيف علينا قهوة في زجاجة # تريك جبان القوم أمضى من الأسد

و منها:

صوت

يا أيها القلب بعض ما تجد # قد يعشق القلب ثم يتّئد
قد يكتم المرء حبّه حقبا # و هو عميد و قلبه كمد
ما ذا تراعون من فتى غزل # قد تيّمته خمصانة رؤد
يهدّدوني كيما أخافهم # هيهات أنّى يهدّد الأسد

/و منها:

صوت

صدع[2]البين و التفرّق قلبي # و تولّت أمّ البنين بلبّي
ثوت النفس في الحمول لديها # و تولّى بالجسم منّي صحبي
و لقد قلت و المدامع تجري # بدموع كأنها فيض غرب
جزعا للفراق يوم تولّت: # حسبي اللّه ذو المعارج حسبي

و منها:

صوت

يا ابنة الواحد جودي فما # إن تصرميني فبما أولما
جودي علينا اليوم أو بيّني # فيم قتلت الرجل المسلما
إني و أيدي قلص ضمّر # و كلّ خرق[3]ورد الموسما
ما علّق القلب كتعليقها # واضعة كفّا علت معصما
ربّة[4]محراب إذا جئتها # لم ألقها أو ارتقى سلّما
/إخوتها أربعة كلّهم # ينفون عنها الفارس المعلما
كيف أرجّيها و من دونها # بوّاب سوء يعجل المشتما

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «بعده» .

[2]في حـ: «صرع» .

[3]الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليقة.

[4]كذا و «اللسان» (مادة حرب) . و في الأصول: «و رب محراب» ، و هو تحريف.

أسود هتّاك لأعراض من # مرّ على الأبواب أو سلّما

لا منّة أعلم كانت لها # عندي و لا تطلب فينا دما

بل هي لمّا أن رأت عاشقا # صبّا رمته اليوم فيمن رمى

لمّا ارتمينا[1]و رأت أنّها # قد أثبتت في قلبه أسهما

/أعجبها ذاك فأبدت له # سنّتها[2]البيضاء و المعصما

قامت تراءى لي على قصرها # بين جوار خرّد كالدّمى

و تعقد المرط على جسرة[3] # مثل كثيب الرمل أو أعظما

و منها:

صوت

دعاك من شوقك الدّواعي # و أنت وضّاح ذو أتباع[4]

دعتك ميّالة لعوب # أسيلة الخد باللّماع

دلالك الحلو و المشهّي # و ليس سرّيك بالمضاع

لا أمنع النفس عن هواها # و كلّ شيء إلى انقطاع

و منها:

صوت

ألا يا لقومي أطلقوا غلّ مرتهن # و منّوا على مستشعر الهمّ و الحزن

تذكّر سلمى و هي نازحة فحنّ # و هل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن

أ لم ترها صفراء رؤدا شبابها # أسيلة مجرى الدمع كالشّادن الأغنّ

و أبصرت سلمى بين بردي مراجل[5] # و أراد عصب من مهلهلة اليمن

فقلت لها لا ترتقي السطح إنني # أخاف عليكم كلّ ذي لمّة حسن

/الغناء لابن سريج، و له في هذا الشعر لحنان: ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، و رمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و أوّل الرمل قوله: ألا يا لقومي أطلقوا غلّ مرتهن

[1]ارتمينا: تواميناً.

[2]السنة: الوجه، و قيل: الجبهة و الجبينان، و قيل: غير ذلك.

[3]المرط (بالكسر) : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به، و ربما تلقيه المرأة على رأسها و تتلفع به. و الجسر: كل عضو ضخم، و يريد

بالجسرة هنا العجيزة.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «ذو تباع» .

[5]المراجل: ضرب من برود اليمن عليه تصاوير.

و أوّل الثقيل الأوّل: «تذكّر سلمى» . و في هذه الأبيات هزج يمنيّ بالبنصر.

و منها:

صوت

أ غدوت أم في الرائحين تروح # أم أنت من ذكر الحسان صحيح

إذ قالت الحسناء ما لصديقنا # رثّ الثياب و إنه لمليح

لا تسألنّ عن الثياب فإنني # يوم اللقاء على الكماة مشيح

أرمي و أطعن ثم أتبع ضربة # تدع النساء على الرجال تنوح

صوت من المائة المختارة

يا صاح إني قد حججـ # ـت وزرت بيت المقدس

و أتيت لدّا[1]عامدا # في عيد مريا سرجس[2]

/فرأيت فيه نسوة # مثل الظباء الكنّس

الشعر و الغناء للمعلّى بن طريف مولى المهديّ. و لحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. و كان المعلّى بن طريف و أخوه ليث مملوكين مولّدين من مولّدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما عليّ بن سليمان و أهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ/فأعتقهما. و نهر المعلّى و ربض[3]المعلّى ببغداد منسوب إلى المعلّى-هكذا ذكر ذلك ابن خرداذبه-و كان ضاربا محسنا طيّب الصوت حسن الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم و ابن جامع و حكم الوادي. و ولّي أخوه ليث السّند، و ولّي هو الطّراز[4]و البريد بخراسان، و قاتل يوسف البرم فهزمه، ثم ولّي الأهواز بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه و يمدح أخاه اللّيث و يهجو عليّ بن صالح صاحب المصلّى[5]: يا عليّ بن صالح ذا[6]المصلّى # أنت تفدي ليثا و تفدي المعلّى

سدّ ليث ثغرا و ولّيت فاختنـ # ـت فبئس المولى و بئس المولّى

[1]كذا في «المسالك و الممالك» لابن خرداذبه و «معجم البلدان» . ولد (بالضم و التشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.

و في سائر الأصول: «فذا» . و في حـ: «بدا» و هما محرفان.

[2]في «المسالك و الممالك» لابن خرداذبه: «مريا جرجس» .

[3]الربض (محركة) : الناحية، و ما حول المدينة من بيوت و مساكن. و الأرباض كثيرة جدا، و قلما تخلو مدينة من ربض. ذكر منها ياقوت في معجمه ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء، و لم يذكر «ربض المعلى» من بينها.

[4]يريد ديوان الطراز و هو الذي تنسج فيه الثياب.

[5]كذا صححها المرحوم الشيخ الشنقيطي على هامش نسخته. و في جميع الأصول: «المعلى» و هو تحريف. راجع «الطبري» في اسم علي بن صالح هذا.

[6]في جميع الأصول: «ذي» و هو تحريف.

و عليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المعلّى و أخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دلامة زند[1]بن الجون الأسديّ؛ و كان خرج مع المهديّ إلى الصيد، فرمى المهديّ و عليّ بن سليمان ظبيا سنح لهما، و قد أرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدي الظبي و أصاب عليّ بن سليمان الكلب فقتلاهما. فقال أبو دلامة: قد رمى المهديّ ظبيا # شكّ بالسهم فؤاده

و عليّ بن سليما # ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهما كلّ # امرئ يأكل زاده

حدّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مصعب، و عن أحمد بن سعيد عن الزّبير بن بكّار عن عمّه.

صوت من المائة المختارة

ألا طرد الهوى عنّي رقادي # فحسبي ما لقيت من السّهاد

لعبدة إنّ عبدة تيّمتني # و حلّت من فؤادي في السّواد

الشعر لبشّار. و الغناء المختار في هذين البيتين هزج خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن عليّ أنه يمنيّ، و ذكر الهشاميّ أنه لسليم.

[1]في جميع الأصول هنا: «زيد» (بالياء المثناة) ، و هو تصحيف. (راجع ترجمته في الجزء التاسع من «الأغاني» ص 120-140 طبع بولاق) .

18-أخبار بشّار و عبدة خاصة إذ كانت أخباره[1]سوى هذه تقدّمت

حبه لعبدة و شعره فيها:

حدّثني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو أيوب المديني عمن حدّثه عن الأصمعيّ هكذا قال، و أخبرني به عمّي عن عبد اللّه[2]بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال: كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البردان. فبينا هو في مجلسه ذات يوم و كان النساء يحضرنه، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة/في المجلس، فدعا غلامه فقال: إني قد علّقت امرأة، فإذا تكلمت فانظر من هي و اعرفها، فإذا انقضى المجلس و انصرف أهله فاتبعها و كلّمها و أعلمها أنّي لها محبّ و أنشدها هذه الأبيات و عرّفها أني قلتها فيها:

صوت

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم # الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

ما كنت أوّل مشغوف بجارية # يلقى بلقيانها روحا و ريحانا

-و يروى: هل من دواء لمشغوف بجارية-:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة # و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

-غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. و فيها لسياط ثقيل أول بالوسطى، عن عمرو. و فيها لإسحاق هزج من جامع أغانيه-قال: فأبلغها الغلام الأبيات، فهشّت لها، و كانت تزوره مع نسوة/يصحبنها فيأكلن عنده و يشربن و ينصرفن بعد أن يحدّثها و ينشدها و لا تطمعه في نفسها. قال: و قال فيها: قالت عقيل بن كعب[3]إذ تعلّقها # قلبي فأضحى به من حبّها أثر

أنّى و لم ترها تهذي!فقلت لهم # إن الفؤاد يرى ما لا يرى[4]البصر

[1]يلاحظ أن بعض الأخبار المذكورة هنا تقدّمت في ترجمته في الجزء الثالث من هذه الطبعة.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «عبيد اللّه» و هو تحريف.

[3]عقيل بن كعب: قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها. و من قوله يفتخر بهذا الولاء كما مرّ في ترجمته: إنني من بني عقيل بن كعب # موضع السيف من طلى الأعناق

[4]في ب، س: «ما لم ير البصر» . ـ

أصبحت كالحائم الحرّان مجتنبا # لم يقض وردا و لا يرجى له صدر

قال: و قال فيها أيضا-و هو من جيّد ما قال فيها-:

يزهّدني في حبّ عبدة معشر # قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي و ما اختار و ارتضى # فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبّ

فما تبصر العينان في موضع الهوى # و لا تسمع الأذنان إلا من القلب

و ما الحسن إلا كلّ حسن دعا الصّبا # و ألّف بين العشق و العاشق الصبّ

قال: و قال فيها:

يا قلب مالي أراك لا تقر # إياك أعني و عندك الخبر

أضعت بين الألى مضوا حرقا # أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا؟

فقال بعض الحديث يشغفني # و القلب راء ما لا يرى البصر

عابه الحسن البصري و هتف به فهجاه:

و أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة، و زاد فيها: /أنّ عبدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرا ينحن عليه به، فوافينه و قد احتجم-و كان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غدوة يسميه «البردان» و مجلس يجلس فيه عشيّة يسميه «الرّقيق» -و هو جالس في البردان و قد قال لغلامه: أمسك عليّ بابي و اطبخ لي و هيّئ طعامي و طيّبه و صفّ نبيذي.

قال: فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعا عنيفا؛ فقال: ويحك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشّرط؛ فنظر الغلام و جاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرا ينحن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن/نظرن إلى النبيذ مصفّى في قنانيّه؛ [في جانب بيته][1]فقالت إحداهن: خمر؛ [و قالت الأخرى: زبيب][2]؛ و قالت الأخرى: معسّل. فقال: لست بقائل لكنّ حرفا أو تطعمن من طعامي و تشربن من شرابي. فتماسكن ساعة، و قالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك!هذا أعمى، كلن من طعامه و اشربن من شرابه و خذن شعره، ففعلن. و بلغ ذلك الحسن البصري فعابه و هتف به. فبلغ ذلك بشّارا، و كان الحسن يلقّب القسّ[3]، فقال فيه بشّار: لمّا طلعن من الرّقيـ # ق عليّ بالبردان خمسا[4]

و كأنهنّ أهلّة # تحت الثياب زففن شمسا

باكرن طيب لطيمة[5] # و عمسن في الجاديّ عمسا

[1]زيادة عن حـ.

[2]هذه العبارة ساقطة من ب، س.

[3]لقب به لصلاحه.

[4]تقدّمت هذه الأبيات مع تفسير كلماتها الغامضة في «ترجمة بشار» (ج 3 ص 170 من هذه الطبعة) .

[5]اللطيمة: المسك و نافجته، و قيل: العير التي تحمل الطيب. و الجادي: الزعفران.

فسألنني من في البيو # ت فقلت ما يحوين إنسا

ليت العيون الناظرا # ت طمسن عنّا اليوم طمسا

فأصبن من طرف الحديـ # ث لذاذة و خرجن ملسا

لو لا تعرّضهن لي # يا قسّ كنت كأنت قسّا

لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس و التشبيب بالنساء فقال: لا أعاود ثم قال شعرا:

أخبرني الأسديّ و يحيى بن عليّ بن يحيى و محمد بن عمران الصّيرفي قالوا حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النّوفليّ قال: أتيت بشارا ذات يوم، فقال لي: ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري من هذا؛ فقالت: مالك بن دينار؛ فقلت: مالي و لمالك بن دينار!ما هو من أشكالي!ائذني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أ تشتم أعراض الناس و تشبّب بنسائهم!فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي. و قلت في إثره: غدا مالك بملاماته # عليّ و ما بات من باليه[1]

فقلت دع اللوم في حبّها # فقبلك أعييت عذّاليه

و إنّي لأكتمهم سرّها # غداة تقول لها الجالية

أعبدة مالك مسلوبة # و كنت مقرطقة[2]حاليه

فقالت على رقبة: إنني # رهنت المرعّث خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به # و إن أنكر الناس أحواليه

أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فرد عليها بشعر فيها:

أخبرني وكيع قال حدّثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني الحسن[3]بن جهور قال حدّثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال: إني لعند بشّار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تقرئك السلام و تقول لك: قد اشتدّ شوقنا إليك و لم نرك منذ أيام؛ فقال: عن غير مقلية/و اللّه كان ذاك. ثم قال لراويته: يا هشام، خذ الرقعة و اكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام: فأملى عليّ: عبد إنّي إليك بالأشواق # لتلاق و كيف لي بالتلاقي

أنا و اللّه أشتهي سحر عينيـ # ك و أخشى مصارع العشّاق

[1]راجع هذه الأبيات و التعليق عليها في ترجمته في الجزء الثالث ص 170 من هذه الطبعة.

[2]مقرطقة: لابسة القرطق (بضم القاف و سكون الراء و فتح الطاء و قد تضم) و هو القباء. و قد مرت بلفظ: «معطرة» .

[3]الذي مر هو الحسن بن جمهور. و يروي عنه محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك، و عن محمد هذا يروي وكيع. (راجع ج 3 ص 161 س 9 من هذه الطبعة) .

و أهاب الحرسيّ[1]محتسب الجنـ # د يلفّ البريء بالفسّاق

و مما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قوله:

صوت

لعبدة دار ما تكلّمنا الدار # تلوح مغانيها كما لاح أسطار

أسائل أحجارا و نؤيا مهدّما # و كيف يجيب القول نؤي و أحجار

و ما كلّمتني دارها إذ سألتها # و في كبدي كالنّفط شبّت به[2]النار

و عند مغاني دارها لو تكلّمت # لمكتئب بادي الصّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لابن جامع ثقيل أوّل عن الهشامي. و من هذه القصيدة:

صوت

تحمّل جيراني فعيني لبينهم # تفيض بتهتان إذا لاحت الدار

بكيت على من كنت أحظى بقربه # و حقّ الذي حاذرت بالأمس إذ ساروا[3]

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالبنصر.

/و من الأغاني في شعره في عبدة:

صوت

مسّني من صدود عبدة ضرّ # فبنات الفؤاد ما تستقرّ

ذاك شيء في القلب من حبّ عبـ # دة باد و باطن يستسرّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. و فيه لحكم ثقيل أوّل بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم. و فيه لفريدة خفيف ثقيل عن إسحاق. و فيه ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل من كتابه. و فيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.

و منها:

صوت

يا عبد إني قد ظلمت و إنني # مبد مقالة راغب أو راهب

[1]الحرسي (بالتحريك) : واحد حرس السلطان، و سكن هنا للضرورة.

[2]في جميع الأصول: «له» .

[3]في ب، س: «صاروا» .

الغناء لحكم خفيف ثقيل عن إسحاق. و فيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من كتابه. و فيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.

و منها:

صوت

يا عبد حبّك شقّني شقّا # و الحبّ داء يورث الحتفا

و الحبّ يخفيه المحبّ، لكي # لا يستراب به، و ما يخفى

الغناء لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

/و منها:

صوت

يا عبد باللّه فرّجي كربي # فقد براني و شقّني نصبي

و ضقت ذرعا بما كلفت به # من حبّكم و المحبّ في تعب

ففرّجي كربة شجيت بها # و حرّ حزن في الصدر كاللّهب

و لا تظنّي ما أشتكي لعبا # هيهات قد جلّ ذا عن اللعب

/غنّاه سياط ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو.

و منها:

صوت

يا عبد زوريني تكن منّة # للّه عندي يوم ألقاك

و اللّه ثمّ اللّه فاستيقني # إني لأرجوك و أخشاك

يا عبد إني هالك مدنف # إن لم أذق برد ثناياك

فلا تردّي عاشقا مدنفا # يرضى بهذا القدر من ذاك

الغناء لحكم هزج خفيف بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

و منها:

صوت

يا عبد قد طال المطال فأنعمي # و اشفي فؤاد فتى يهيم متيّم

الغناء ليزيد حوراء غير مجنّس عن إبراهيم.

و منها:

صوت

يا عبد هل للّقاء من سبب # أو لا فأدعو بالويل و الحرب

الغناء ليزيد حوراء غير مجنّس.

/و منها:

صوت

يا عبد هل لي منكم من عائد # أم هل لديك صلاح قلب فاسد

الغناء لابن عبّاد عن إبراهيم غير مجنّس.

و منها:

صوت

يا عبد حيي عن قريب # و تأمّلي عين الرقيب

و ارعي ودادي غائبا # فلقد رعيتك في المغيب

أشكو إليك و إنّما # يشكو المحبّ إلى الحبيب

غرضي[1]إليك من الهوى # غرض المريض إلى الطبيب

الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر.

و منها:

صوت

يا عبد باللّه ارحمي عبدك # و علّليه بمنى وعدك

يصبح مكروبا و يمسي به # و ليس يدري ما له عندك

ما ذا تقولين لربّ العلا # إذا تخلّيت به وحدك

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. و فيه لإسحاق هزج من جامع أغانيه. و فيه ليزيد حوراء لحن ذكره إبراهيم و لم يجنّسه. و ذكر حبش أنّ الثقيل الثاني لسياط.

/و منها:

صوت

يا عبد جلّي كروبي # و أسعفي و أثيبي

فقد تطاول همّي # و زفرتي و نحيى

[1]في الأصول: «غرضا» .

الغناء لابن سكّرة عن إبراهيم و لم يجنّسه.

و منها:

صوت

يا عبد أنت ذخيرتي # نفسي فدتك و جيرتي

اللّه يعلم فيكم # يا عبد حسن سريرتي

نفسي لنفسك خلّة[1] # و كذاك أنت أميرتي[2]

الغناء لحكم الوادي خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

و منها:

صوت

يا عبد حبّي لك مستور # و كلّ حبّ غيره زور

إن كان هجري سرّكم فاهجروا # إنّي بما سرّك مسرور

الغناء لحكم هزج بالوسطى عن ابن المكيّ.

و منها:

صوت

لم يطل ليلي و لكن لم أنم # و نفى عنّي الكرى طيف ألمّ

و إذا قلت لها جودي لنا # خرجت بالصمت عن لا و نعم

رفّهي يا عبد عنّي و اعلمي # أنّني يا عبد من لحم و دم/

إن في بردي جسما ناحلا # لو توكأت عليه لا نهدم

ختم الحبّ لها في عنقي # موضع الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحكم هزج بالسبّابة و الوسطى عن ابن المكيّ. و ذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد. و فيه لعثعث الأسود خفيف رمل في الأول و الخامس. و كان بشّار ينكر هذا البيت الأخير و هو: ختم الحب لها في عنقي

أنشده رجل بيتا له فأنكره:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثني أبو حاتم السّجستانيّ قال حدّثني من أنشد بشارا قوله: لم يطل ليلي و لكن لم أنم

[1]الخلة (بالضم) : الخليلة.

[2]في حـ: «أسيرتي» .

حتى بلغ إلى قوله:

ختم الحبّ لها في عنقي # موضع الخاتم من أهل الذمم

فقال بشار: عمّن أخذت هذا؟قلت: عن راويتك فلان؛ فقال: قبّحه اللّه! و اللّه ما قلت هذا البيت قطّ، أما ترى إلى أثره فيه!ما أقبحه و أشدّ تميّزه عنّي!فقال له بعض من حضر: نعم، هو ألحقه بالأبيات.

و منها:

صوت

عبد إنّي قد اعترفت بذنبي # فاغفري و اعركي[1]خطاي بجنب[2]

عبد لا صبر لي و لست-فمهلا- # قائلا قد عتبت في غير عتب

/و لقد قلت حين أنصبني الحب فأبلى جسمي و عذب قلبي

ربّ لا صبر لي على الهجر حسبي # أقلني حسبي لك الحمد حسبي

الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيه لسليم هزج من كتاب ابن المكيّ.

و منها:

صوت

عبد منّى و أنعمى # قد ملكتم قياديه

شاب رأسي و لم تشب # ابلائي لداتيه[3]

/الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيه لعريب هزج.

و منها:

صوت

عبد يا همّتي[4]عليك السلام # فيم يجفى حبيبك المستهام

نزل الحبّ منزلا في فؤادي # و له فيه مجلس و مقام

الغناء لأبي زكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيه لعريب هزج[5].

و منها:

[1]في جميع الأصول: «و اعدلي» ، و الظاهر أنها محرفة عما أثبتناه. يقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. و أصله من عرك الأديم إذا دلكه.

[2]في جميع الأصول: «بجنبي» و هو تحريف.

[3]في جميع الأصول: «لدائيه» . و الظاهر أنها محرفة عما أثبتناه.

[4]الهمة (بالكسر و يفتح) : الهوى.

[5]في حـ: «رمل» .

صوت

عبد يا قرّة عيني # أنصفي، روحي فداك

عاشق ليس له ذكـ # ر و لا همّ سواك

الغناء لعريب هزج. و فيه لحن ليزيد حوراء غير مجنّس.

/و منها:

صوت

يا عبد يا جافية قاطعه # أ ما رحمت المقلة الدامعه

يا عبد خافي اللّه في عاشق # يهواك حتى تقع الواقعة

الغناء لأبي زكّار هزج بالبنصر عن عمرو.

صوت من المائة المختارة

أرسلت أمّ جعفر لا تزور # ليت شعري بالغيب من ذا دهاها

أ أتاها محرّش بنميم # كاذب ما أراد إلا رداها

روضه من الخفيف-الشعر للأحوص. و الغناء لأمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب. و لحنه من الثقيل الأوّل في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحنا من[1]الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أ هذا يعني[2]أم غيره. و فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ و إسحاق. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو و الهشاميّ.

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «... أن فيه لحنا لمعبد من الثقيل... » بزيادة كلمة «معبد» . و لا يستقيم المعنى بذكرها.

[2]في الأصول: «يغنى» بالغين المعجمة، و هو تصحيف.

19-أخبار الأحوص مع أم جعفر

أم جعفر التي كان يشبب بها الأحوص و نسبها:

و قد ذكرت أخبار الأحوص متقدّما إلا أخباره مع أمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخّرت إلى هذا الموضع. و أمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خطمة[1]، و هي أمّ جعفر بنت عبد اللّه بن عرفطة بن قتادة بن معدّ بن غياث بن رزاح بن عامر بن عبد اللّه بن خطمة بن جشم بن مالك[2]بن الأوس. و له فيها أشعار كثيرة.

تشبيب الأحوص بأم جعفر و توعد أخيها أيمن له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم و محمد بن يحيى الطّلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، و أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني أحمد بن زهير عن مصعب، و أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد اللّه عن المحرز بن جعفر الدّوسيّ، /قالوا جميعا: لمّا أكثر الأحوص التشبيب بأمّ جعفر و شاع ذكره فيها توعّده أخوها أيمن و هدّده فلم ينته، فاستعدى عليه والي المدينة-و قال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز- فربطهما في حبل و دفع إليهما سوطين و قال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فغلب أخوها. و قال غير الزّبير في خبره: و سلح الأحوص في ثيابه و هرب و تبعه أخوها حتى فاته الأحوص هربا. و قد كان الأحوص قال فيها: /

لقد منعت معروفها أمّ جعفر # و إنّي إلى معروفها لفقير

و قد أنكرت بعد اعتراف زيارتي # و قد و غرت فيها عليّ صدور

أدور و لو لا أن أرى أمّ جعفر # بأبياتكم ما درت حيث أدور

أزور البيوت اللاصقات ببيتها # و قلبي إلى البيت الذي لا أزور

و ما كنت زوّارا و لكن ذا الهوى # إذا لم يزر لا بدّ أن سيزور

أزور على أن لست أنفكّ كلّما # أتيت عدوّا بالبنان يشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عوف، يعارض الأحوص في هذه الأبيات و يعيّره بفراره: لقد منع المعروف من أم جعفر # أخو ثقة عند الجلاد صبور

[1]لقب خطمة لأنه ضرب رجلا على أنفه فخطمه.

[2]كذا في «شرح القاموس» مادة خطم و كتاب «الاستبصار في أنساب الأنصار» ص 146 المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت

رقم (349 تاريخ) . و في جميع الأصول: «... خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس» و هو تحريف.

علاك بمتن السوط حتى اتّقيته # بأصفر من ماء الصّفاق[1]يفور

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه # فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي

أريد انتقام الذنب ثم تردّني # بد لأدانيه مباركة عندي

و قال الزبير في خبره خاصّة: و إنما أعطاهما عمر بن عبد العزيز السوطين و أمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما تهاجى سالم بن دارة و مرّة ابن واقع الغطفاني الفراري لزّهما عثمان بحبل و أعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

و قال عمر بن شبّة في خبره: و قال الأحوص فيها[2]أيضا-و قد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات و زاد فيها على رواية عمر بن شبّة بيتين فأضفتهما إليها-: /

و إني ليدعوني هوى أمّ جعفر # و جاراتها من ساعة فأجيب

و إني لآتي البيت ما إن أحبّه # و أكثر هجر البيت و هو حبيب

و أغضي على أشياء منكم تسوءني # و أدعى إلى ما سرّكم فأجيب

هبيني امرأ إمّا بريئا ظلمته # و إمّا مسيئا مذنبا فيتوب

فلا تتركي نفسي شعاعا فإنها # من الحزن قد كادت عليك تذوب

لك اللّه إني واصل ما وصلتني # و مثن بما أوليتني و مثيب

و آخذ ما أعطيت عفوا و إنني # لأزور عما تكرهين هيوب

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، و هي مروية للمجنون في عدة روايات؛ /و هي بشعره أشبه.

و في هذه الأشعار التي مضت أغان نسبتها:

صوت

أدور و لو لا أن أرى أمّ جعفر # بأبياتكم ما درت حيث أدور

أدور على أن لست أنفكّ كلما # أتيت عدوّا بالبنان يشير

الغناء لمعبد، و له فيه لحنان[3]: ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن عمرو. و لإسحاق فيهما و في قوله: أزور البيوت اللاّصقات ببيتها

و بعده:

[1]الصفاق: جمع صفق (بالتحريك) و هو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر، و اسم ذلك الماء: الصفق (بسكون الفاء و فتحها) .

[2]في جميع الأصول: «فيه» و هو تحريف.

[3]لم يذكر في الأصول اللحن الثاني.

لحن من الرمل. و في البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيل أوّل عن الهشامي، و لإبراهيم خفيف ثقيل.

و فيه لحن لشارية عن ابن المعتز و لم يذكر طريقته.

/

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه # فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي

أريد مكافأة له و تصدّني # يد لأدانيه مباركة عندي

الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى عن يحيى المكيّ، و ذكر غيره أنه منحول يحيى إلى معبد. و فيه ثقيل أوّل ينسب إلى عريب و رونق.

و منها و هو:

صوت من المائة المختارة

و إني لآتي البيت ما إن أحبّه # و أكثر هجر البيت و هو حبيب

و أغضي على أشياء منكم تسوءني # و أدعى إلى ما سرّكم فأجيب

و ما زلت من ذكراك حتى كأنني # أميم[1]بأفياء[2]الديار سليب[3]

أبثّك ما ألقى و في النفس حاجة # لها بين جلدي و العظام دبيب

لك اللّه إنّي واصل ما وصلتني # و مثن بما أوليتني و مثيب

و آخذ ما أعطيت عفوا و إنني # لأزور عما تكرهين هيوب

فلا تتركي نفسي شعاعا فإنها # من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص. و من الناس من ينسب البيت الخامس و ما بعده إلى المجنون. و الغناء في اللحن المختار لدحمان، و هو ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و ذكر الهشاميّ أن في الأبيات الأربعة لابن سريج لحنا من الثقيل الأوّل، فلا أعلم ألحن دحمان عنى[4]أم ثقيلا آخر. و في: /

لك اللّه إني واصل ما وصلتني # و مثن بما أوليتني و مثيب

لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. و فيها لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى.

لما أكثر من ذكر أم جعفر عرضت له في أمر فحلف أمام الناس أنه لا يعرفها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن حسن؛ قال الزّبير و حدّثني عبد الرحمن بن عبد اللّه الزّهريّ عن محرز:
[1]الأميم: المشجوج الرأس و قد يستعار لغير الرأس قال:

قلبي من الزفرات صدّعه الهوى # و حشاي من حرّ الفراق أميم

[2]في حـ: «بأقياء» . و في سائر الأصول: «بأفناء» . و ظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه.

[3]السليب: المستلب العقل.

[4]في جميع الأصول: «غنى» بالغين المعجمة، و هو تصحيف.

أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوص في ذكرها جاءت منتقبة[1]، فوقفت عليه في مجلس قومه و لا يعرفها، و كانت امرأة عفيفة؛ فقالت له: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها منّي؛ فقال: ما ابتعت منك شيئا. فأظهرت كتابا قد وضعته عليه/و بكت و شكت حاجة و ضرّا و فاقة و قالت: يا قوم، كلّموه. فلامه قومه و قالوا: اقض المرأة حقّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطّ و لا يعرفها. فكشفت وجهها و قالت: ويحك!أ ما تعرفني!فجعل يحلف مجتهدا أنه ما يعرفها و لا رآها قطّ. حتى إذا استفاض قولها و قوله و اجتمع الناس و كثروا و سمعوا ما دار و كثر لغطهم و أقوالهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا. ثم أقبلت عليه و قالت: يا عدوّ اللّه!صدقت، و اللّه ما لي عليك حقّ و لا تعرفني، و قد حلفت على ذلك و أنت صادق، و أنا أمّ جعفر و أنت تقول: قلت لأمّ جعفر و قالت لي أم جعفر في شعرك!فخجل الأحوص و انكسر عن ذلك و برئت عندهم.

سمع أبو السائب المخزومي شعرا له فطرب:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير، و أخبرني به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا ثعلب قال حدّثنا الزّبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزوميّ قول الأحوص: لقد منعت معروفها أمّ جعفر # و إنّي إلى معروفها لفقير

/فلما انتهيت إلى قوله:

أزور على أن لست أنفكّ كلّما # أتيت عدوّا بالبنان يشير

أعجبه ذلك و طرب و قال: أ تدري يا ابن أخي كيف كانوا يقولون! الساعة دخل، الساعة خرج، الساعة مرّ، الساعة رجع، و جعل يومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه و بسبّابته[2]إلى حيال وجهه و يقلبها، يحكي ذهابه و رجوعه.

صوت من المائة المختارة

صاح قد لمت ظالما # فانظر ان كنت لائما

هل ترى مثل ظبية # قلّدوها التمائما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء في اللحن المختار لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و أخبرني ذكاء وجه الرزّة أن فيه لعريب رملا بالبنصر، و هو الذي فيه سجحة. و فيه لابن المكّيّ خفيف ثقيل آخر بالوسطى. و زعم الهشاميّ أن فيه خفيف رمل بالوسطى لابن

سريج، و قد سمعها[3]ممن يغنّيه. و ذكر حبش أنّ فيه رملا آخر للغريض. و لعاتكة بنت شهدة فيه خفيف ثقيل، و هو من جيّد صنعتها، و ذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها الرمل هو اللحن المختار، و أن إسحاق كان يقدّمها و يستجيدها[4]، و يزعم أنه أخذه عنها. و قال [1]انتقبت المرأة و تنقبت: وضعت النقاب على وجهها.

[2]العله: «و بسبابتيه... و يقلبهما إلخ» .

[3]العله: «و قد سمعه» أي اللحن.

[4]في حـ: «و يستجيده» .

ابن المعتزّ: حدّثني أبو عبد اللّه الهشاميّ: أنّ عريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم، فأعجبه و أمرها أن تطرحه على جواريه، و لم أسمع بشرا قطّ غنّاه أحسن من خشف الواضحيّة.

/و كل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذكرت، أو لها[1]موضع تذكر فيه، إلا عاتكة بنت شهدة فإن أخبارها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا. و قد ذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوة غيرها.

عاتكة بنت شهدة و شيء من أخبارها:

/كانت عاتكة بنت شهدة مدنيّة. و أمّها شهدة جارية الوليد بن يزيد، و هو الصحيح. و كانت شهدة مغنيّة أيضا.

غنى ابن داود الرشيد صوتا لأمها فطرب:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا العلاء قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني عبد اللّه بن العبّاس الرّبيعيّ عن بعض المغنّين قال:

كنّا ليلة عند الرشيد و معنا ابن جامع و الموصليّ و غيرهما، و عنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن عليّ؛ فتغنّى المغنّون، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم:

صوت

أمّ الوليد سلبتني حلمي # و قتلتني فتخوّفي إثمي

باللّه يا أمّ الوليد أ ما # تخشين فيّ عواقب الظلم

و تركتني أبغي[2]الطبيب و ما # لطبيبنا بالداء من علم

خافي إلهك في ابن عمّك قد # زوّدته سقما على سقم

قال: فاستحسن الرشيد الصوت و استحسنه جميع من حضره و طربوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟فقال: يا أمير المؤمنين، سل هؤلاء المغنّين/لمن هو. فقالوا: و اللّه ما ندري، و إنه لغريب. فقال:

بحياتي لمن هو؟فقال: و حياتك ما أدري إلا أنّي أخذته من شهدة جارية الوليد أمّ عاتكة بنت شهدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرّقيّات، و الغناء لابن محرز، و له فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى

عن إسحاق، و الآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. و فيه لسليم خفيف رمل بالبنصر. و لحسين بن محرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ و حبش.

كانت ضاربة مجيدة و عنها أخذ إسحاق الموصليّ:

أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوما فقال:

كانت أضرب من رأيت بالعود؛ و لقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم فتضاربني ضربا أو ضربين، و وصل إليها منّي و من أبي أكثر من ثلاثين ألف درهم بسببي: دراهم و هدايا.

[1]في جميع الأصول: «أولها في موضع... إلخ» . و الظاهر أن كلمة «في» مقحمة.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «أنعى» ، و هو تصحيف.

ماتت بالبصرة، و قصتها مع ابن جامع عند الرشيد:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

كانت عاتكة بنت شهدة أحسن خلق اللّه غناء و أرواهم، و ماتت بالبصرة. و أمّها شهدة نائحة من أهل مكة.

و كان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع. فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم!ما هذا الترجيع الذي لا معنى له!عد بنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك. فأضجرته يوما بين يدي الرشيد فقال لها: إني أشتهي، علم اللّه، أن تحتكّ شعرتي بشعرتك. فقالت: اخسأ، قطع اللّه ظهرك!و لم تعد لأذاه بعدها.

غنت جارية بشعر فعارضتها هي و ذمت بندارا الزيات:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: قال لي عليّ بن جعفر بن محمد: /دخلت على جواري المروانيّ المغنيات بمكة، و عاتكة بنت شهدة تطارحهنّ لحنها: يا صاحبيّ دعا الملامة و اعلما # أنّ الهوى يدع الكرام عبيدا

فجعلت واحدة منهنّ تقول: «يدع الرجال عبيدا» . فصاحت بها عاتكة بنت شهدة: ويلك!بندار الزيات العاضّ بظر أمه رجل!أ فمن الكرام هو!. قال: فكنت إذا مرّ بي بندار أو رأيته غلبني الضحك فأستحيى منه و آخذ بيده و أجعل ذلك بشاشة؛ حتى أورث هذا/بيني و بينه مقاربة؛ فكان يقول: أبو الحسن عليّ بن جعفر صديق لي.

علمت مخارقا الغناء و هو مولى لها:

و كان مخارق مملوكا لعاتكة، و هي علّمته الغناء و وضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد. و قد ذكر ذلك في أخباره.

صوت من المائة المختارة

و لو أنّ ما عند ابن بجرة عندها # من الخمر لم تبلل لهاتي[1]بناطل

لعمري لأنت[2]البيت أكرم أهله # و أقعد في أفيائه[3]بالأصائل[4]

/عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذؤيب الهذليّ. و الغناء لحكم الواديّ، و لحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. ابن بجرة هذا، فيما ذكره الأصمعيّ، رجل كان يبيع الخمر بالطائف، و زعم أن الناطل كوز تكال

به الخمر. و قال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، و زعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. و قال أبو عمرو الشّيباني: سمعت الأعراب يقولون: الناطل: الجرعة من الماء و اللبن و النبيذ. انتهى.

[1]اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

[2]كذا في س. و في سائر الأصول: «لآتي البيت» .

[3]كذا في شرح ديوانه رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم 19 أدب ش) و «ديوان الهذليين» المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم 6 أدب ش) و «لسان العرب» (مادتي «فيأ» و «أصل») .

و الأفياء: جمع فيء و هو الظل، و لا يكون الفيء إلا بالعشيّ. و في جميع الأصول: «أفنائه» (بالنون) و هو تصحيف.

[4]الأصائل: العشيات.

20-ذكر أبي ذؤيب و خبره و نسبه

نسبه و إسلامه و موته:

هو خويلد بن خالد بن محرّث[1]بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم[2]بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. و هو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهليّة و الإسلام، و أسلم فحسن إسلامه. و مات في غزاة إفريقيّة.

رأى ابن سلام فيه و شهادة حسان له:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال:

كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة[3]فيه و لا وهن.

و قال ابن سلاّم[4]: قال أبو عمرو بن العلاء:

سئل حسّان بن ثابت: من أشعر الناس؟قال: أ حيّا أم رجلا[5]؟قالوا: حيّا؛ قال: أشعر الناس حيّا هذيل، و أشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلاّم: ليس[6]هذا من قول أبي عمرو و نحن نقوله.

اسمه بالسريانية مؤلف زورا:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني محمد بن معاذ العمريّ قال:

/في التّوراة: أبو ذؤيب مؤلف زورا، و كان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربيّة[7]، و هو كثير بن إسحاق، فعجب منه و قال: قد بلغني ذاك. و كان فصيحا كثير الغريب متمكّنا في الشعر.

[1]كذا في «تجريد الأغاني» و «الاستيعاب» (ج 2 ص 665) . و كذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي بخطه على هامش نسخته.

و في جميع الأصول: «محرز» .

[2]كذا في «طبقات الشعراء» لابن سلام (ص 29 طبع أوروبا) و «الاستيعاب» و نسخة الشنقيطي مصححة بخطه. و في جميع الأصول:

«غنم» .

[3]الغميزة: المطعن.

[4]في الأصول: «و قال أبو عمرو بن العلاء قال ابن سلام... إلخ» و هو تحريف. فإن ابن سلام هو المتأخر و هو الذي ذكر قول أبي عمرو بن العلاء

في كتابه «طبقات الشعراء» .

[5]عبارة ابن سلام في «الطبقات» : «قال: حيا أو رجلا... » . و في ب، س: «أم قال رجلا... إلخ» . بزيادة «قال» . و هو تحريف.

[6]هذه العبارة غير واضحة هنا، و هي واضحة في كتاب «الطبقات» لابن سلام، إذ فيه بعد ذكر الخبر: «ابن سلام يقوله» . يريد أن ابن سلام يؤيد ما رواه أبو عمرو بن العلاء.

[7]في حـ: «أصحاب المدينة» .

تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية:

قال أبو زيد عمر بن شبّة:

تقدّم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينيّة التي يرثي فيها بنيه. يعني قوله:

أ من المنون و ريبه تتوجّع # و الدهر ليس بمعتب من يجزع

و هذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون و رثاهم فيها. و سنذكر جميع ما يغنّى فيه منها على أثر أخباره هذه.

خرج مع عبد اللّه بن سعد لغزو إفريقية و عاد مع ابن الزبير فمات في مصر:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزّبيريّ، و أخبرني حرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال:

كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند[1]عبد اللّه بن سعد[2]بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ و عشرين غازيا إفرنجة في زمن عثمان. فلما/فتح عبد اللّه بن سعد إفريقية و ما والاها بعث عبد اللّه بن الزبير -و كان في جنده-بشيرا إلى عثمان/بن عفّان، و بعث معه نفرا فيهم أبو ذؤيب. ففي عبد اللّه يقول أبو ذؤيب:

فصاحب صدق كسيد الضّرا # ء ينهض في الغزو نهضا نجيحا[3]

في قصيدة له.

وصف ابن الزبير لحرب إفريقية:

فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب[4]بها. و قدم ابن الزبير على عثمان، و هو يومئذ، في قول ابن الزبير، ابن ستّ و عشرين سنة؛ و في قول الواقديّ ابن أربع و عشرين سنة. و بشّر عبد اللّه عند مقدمه بخبيب بن عبد اللّه بن الزبير و بأخيه عروة بن الزبير، و كانا ولدا في ذلك العام، و خبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي و الزبير بن خبيب بن [1]و كان ضمن جند عبد اللّه أيضا معبد بن العباس بن عبد المطلب و مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية و الحارث بن الحكم أخوه و المسور بن مخرمة بن نوفل و عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب و عبد اللّه بن عمر بن الخطاب و عاصم بن عمر و عبيد اللّه بن عمر و عبد الرحمن بن أبي بكر و عبد اللّه بن عمرو بن

العاص و بسر بن أبي أرطاة بن عويمر العامري. (راجع «فتوح البلدان» للبلاذري) .

[2]هو عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح العامري، و كان يكتب الوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فارتدّ عن الإسلام و لحق بالمشركين بمكة. و كان معاوية بن أبي سفيان بمكة قد أسلم و حسن إسلامه فاتخذه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كاتبا للوحي بعد ابن أبي سرح. فلما فتح النبي صلى اللّه عليه و سلم مكة استجار عبد اللّه بن سعد بدار عثمان رضي اللّه عنه فأخذ له عثمان الأمان من النبي صلى اللّه عليه و سلم. و كان ابن أبي سرح أخا لعثمان من الرضاعة، فحسن إسلامه من ذلك الوقت. فلما أفضت الخلافة إلى عثمان رضي اللّه عنه ولاه على ملك مصر و جندها سنة 25 هـ فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيغيرون على أطراف إفريقية. فكتب إلى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم، فكان ذلك السبب في توجيه الجيش إليه و تقديمه عليه و دخوله به للغزو إلى إفريقية.

[3]كذا ورد هذا البيت في «شرح ديوان أبي ذؤيب» و قبله شعر يدل على هجر محبوبته له و إعراضها عنه إلى غيره. يقول: فإن استبدلت بي إنسانا فاستبدلي بي مثل هذا الصاحب. و الضراء: ما واراك من شجر. و السيد: الذئب. و أخبث ما يكون من الذئاب سيد الضراء الذي تعوده. و قد صححه الأستاذ الشنقيطي بهذه الرواية في هامش نسخته. و في الأصول: «و صاحب صدق كسيد الغضي...

إلخ» .

[4]في «فتوح البلدان» للبلاذري (ص 226 طبع أوروبا) : أن أبا ذؤيب توفي بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه في لحده. و رواية البلاذري تنفق مع ما ذكره ابن قتيبة في «طبقات الشعراء» (ص 413 طبع أوروبا) و ابن الأثير في «الكامل» (ج 3 ص 70 طبع أوروبا) و ابن حجر في «الإصابة» (ج 7 ص 63 طبع مطبعة السعادة) . و سيذكر المؤلف في هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم و دفن بها.

ثابت بن عبد اللّه بن الزبير يقولان: قال عبد اللّه بن الزبير: أحاط بنا جرجير صاحب إفريقية و هو ملك إفرنجة في عشرين ألفا و مائة ألف و نحن في عشرين ألفا؛ فضاق بالمسلمين أمرهم و اختلفوا في الرأي، فدخل عبد اللّه بن سعد فسطاطه يخلو يفكّر. قال عبد اللّه بن الزبير: فرأيت عورة من جرجير و الناس على مصافّهم، رأيته على برذون أشهب خلف أصحابه منقطعا منهم، معه جاريتان له تظلّانه من الشمس بريش الطّواويس. / فجئت فسطاط عبد اللّه فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه في شأنكم و إنه قد أمرني أن أمسك الناس عنه. قال: فدرت فأتيت مؤخّر فسطاطه فرفعته و دخلت عليه، فإذا هو مستلق على فراشه؛ ففزع و قال: ما الذي أدخلك عليّ يا ابن الزبير؟فقلت: إيه و إيه! كلّ أزبّ نفور[1]!إني رأيت عورة من عدوّنا فرجوت الفرصة فيه و خشيت فواتها، فاخرج فاندب الناس إليّ. قال:

و ما هي؟فأخبرته؛ فقال: عورة لعمري!ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدّوكم. فاخترت ثلاثين فارسا، و قلت: إني حامل فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء اللّه تعالى.

فحملت في الوجه الذي هو فيه و حملوا فذبّوا عنّي حتى خرقتهم[2]إلى أرض خالية، و تبيّنته فصمدت[3]صمده؛ فو اللّه ما حسب إلا أني رسول و لا ظنّ أكثر أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنى برذونه هاربا، فأدركته فطعنته فسقط، و رميت بنفسي عليه، و اتّقت جاريتاه عنه السيف فقطعت يد إحداهما. و أجهزت عليه ثم رفعت رأسه في رمحي، و جال أصحابه و حمل المسلمون في ناحيتي و كبّروا فقتّلوهم كيف شاءوا، و كانت الهزيمة.

فقال لي عبد اللّه بن سعد: ما أحد أحقّ بالبشارة منك، فبعثني إلى عثمان. و قدم مروان[4]بعدي على عثمان/حين اطمأنّوا و باعوا المغنم و قسّموه.

اشترى مروان خمس فيء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان:

و كان مروان قد صفق[5]على الخمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تكلّم فيه بسببه.

فقال عبد الرحمن بن حنبل[6]بن مليل-و كان هو و أخوه كلدة أخوي صفوان بن أميّة بن خلف لأمه، و هي صفيّة بنت معمر بن حبيب[7]بن وهب

بن حذافة بن جمح، و كان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة-:

أحلف[8]باللّه جهد اليميـ # ن ما ترك اللّه أمرا سدى

[1]الأزب من الإبل: الذي يكثر شعر حاجبيه، و لا يكون الأزب إلا نفورا لأن الريح تضربه فينفر. و هذا مثل يضرب في عيب الجبان.

قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد و كان أزب جبانا، و كان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل، و كان زهير يوما في إبله يهنؤها و معه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه فأخبر زهيرا بمكانهم فقال له زهير: كل أزب نفور. و إنما قال له هذا لأن أسيدا كان أشعر (عن «مجمع الأمثال» للميداني) .

[2]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «حتى حزقتهم» و هو تصحيف. و «عبارة البيان المغرب في أخبار المغرب» لابن عذارى المراكشي: «خرقت صفوفهم... إلخ» .

[3]صمد صمد الأمر: قصد قصده.

[4]هو الخليفة مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك الخليفة، و هو ابن عم عثمان بن عفان رضي اللّه عنه و كاتبه؛ و من أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضي اللّه عنه و قتله. ثم انضم إلى ابن عمه معاوية ابن أبي سفيان و تولى عدة أعمال إلى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية و بويع بالخلافة؛ فلم تطل مدته و مات في أول شهر رمضان سنة 65 هـ.

[5]الصفق: التبايع، و هو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع.

[6]كذا في حـ و الاستيعاب في ترجمة عبد الرحمن بن حنبل و أخيه كلدة بن حنبل. و في سائر الأصول: «حسان» و هو تحريف.

[7]كذا في «الاستيعاب» و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج 5 ص 332 في ترجمة صفوان بن أمية) . و في جميع الأصول: «خبيب» بالخاء المعجمة، و هو تصحيف.

[8]في «الاستيعاب» في ترجمة عبد الرحمن: «و أحلف» و في «البيان المغرب» : «سأحلف» .

و لكن خلقت[1]لنا فتنة # لكي نبتلى فيك[2]أو تبتلى

دعوت الطّريد[3]فأدنيته # خلافا[4]لسنّة من قد مضى

/و أعطيت[5]مروان خمس العبا # د ظلما لهم و حميت الحمى

/و مالا أتاك به الأشعريّ # من الفيء أعطيته من دنا

و إن الأمينين قد بيّنا # منار الطريق عليه الهدى

فما أخذا درهما غيلة # و لا قسّما درهما في هوى

قال: و المال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مال كان أبو موسى قدم به على عثمان من العراق، فأعطى عبد اللّه بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم، و قيل: ثلاثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك.

ذكر ابن بجرة و خمره في قصيدة غنى في أبيات منها:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز-أظنه ابن[6] الدّراوردي-قال: ابن بجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب من قريش، و لم يسكنوا مكة و لا المدينة قطّ، و بالمدينة منهم امرأة، و لهم موال أشهر منهم، يقال لهم بنو سجفان[7]. و كان ابن بجرة هذا خمّارا. و هذا الصوت الذي ذكرناه[8]من لحن حكم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغنّى فيه منها:

صوت

أ ساءلت رسم الدار أم لم تسائل # عن الحيّ أم عن عهده بالأوائل

[1]في «الاستيعاب» : «جعلت» .

[2]في حـ: «بك» .

[3]الطريد: هو الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم و عم عثمان بن عفان، أسلم يوم الفتح. أخرجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من المدينة و طرده عنها فنزل الطائف. و لم يزل بها مدّة خلافة أبي بكر و عمر إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة و أعطاه مائة ألف درهم، و بقي فيها إلى أن توفي في آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر و كان ذلك مما نقموا على عثمان. و اختلف في السبب الموجب لنفي رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إياه فقيل: كان يتحيل و يستخفي و يسمع ما يسره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى كبار أصحابه في مشركي

قريس و سائر الكفار و المنافقين فكان يفشي ذلك عليه، و كان يحكيه في مشيئته و بعض حركاته إلى أمور غيرها. (انظر «الاستيعاب» ج 1 ص 120، 121 و «المعارف» لابن قتيبة ص 97 و «طبقات ابن سعد» ج 5 ص 330-331) .

[4]في «الاستيعاب» :

خلافا لما سنه المصطفى

[5]ورد هذا البيت و الذي بعده في «الاستيعاب» هكذا: و وليت قرباك أمر العباد # خلافا لسنة من قد مضى

و أعطيت مروان خمس الغنيـ # مة آثرته و حميت الحمى

[6]كذا في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «أظنه ابن عمران» . و كلاهما روى عنه محمد بن يحيى الكناني أبو غسان.

و الدراوردي: نسبة إلى دراورد، قرية من قرى فارس. و قيل: إنها قرية بخراسان، و قيل غير ذلك. (راجع «تهذيب التهذيب» و «الطبقات الكبرى» لابن سعد) .

[7]كذا في ب، س. و في حـ: «بنو أسجفا» . و في سائر الأصول: «بنو أسجفان» .

[8]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «ذكره» .

عفا غير رسم الدار ما إن تبينه[1] # و عفر[2]ظباء قد ثوت في المنازل

فلو أنّ ما عند ابن بجرة عندها # من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل

/فتلك[3]التي لا يذهب الدهر حبّها # و لا ذكرها ما أرزمت أمّ حائل

غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بالوسطى. و يقال: إن لمعبد فيه أيضا لحنا.

قوله: «أ ساءلت» يخاطب نفسه. و يروى: «عن السّكن أو عن أهله» [4]. و السّكن. الذي[5]كانوا فيه. و قال الأصمعي: السكن: سكن الدار. و السكن: المنزل أيضا. و يروى: «عفا غير نؤي الدار» . و النّؤى: حاجز يجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها. و يروى-و هو الصحيح-: و أقطاع[6]طفي قد عفت في المعاقل

و الطّفي: خوص المقل. و المعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها معقل. و واحد الطّفي: طفية. و أرزمت: حنّت. و الحائل: الأنثى. و السّقب: الذكر.

و منها:

صوت

و إنّ حديثا منك لو تبذلينه # جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافل أبكار حديث نتاجها # تشاب بماء مثل ماء المفاصل

غنّاه ابن سريج رملا بالوسطى. جنى النحل: العسل. و العوذ: جمع عائذ، الناقة حين تضع فهي عائذ، فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل. و المفاصل: منفصل[7]السهل/من الجبل حيث يكون الرّضراض[8]، و الماء الذي يستنقع[9]فيها أطيب المياه. و تشاب: تخلط.

و أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ: أن أبا ذؤيب إنما عنى بقوله: «مطافل أبكار» أنّ لبن الأبكار أطيب الألبان، و هو لبنها لأوّل بطن وضعت.

قال: و كذلك العسل فإنّ أطيبه ما كان من بكر النحل. قال: و حدّثني كردين قال: كتب الحجاج إلى عامله على [1]في حـ: «أبينه» .

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و غير ظبا» .

[3]رواية هذا الشطر في ديوانه المخطوط و «أمالي القالي» (ج 1 ص 233 طبع دار الكتب المصرية) : «فتلك التي لا يبرح القلب حبها» .

[4]قال الأصمعي في التعليق على هذا البيت في شرح ديوانه: «السكن: أهل الدار سكانها، و السكن: المنزل... » . و ترك كلمة السكن بدون شكل. و الذي في كتب اللغة أن السكن (بالفتح) : السكان، و هو جمع لساكن كصحب و صاحب. (و بالضم و بالتحريك) : المسكن.

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الذين» و هو تحريف.

[6]أقطاع: جمع قطع (بالكسر) و هو-كالقطيع-: الغصن تقطعه من الشجرة.

[7]كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطي بخطه على هامش نسخته. و في الأصول: «منفتل» .

[8]الرضراض: ما دق من الحصى.

[9]كذا في حـ. و يستنقع: يجتمع. و في سائر الأصول: «ينبع» .

/فارس: ابعث إليّ بعسل من عسل خلاّر[1]، من النحل الأبكار، من الدستفشار[2]، الذي لم تمسّه النار.

صوت من قصيدته العينية:

فأما قصيدته العينية التي فضّل بها، فممّا يغنّى به منها:

صوت

أ من المنون و ريبها[3]تتوجّع # و الدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة[4]ما لجسمك شاحبا # منذ ابتذلت و مثل مالك ينفع

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا # إلا أقضّ عليك ذاك المضجع

فأجبتها أن ما[5]لجسمي أنّه # أودى بنيّ من البلاد فودّعوا

/عروضه من الكامل. غنّاه ابن محرز و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. قال الأصمعيّ: سمّيت المنون منونا لأنها تذهب بمنّة كل شيء و هي قوّته. و روى الأصمعي: «و ريبه» فذكّر المنون.

و الشاحب: المغيّر المهزول. يقال: شحب يشحب. ابتذلت: امتهنت نفسك و كرهت الدعة و الزينة و لزمت العمل و السفر و مثل مالك يغنيك عن هذا، فاشتر لنفسك من يكفيك ذلك و يقوم لك به. و يلائم: يوافق. أقضّ عليك أي خشن فلم تستطع أن تضطجع عليه. و القضض: الرمل و الحصى. قال الراجز: إنّ[6]أحيحا مات من غير مرض # و وجد في مرمضه حيث ارتمض[7]

عساقل[8]و جبأ فيها قضض

و ودّعوا: ذهبوا. استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع.

[1]خلار (كرمان) : موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد.

[2]الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدي و عالجته.

[3]كذا في ديوانه و فيما سيأتي في جميع الأصول هنا و فيما مر: «و ريبه» . و المنون يذكر و يؤنث، فمن أنث حمله على المنية، و من ذكر حمله على الموت. و يحتمل أن يكون التأنيث راجعا إلى معنى الجنسية و الكثرة، و ذلك لأن الداهية توصف بالعموم و الكثرة و الانتشار. و قيل: إن من ذكر المنون أراد به الدهر. و قد روى في «اللسان» (مادة منن) بالتذكير و ذكر

فيه التأنيث رواية عن ابن سيدة و قد شرح أبو الفرج ذلك في الصفحة التالية.

[4]في شرح ديوانه: «أميمة» .

[5]كذا في ديوانه. و يريد أن الذي بجسمي هو غمي لذهاب ولدي و نفادهم، فهذا الذي ترين بجسمي لذلك. (يراجع شرح ديوانه) . و في ب، س: «أما لجسمك» . و في سائر الأصول: «أم ما لجسمك» .

[6]كذا في «لسان العرب» مادتي «جبأ و رمض» . و في ب، س: «إن احتجا ما يك عن... إلخ» . و في سائر الأصول: «إن احتجاما تك» . و كلاهما تحريف.

[7]ارتمض الرجل من كذا، أي اشتدّ عليه و أقلقه.

[8]العساقل: ضرب من الكمأة، و هي الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الأرض. و الجبء (بالفتح) : الكمأة السود. و السود خيار الكمأة. فجبأ (بكسر ففتح) يجوز أن يكون جمع جبء كجبأة (بكسر ففتح أيضا) و هو نادر، و يجوز أن يكون المراد جبأة، فحذفت الهاء للضرورة، و يجوز أن يكون اسما للجمع. (عن «اللسان» مادة جبأ) .

طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله و عرفها مؤدب فأجازه:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ عن ابن عياش قال: لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينة[1]إلى/مقابر قريش[2]، و مشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع[3]فقال: يا ربيع، انظر من في أهلي ينشدني: أ من المنون و ريبها تتوجّع

حتى أتسلّى بها عن مصيبتي. قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم و هم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته؛ فقال: و اللّه لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلّة رغبتهم في الأدب أعظم و أشدّ عليّ من مصيبتي بابني. ثم قال: انظر هل في القوّاد و العوامّ من الجند من يعرفها، فإني أحبّ أن أسمعها من إنسان ينشدها. فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخا كبيرا مؤدّبا قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئا من الشعر؟ فقال: نعم، شعر أبي ذؤيب. فقلت: أنشدني. فابتدأ هذه القصيدة العينيّة. فقلت له: أنت بغيتي. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها. فلما قال: و الدهر ليس بمعتب[4]من يجزع

قال: صدق و اللّه، فأنشدني هذا البيت مائة مرّة ليتردّد هذا المصراع عليّ؛ فأنشده، ثم مرّ فيها. فلما انتهى إلى قوله: و الدهر لا يبقى على حدثانه # جون السّراة له جدائد[5]أربع

/قال: سلا[6]أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمر الشيخ بالانصراف. فاتّبعته فقلت له: أ أمر لك أمير المؤمنين بشيء؟فأراني صرّة في يده فيها مائة درهم.

خانه خالد بن زهير في امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان أبو ذؤيب الهذليّ يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، و كان يرسل إليها خالد[7]بن زهير فخانه فيها، و كذلك [1]يريد بغداد.

[2]مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة و محلة فيها خلق كثير و عليها سور بين الحربية و مقبرة أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه و الحريم الطاهري، و بينها و بين دجلة شوط فرس جيد، و هي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، و كان جعفر الأكبر هو أول من دفن بها، و المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى بها مدينته سنة 146 هـ.

[3]هو الربيع بن يونس مولى المنصور.

[4]أعتبه: رجع إلى ما يرضيه و ترك ما يسخطه.

[5]جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، فإن الجون يطلق على الأسود و الأبيض. و يريد بجون السراة حمارا. و الجدائد: الأتن، واحدها جدود (بفتح أوله) و هي التي لا لبن لها.

[6]كذا في أ، ء، م. و في ب، حـ: «سلا أبو ذؤيب عن هذا القول» . و في س: «سل أبا ذؤيب عن هذا القول» .

[7]هو خالد بن زهير الهذلي، و كان ابن أخت أبي ذؤيب، و قيل: ابن أخيه. ـ

كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم[1]بن مالك بن عويمر و كان رسوله إليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد ضرمها. فأرسلت تترضّاه، فلم يفعل، و قال فيها: تريدين كيما تجمعيني و خالدا # و هل يجمع السيفان ويحك في غمد

أ خالد ما راعيت منّي[2]قرابة # فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي[3]

دعاك إليها مقلتاها و جيدها # فملت كما مال المحبّ على عمد

و كنت كرقراق السّراب إذا بدا # لقوم و قد بات المطيّ بهم يخدي[4]

فآليت لا أنفكّ أحدو قصيدة # تكون و إياها بها مثلا بعدي

/غنّاه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. و الرقراق: الجاري. و يروى: «أحذو قصيدة» . فمن قال: «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع، و من قال: «أحدو» أراد أغنّي.

و قال أبو ذؤيب في ذلك:

و ما حمّل البختيّ عام غياره[5] # عليه الوسوق[6]برّها و شعيرها

أتى قرية كانت كثيرا طعامها # كرفغ[7]التراب كلّ شيء يميرها

-الرفغ من التراب: الكثير اللين-.

فقيل تحمّل فوق طوقك إنّها # مطبّعة[8]من يأتها لا يضيرها

بأعظم[9]مما كنت حمّلت خالدا # و بعض أمانات الرجال غرورها

و لو أنني حمّلته البزل ما مشت # به البزل حتى تتلئبّ صدورها

-تتلئب: تستقيم و تنتصب و تمتدّ و تتتابع[10]-:

خليلي الذي دلّى[11]لغيّ خليلتي # جهارا فكلّ قد أصاب عرورها[12]

[1]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «عويمر» . و قد أورد ابن قتيبة هذه القصة في كتابه «طبقات الشعراء» (ص 413-414) و ذكر أن الرجل الذي خانه أبو ذؤيب في هذه المرأة هو ابن عم له يقال له مالك بن عويمر. و أوردها البغدادي في كتابه «خزانة الأدب» (ج 2 ص 316، ج 3 ص 597، 648) في تفصيل كثير، فذكر في موضع أنه يقال له مالك بن عويمر، كما ذكره ابن قتيبة، و في موضع آخر أنه يقال له وهب بن جابر، و ذكر سبب تعلقه بها و جفائها له بعد. و استطرد في القصة حتى أتى على خبر مقتل خالد بن زهير.

[2]كذا في «شرح ديوانه» و «الشعر و الشعراء» . و في الأصول: «من ذي قرابة» .

[3]أراد: فتحفظني بالغيب أو في بعض ما تظهر من المودة و الإخاء.

[4]كذا في حـ و ديوانه. و خدي البعير و الفرس خديا و خديانا: أسرع و زج بقوائمه. و في سائر الأصول: «يحدى» (بالحاء المهملة) و هو تصحيف.

[5]الغيار (بالكسر) : مصدر غارهم يغيرهم إذا ما رهم أي أتاهم بالميرة.

[6]الوسوق: جمع وسق (بالفتح) ، و هو حمل البعير، و قيل: الحمل عامة.

[7]في جميع الأصول: «كرقع» (بالقاف و العين المهملة) . و التصويب عن شرح ديوانه.

[8]يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة أي مختومة لأن الختم إنما يكون غالبا بعد الملء.

[9]في ديوانه: «بأثقل» .

[10]العلها «و تتتايع» بالياء المثناة التحتية. يقال: تتتايع الجمل في مشيه إذا حرك ألواحه حتى يكاد ينفك.

[11]دلى فلان فلانا في الشرّ: أوقعه و صيره فيه.

[12]العرور: المعرة و العيب.

-يقال: عرّه بكذا أي أصابه[به][1]-: فشأنكها[2]، إني أمين و إنّني # إذا ما تحالى مثلها لا أطورها

-تحالى: من الحلاوة. أطورها: أقربها-: /

أحاذر يوما أن تبين قرينتي # و يسلمها أحرازها[3]و نصيرها

-الأحراز: الحصون. قرينتي: نفسي-: و ما أنفس الفتيان إلا قرائن # تبين و يبقى هامها و قبورها

فنفسك فاحفظها و لا تفش للعدا # من السرّ ما يطوى عليه ضميرها

و ما يحفظ المكتوم من سرّ أهله # إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها

من القوم إلا ذو عفاف يعينه # على ذاك منه صدق نفس و خيرها

/رعى خالد سرّي ليالي نفسه # توالى[4]على قصد السبيل أمورها

فلما تراماه[5]الشباب و غيّه # و في النفس منه فتنة و فجورها

لوى رأسه عنّي و مال بودّه # أغانيج خود[6]كان فينا يزورها

تعلّقه منها دلال و مقلة # تظلّ لأصحاب الشّقاء تديرها

فإنّ حراما أن أخون أمانة # و آمن نفسا ليس عندي ضميرها[7]

فأجابه خالد بن زهير:

لا يبعدنّ اللّه لبّك إذ غزا # و سافر و الأحلام جمّ عثورها

-غزا و سافر لبك: ذهب عنك. و العثور: من العثار و هو الخطأ-: و كنت إماما للعشيرة تنتهي # إليك إذا ضاقت بأمر صدورها

/لعلّك[8]إمّا أمّ عمرو تبدّلت # سواك خليلا شاتمي تستخيرها

-الاستخارة: الاستعطاف-:

فإنّ التي فينا زعمت و مثلها # لفيك و لكنّي أراك تجورها[9]

[1]زيادة عن حـ.

[2]في شرح ديوانه في التعليق على هذا البيت: و رواه خالد و الأصمعيّ: «فشأنكما...

إلخ» .

[3]في شرح ديوانه: «إخوانها» .

[4]توالى: تتابع. و قصد السبيل: مستقيمه.

[5]تراماه الشباب: أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها.

[6]الأغانيج: جمع أغنوجة. و الأغنوجة من التغنج و هو التكسر و التدلل. و الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا.

[7]يريد: لا آمن من ليس عندي ضمير قلبه و الذي يزعم أنه أخي و ليس ضميره عندي. و في نسبة هذا البيت لأبي ذؤيب خلاف ذكر في شرح ديوانه.

[8]كذا في حـ و شرح ديوانه. و في سائر الأصول: «لعمرك» .

[9]كذا في أ، ء، م، و شرح ديوانه. و في سائر الأصول: «و لكن لا أراك تخورها» (بالخاء المعجمة) و هو تحريف.

-تجورها: تعرض عنها-:

أ لم تنتقذها[1]من عويم بن مالك # و أنت صفيّ نفسه و سجيرها[2]

فلا تجزعن من سنّة أنت سرتها # فأوّل راض سنّة من يسيرها

-و يروى[قد][3]أسرتها، أي جعلتها سائرة. و من رواه هكذا روى «يسيرها» لأن مستقبل[4]أفعل أسارها يسيرها. و «يسيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها-.

فإن كنت تشكو من خليل مخانة[5] # فتلك الجوازي[6]عقبها و نصورها

-عقبها: يريد عاقبتها. و نصورها أي تنصر عليك، الواحد نصر[7]-.

و إن كنت تبغي للظّلامة مركبا # ذلولا فإني ليس عندي بعيرها

نشأت عسيرا لا تلين[8]عريكتي # و لم يعل[9]يوما فوق ظهري كورها[10]

/متى ما تشأ أحملك و الرأس مائل # على صعبة حرف و شيك طمورها[11]

فلا تك كالثور الذي دفنت له # حديدة حتف ثم أمسى[12]يثيرها

يطيل ثواء عندها ليردّها # و هيهات منه دارها[13]و قصورها

و قاسمها باللّه جهدا لأنتم # ألذّ من السّلوى إذا ما نشورها[14]

-نشورها: نجتنيها. السلوى هاهنا: العسل-.

فلم يغن عنه خدعه يوم أزمعت # صريمتها و النفس مرّ ضميرها[15]

و لم يلف جلدا حازما ذا عزيمة # و ذا قوّة ينفي بها من يزورها

[1]الموجود في معاجم اللغة من هذه المادة: أنقذه و استنقذه و تنقذه. و رواية هذا الشطر في شرح ديوانه و «طبقات الشعراء» : «أ لم تتنقذها من ابن عويمر # .. إلخ»

و تنقذها: تنجزها و أخذها.

[2]السجير: الخليل الصفيّ.

[3]زيادة عن شرح ديوانه.

[4]كذا وردت هذه العبارة في الأصول، و هي غير مستقيمة. و الظاهر أن كلمة «أفعل» مقحمة.

[5]كذا في شرح ديوانه. و في جميع الأصول: «مخافة» (بالفاء) و هو تحريف.

[6]كذا في حـ و شرح ديوانه. و في سائر الأصول: «الجواري» (بالراء المهملة) و هو تصحيف.

[7]قال في «اللسان» (مادة نصر) بعد أن أورد هذا البيت: «يجوز أن يكون نصور جمع ناصر كشاهد و شهود و أن يكون مصدرا كالدخول و الخروج» .

[8]في شرح ديوانه:

«لم تديث»

. و تديث: تذلل و تلين.

[9]في شرح ديوانه:

«و لم يستقر فوق...

إلخ» .

[10]الكور: الرحل.

[11]الرأس مائل من المرح و النشاط. و الحرف: الضامرة. و وشيك طمورها: سريع وثوبها.

[12]في شرح ديوانه: «ثم ظل» .

[13]في شرح ديوانه: «دورها» .

[14]كذا في شرح ديوانه و «لسان العرب» (مادة سلا) . و في الأصول: «يشورها» .

[15]مرّ ضميرها أي نفسها خبيثة كارهة.

فأقصر[1]و لم تأخذك منّي سحابة # ينقّر شاء المقلعين خريرها

-المقلعين: الذين أصابهم القلع و هو السحاب-.

و لا تسبقنّ الناس منّي بخمطة[2] # من السمّ مذرور عليها ذرورها

/أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا السّكن بن سعيد قال حدّثنا العبّاس بن هشام قال حدّثني أبو عمرو عبد اللّه بن الحارث الهذليّ من أهل المدينة قال: خرج أبو ذؤيب مع ابنه و ابن أخ له يقال له أبو عبيد[3]، حتى قدموا على عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه.

فقال[4]له: أيّ العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟قال: الإيمان/باللّه و رسوله. قال: قد فعلت، فأيّه أفضل بعده؟ قال: الجهاد في سبيل اللّه. قال: ذلك كان عليّ و إني لا أرجو جنة و لا أخاف نارا. ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين. فلما قفلوا أخذه[5]الموت؛ فأراد ابنه و ابن أخيه أن يتخلّفا عليه جميعا؛ فمنعهما صاحب الساقة[6] و قال: ليتخلّف عليه أحدكما و ليعلم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترعا، فطارت القرعة لأبي عبيد، فتخلّف عليه و مضى ابنه مع الناس. فكان أبو عبيد يحدّث قال قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عبيد، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد[7]من الشجر بسيفك ثم اجررني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ، فاغسلني و كفنّي ثم اجعلني في حفيري و انثل[8]عليّ الجرف برمحك، و ألق عليّ الغصون و الشجر، ثم اتبع الناس فإن لهم رهجة[9]تراها في الأفق إذا مشيت كأنها جهامة[10]. قال: فما أخطأ مما قال شيئا، و لو لا نعته لم أهتد لأثر الجيش. و قال و هو يجود بنفسه: أبا عبيد رفع الكتاب # و اقترب الموعد و الحساب

و عند رحلي جمل نجاب # أحمر في حاركه[11]انصباب

ثم مضيت حتى لحقت الناس. فكان يقال: إنّ أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين.

[1]أي كف و لم تأخذك مني سحابة منطق و هجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس. و رواه الأصمعيّ: «فإياك لا تأخذك... » . (راجع شرح ديوانه) .

[2]كذا في شرح ديوانه و «لسان العرب» (مادة خمط) . و الخمطة: الطرية التي أخذت طعما و لم تستحكم، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح و لم تدرك بعد. و المراد هنا اللوم و الكلام القبيح. و معنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه و هجائه. و في الأصول: «منك بحكمة» و هو تحريف.

[3]في جميع الأصول هنا: «أبو عقيل» و هو تحريف.

[4]في جميع الأصول: «فقالوا» . و التصحيح عن الأستاذ الشنقيطي في هامش نسخته؛ فإن ما في الأصول لا يلائم سياق الخبر.

[5]مر في أوّل ترجمة أبي ذؤيب ما يخالف ما هنا. (راجع ما كتبه في صفحة 266 في الحاشية رقم 2) .

[6]ساقة الجيش: مؤخرته.

[7]كذا في «تجريد الأغاني» . و عضد الشجر يعضده (بالكسر) : قطعه. و في جميع الأصول: «اعمد» و هو تحريف.

[8]نثل الركية ينثلها (من باب ضرب) : أخرج ترابها. و هذا المعنى غير مستقيم في هذا المقام. فلعل صوابه «و أهلى على الجرف...

إلخ» . و أهال عليه التراب: دفعه فانهال.

[9]الرهجة: ما أثير من الغبار.

[10]الجهامة: السحابة لا ماء فيها.

[11]الحارك: أعلى الكاهل.

21-ذكر حكم الواديّ و خبره و نسبه

نسبه و أصله و صناعته:

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. و كان أبوه حلاّقا يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. و كان حكم طويلا أحول، يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. و يكنى أبا يحيى. و قال مصعب بن عبد اللّه بن الزّبير: هو حكم بن يحيى بن ميمون، و كان أصله من الفرس، و كان جمّالا ينقل الزيت من وادي[1] القرى إلى المدينة.

غنى الوليد بن عبد الملك و عاش إلى زمن الرشيد:

و ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخا طويلا أحول أجنأ[2]يخضب بالحنّاء، و كان جمّالا يحمل الزيت من جدّة إلى المدينة، و كان واحد دهره في الحذق، و كان ينقر بالدفّ و يغنّي مرتجلا، و عمّر عمرا طويلا، غنّى الوليد بن عبد الملك، و غنّى الرشيد و مات في الشّطر من خلافته، و ذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادي. قال: و كان بوادي القرى جماعة من المغنّين فيهم عمر بن زاذان-و قيل: ابن داود بن زاذان، و هو الذي كان يسميه الوليد جامع لذّتي-و حكم بن يحيى، و سليمان، و خليد بن عتيك-و قيل: ابن عبيد-و يعقوب الوادي. و كل هؤلاء كان يصنع فيحسن.

مدح إسحاق الموصلي غناءه:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني حمّاد قال قال لي أبي:

أحذق من رأيت من المغنين أربعة: جدّك و حكم و فليح بن العوراء و سياط. قلت: و ما بلغ من حذقهم؟قال:

كانوا يصنعون فيحسنون، و يؤدّون[3]غناء غيرهم/فيحسنون. قال إسحاق: و قال لي أبي: /ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أطبع من حكم و ابن جامع، و فليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه:

و ذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدّثه عن أبيه قال حدّثني حكم الواديّ، [1]وادي القرى: واد بين الشام و المدينة و هو بين تيماء و خيبر. سمي بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة كانت منازل قضاعة ثم جهينة و عذرة و بلى، و قديما كانت منازل ثمود و عاد و بها أهلكهم اللّه تعالى.

[2]الأجنأ: الأحدب.

[3]في حـ: «و يروون» .

و أخبرني به محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ[1]عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال: أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، و هو على حمار، و عليه جبّة وشي و رداء وشي و خفّ وشي، و في يده عقد جوهر، و في كمّه شيء لا أدري ما هو. فقال: من غنّاني ما أشتهي فله ما في كمّي و ما عليّ و ما تحتي؛ فغنّوه كلّهم فلم يطرب؛ فقال لي: غنّ يا غلام، فغنّيت:

صوت

إكليلها ألوان # و وجهها فتّان

و خالها فريد # ليس له جيران

إذا مشت تثنّت # كأنها ثعبان

-الشعر لمطيع بن إياس. و الغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى. و فيه لإبراهيم رمل خفيف بالوسطى-فطرب و أخرج ما كان في كمّه، و إذا كيس فيه ألف دينار، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إليّ بالحمار و جميع ما كان عليه. و هذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مطيع بن إياس.

مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتا:

و في حكم الواديّ يقول رجل من قريش:

صوت

أبو يحيى أخو الغزل المغنّي # بصير بالثّقال و بالخفاف

على العيدان يحسن ما يغنّي # و يحسن ما يقول على الدّفاف

غنّاه حكم الواديّ هزجا بالبنصر.

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العباديّ قال حدّثني أحمد البارد قال: دخلت على حكم يوما فقال لي: يا قصافيّ[2]، إن رجلا من قريش قال فيّ هذا الشعر: أبو يحيى أخو الغزل المغنّي

و قد غنّيت فيه، فخذ العود حتى تسمعه منّي؛ فأخذت العود فضربت عليه و غنّانيه، فكنت أوّل من أخذ من حكم الواديّ هذا الصوت.

سئل عن صوت فقال ما يكون إلا لي:

قال أبو يحيى و قال إسحاق:

[1]كذا في أ، ء، م. و هو محمد بن زكريا بن دينار الغلابي. و قد مرت رواية محمد بن يحيى الصولي عنه في الأجزاء السابقة. و في سائر الأصول: «العلائي» و هو تحريف.

[2]بنو قصاف: بطن من العرب.

سمعت حكما الواديّ يغني صوتا فأعجبني، فسألته لمن هو؟فقال: و لمن يكون هذا إلاّ لي.

فغضب من شيخ قال له أحسنت:

و قال مصعب:

حدّثني شيخ أنه سمع حكما الواديّ يغنّي، فقال له: أحسنت!فألقى الدّفّ و قال للرجل: قبّحك اللّه!تراني مع المغنّين منذ ستين سنة و تقول لي أحسنت!.

قصته هو و فليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد:

و قال لي هارون حدّثني مدرك بن يزيد قال قال لي فليح:

بعث إليّ يحيى بن خالد و إلى حكم الواديّ، و ابن جامع معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الواديّ-أو قال لي-إنّ ابن جامع معنا، فعاونّي عليه لنكسره. / فلما صرنا إلى الغناء غنّى حكم، فصحت و قلت: هكذا و اللّه يكون الغناء! ثم غنّيت ففعل بي حكم مثل ذلك، و غنّى ابن جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العشيّ أرسل إلى جاريته دنانير:

إن أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟!فخرجت و خرج معها و صائف لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزه/نفسا من فليح، ثم أشار إلى غلام له: أن ائت كلّ إنسان بألفي درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمّه، و لحكم مثل ذلك فطرحها في كمّه، و دفع إليّ ألفين.

فقلت: لدنانير: قد بلغ منّي النبيذ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهم منّي و بعثت بها إليّ من الغد، و قد زادت عليها مثلها، و أرسلت إليّ: قد بعثت إليك بوديعتك و بشيء أحببت أن تفرّقه على أخواتي (تعني جواريّ) .

بلغ في الهزج مبلغا قصر عنه غيره:

قال هارون بن محمد قال حمّاد بن إسحاق قال أبي:

أربعة بلغوا في أربعة أجناس من الغناء مبلغا قصّر عنه غيرهم: معبد في الثقيل، و ابن سريج في الرّمل، و حكم في الهزج، و إبراهيم في الماخوري.

كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم ابن المهدي فوصله هو أيضا و أخذ عنه ثلاثمائة صوت:

قال هارون و حدّثني أبي قال حدّثني هبة اللّه بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

زار حكم الواديّ الرشيد، فبرّه و وصله بثلاثمائة ألف درهم، و سأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه؛ فقال:

اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ-و كان عاملا له بالشام-قال إبراهيم: فقدم عليّ حكم بكتاب الرشيد، فدفعت إليه ما كتب به و وصلته بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفا من الثلاثمائة و قلت له: لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين. فأقام عندي ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت، كلّ صوت منها أحبّ إليّ من الثلاثمائة الألف التي وهبتها له.

أهانه ابن شقران و لما عرفه اعتذر:

و أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد اللّه بن خرداذبه قال قال مصعب بن عبد اللّه:

/بينا حكم الواديّ بالمدينة إذ سمع قوما يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران!فإنها حسنة الغناء!فمضوا

إليها، و تبعهم حكم و عليه فروة[1]، فدخلوا و دخل معهم، و صاحب المنزل يظن أنه معهم و هم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل و لا يعرفونه. فغنّت الجارية أصواتا ثم غنّت صوتا ثم صوتا. فقال حكم الواديّ: أحسنت و اللّه! و صاح. فقال له ربّ البيت: يا ماصّ كذا و كذا من أمه!و ما يدريك ما الغناء!فوثب عليه يتعتعه[2]و أراد ضربه.

فقال له حكم: يا عبد اللّه، دخلت بسلام و أخرج كما دخلت، و قام ليخرج. فقال له ربّ البيت: لا أو أضربك. فقال حكم: على رسلك، أنا أعلم بالغناء منك و منها، و قال: شدّي موضع كذا و أصلحي موضع كذا، و اندفع يغنّي.

فقالت الجارية: إنه و اللّه أبو يحيى!فقال ربّ المنزل: جعلت فداك! المعذرة إلى اللّه و إليك!لم أعرفك!فقام حكم ليخرج فأبى الرجل؛ فقال: و اللّه لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

لامه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه:

و ذكر أحمد بن المكيّ عن أبيه: أنّ حكما لم يشهر بالغناء و يذهب له الصّوت[3]به حتى صار الأمر إلى بني العباس؛ فانقطع إلى محمّد بن أبي العباس أمير المؤمنين و ذلك في خلافة المنصور؛ فأعجب به و اختاره على المغنّين و أعجبته أهزاجه. و كان يقال: إنه من أهزج الناس. و يقال: إنه غنّى الأهزاج في آخر عمره، و إن ابنه لامه على ذلك، و قال له: أبعد الكبر تغنّي غناء المخنّثين!فقال له: اسكت فإنك جاهل، غنّيت الثقيل ستين سنة فلم أنل إلا القوت، و غنّيت الأهزاج منذ سنيّات فأكسبتك ما لم تر مثله قطّ.

شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء:

قال هارون بن محمد و قال يحيى بن خالد:

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحدا أجود أداء من حكم. و ليس أحد يسمع[4]غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا و هو يغيّره و يزيد فيه و ينقص إلا حكما. فقيل لحكم ذلك/فقال: إني لست أشرب، و غيري يشرب، فإذا شرب تغيّر غناؤه.

استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

كان خبر حكم الواديّ يتناهى إلى المنصور و يبلغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ، فيعجب لذلك و يستسرفه و يقول: هل هو إلا أن حسّن شعرا بصوته و طرّب مستمعيه، فما ذا يكون!و علام يعطونه هذه العطايا المسرفة!إلى أن جلس يوما في مستشرف له، و قد كان حكم دخل إلى رجل من قوّاده-أراه قال: عليّ[5]بن يقطين أو أبوه-و هو [1]الفروة و الفرو: شيء نحو الجبة يبطن من جلود بعض الحيوان كالأرانب و الثعالب و السمور.

[2]كذا في حـ. و تعتعه: تلتله و حركه بعنف. و في سائر الأصول: «يتعنفه» و هو تحريف.

[3]في ب، س: «الصيت» . و الصوت و الصيت الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و ليس أحد يسمع منه غناء... إلخ» . و الظاهر أن كلمة «منه» مقحمة.

[5]كان يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة، و طلبه مروان فهرب. و ابنه علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع و عشرين و مائة.

و هربت أم علي به و بأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة. فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين و عادت أم علي بعلي و عبيد. فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس و أبي جعفر المنصور، و كان مع ذلك يرى رأي آل أبي طالب و يقول بإمامتهم، و كذلك ولده، و كان يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد بن علي و الألطاف. و نم خبره إلى المنصور و المهدي فصرف اللّه عنه كيدهما. و توفي علي بن يقطين بمدينة السلام سنة 182 هـ و سنه 57 سنة و صلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد و توفي أبوه بعده في سنة 185 هـ (عن «فهرست ابن النديم») .

يراه؛ ثم خرج عشيّا و قد حمله على بغلة له يعرفها المنصور، و خلع عليه ثيابا يعرفها له. فلما رآه المنصور قال: من هذا؟فقيل: حكم الواديّ. فحرّك رأسه مليّا ثم قال: الآن علمت أن هذا يستحقّ ما يعطاه. قيل: و كيف ذلك يا أمير المؤمنين و أنت تنكر ما يبلغك منه؟قال: لأنّ فلانا لا يعطي شيئا من ماله باطلا و لا يضعه إلا في حقه.

اعترض المهدي في الطريق و غناه فأجازه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد[1]قال حدّثنا قعنب بن المحرز الباهليّ عن الأصمعيّ قال: رأيت حكما الواديّ حين مضى المهديّ إلى بيت المقدس[2]، و قد عارضه في الطريق و أخرج دفّه و نقر فيه و له شعيرات على رأسه و قال: أنا و اللّه يا أمير المؤمنين القائل: و متى تخرج العرو # س فقد طال حبسها

فتسرّع إليه الحرس؛ فقال: دعوه[3]، و سأل عنه فأخبر أنه حكم الواديّ؛ فوصله و أحسن إليه.

لحن حكم في هذا الشعر المذكور هزج بالبنصر. و فيه ألحان لغيره، و قد ذكرت في أخبار الوليد بن يزيد.

أطرب الهادي دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمد النّوفلي عن صالح[4]الأضجم عن حكم الواديّ قال: كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط و قلّ ترجيعه و لم يبلغ أن يستخفّ جدّا؛ فأخرج ليلة ثلاث بدر و قال: من أطربني فهي له. فغنّاه ابن جامع و إبراهيم الموصليّ و الزّبير بن دحمان فلم يصنعوا شيئا، و عرفت ما أراد فغنّيته لابن سريج:

صوت

غرّاء كالليلة المباركة الـ # قمراء تهدى أوائل الظّلم

أكني بغير اسمها و قد علم الـ # لّه خفيّات كلّ مكتتم

/كأن فاها إذا تنسّم[5]عن # طيب مشمّ و حسن مبتسم

يسنّ[6]بالضّرو[7]من براقش أو # هيلان[8]أو يانع من العتم[9]

[1]في جميع الأصول هنا: «سعيد» و هو تحريف.

[2]سيأتي هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد (ج 7 ص 31 من هذه الطبعة) . و قد ورد فيه أن المهدي كان يريد الحج.

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «دعوه دعوه» .

[4]هو صالح بن علي بن عطية الأضجم الراوي.

[5]كذا في أ، ء و نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و في سائر الأصول: «تبسم» .

[6]كذا في الجزء الخامس من «الأغاني» (ص 27 من هذه الطبعة) . و يسن (بالبناء للمجهول) : يسوّك. و في الأصول هنا: «يستن» .

[7]الضرو: شجرة الكمكام، و هو شجر طيب الريح يستاك به و يجعل ورقه في العطر، و هو المحلب. قال أبو حنيفة الدينوري: أكثر منابت الضرو باليمن و هو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا، و يطبخ ورقه فإذا نضج صفى ورد ماؤه إلى النار فيعقد، يتداوى به من خشونة الصدر و وجع الحلق. (راجع «شرح القاموس» مادة ضرى) .

[8]براقش: واد باليمن شجير و كذلك هيلان. و أكثر نبات الضر و باليمن. و قيل: براقش و هيلان مدينتان عاديتان خربتا. و يسكن براقش بنو الأوبر من بلحارث بن كعب و مراد. و سميت براقش باسم كلبة و هي التي قيل فيها: «على أهلها تجني براقش» . (راجع «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» في اسم براقش، و «شرح القاموس» و «اللسان» مادة برقش) .

[9]العتم: شجر الزيتون. و في ب، س: «العنم» (بالنون) و هو تصحيف. ـ

-الشعر في هذا الغناء للنابغة الجعديّ؛ و الصنعة لابن سريج رمل بالبنصر-فوثب عن فراشه طربا و قال: أحسنت أحسنت و اللّه!اسقوني فسقي. و وثقت بأن البدر لي، فقمت فجلست عليها. فأحسن ابن جامع المحضر و قال: أحسن و اللّه كما قال أمير المؤمنين، و إنه لمحسن مجمل. فلما سكن[1]أمر الفرّاشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلك يفعل ما فعلت في شرفك و نسبك!فإن رأيت أن تشرّفني بقبول إحداها فعلت. فقال: لا و اللّه لا فعلت، و اللّه لوددت أنّ اللّه زادك، و أسأل اللّه أن يهنّيك ما رزقك. و لحقني الموصليّ فقال: آخذ يا حكم من هذا؟ فقلت: لا و اللّه و لا درهما واحدا لأنك لم تحسن المحضر.

موته و شعر الدارمي فيه:

و مات حكم الواديّ/من قرحة أصابته في صدره. فقال الدارميّ فيه قبل وفاته:

صوت

إنّ أبا يحيى اشتكى علّة # أصبح منها بين عوّاد

فقلت و القلب به موجع # يا ربّ عاف الحكم الوادي

/فربّ بيض قادة سادة # كأنصل سلّت من اغماد

نادمهم في مجلس لاهيا # فأصمت المنشد و الشادي

غنّى فيه حكم الواديّ هزجا بالبنصر.

صوت من المائة المختارة

أ معارف الدّمن القفار توهّم # و لقد مضى حول لهنّ مجرّم[2]

و لقد وقفت على الديار لعلّها[3] # بجواب رجع تحيّة تتكلّم

عن علم ما فعل الخليط، فما درت # أنّى توجّه بالخليط الموسم

و لقد عهدت بها سعاد و إنها # باللّه جاهدة اليمين لتقسم

إني لأوجه من تكلّم عندها # بأليّة و مخالف من يزعم

فلها لدينا بالذي بذلت لنا # ودّ يطول له العناء و يعظم

عروضه من الكامل. الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان. و الغناء لابن جامع. له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و لإبراهيم في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل

مطلق في مجرى الوسطى. و لإسحاق و سياط فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

[1]في حـ: «سكر» .

[2]مجرم: منقطع و منصرم.

[3]في حـ: «كأنها» .

22-ذكر ابن جامع و خبره و نسبه

نسبه:

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد اللّه بن المطّلب بن أبي[1]وداعة بن ضبيرة[2][بن سعيد][3]بن سعد بن سهم[بن عمرو][3]بن هصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب.

ضبيرة السهمي جدّ ابن جامع و شيء من أخباره:

أخبرني الطّوسيّ عن الزّبير بن بكّار عن عمّه مصعب، و أخبرنا محمد بن جرير الطّبريّ قال حدّثنا محمد بن حميد عن سلمة عن ابن[4]إسحاق قالا جميعا:

مات ضبيرة السّهميّ و له مائة سنة و لم يظهر في رأسه و لا لحيته شيب. فقال بعض شعراء قريش يرثيه:

حجّاج بيت اللّه إنّ # ضبيرة السّهميّ ماتا

سبقت منيّته المشيـ # ـب و كان ميتته افتلاتا

فتزوّدوا لا تهلكوا # من دون أهلكم خفاتا[5]

/قال: و أسر أبو وداعة كافرا يوم بدر ففداه ابنه المطّلب، و كان المطّلب رجل صدق. و قد روى عن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم الحديث.

كنية ابن جامع و شيء من أخبار أمه:

و يكنى ابن جامع أبا القاسم. و أمه امرأة من بني سهم، و تزوّجت بعد أبيه رجلا من أهل اليمن. فذكر [1]اسم أبي وداعة: الحارث. و يحكي عن أسره يوم بدر كما سيذكره المؤلف أن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم قال: تمسكوا به فإن له ابنا كيسا بمكة» فخرج المطلب بن أبي وداعة سرا حتى فدى أباه بأربعة آلاف درهم. و هو أول أسير فدى من بدر، و لامته قريش في بداره و دفعه الفداء، فقال: ما كنت لأدع أبي أسيرا. فسار الناس بعده إلى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم ففدوا أسراهم.

[2]كذا في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج 5 ص 334) و «السيرة لابن هشام» (ج 1 ص 514) و «شرح القاموس» مادة ضبر بالضاد المعجمة. و في جميع الأصول: «صبيرة» بالصاد المهملة و هو تصحيف.

[3]زيادة عن «الطبقات» و «المشتبه» (ص 265) و «أسد الغابة» (ج 4 ص 374) و «الاستيعاب» (ج 1 ص 268) و «السيرة» لابن هشام.

[4]في أكثر الأصول: «عن سلمة بن أبي إسحاق» . و في حـ: «عن سلمة عن أبي إسحاق» . و كلاهما محرف عما أثبتناه. إذ المعروف أن سلمة

بن الفضل الأبرش يروي عن محمد بن إسحاق بن يسار. و عن سلمة هذا يروي محمد بن حميد الرازي. و قد تقدّم هذا السند في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة.

[5]خفت الرجل خفاتا: مات فجأة.

هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن/حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عون حاجب[1]معن بن زائدة قال: رأيت أمّ ابن جامع و ابن جامع معها عند معن بن زائدة و هو ضعيف يتبعها و يطأ ذيلها و كانت من قريش، و معن يومئذ على اليمن. فقالت: أصلح اللّه الأمير، إنّ عمّي زوّجني زوجا ليس بكفء ففرّق بيني و بينه. قال: من هو؟ قالت: ابن ذي مناجب. قال: عليّ به. قال: فدخل أقبح من خلق اللّه و أشوهه خلقا. قال: من هذه منك؟قال: امرأتي. قال: خلّ سبيلها، ففعل. فأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال: لعمري لقد أصبحت غير محبّب # و لا حسن في عينها ذا مناجب

فما لمتها لمّا تبيّنت وجهه # و عينا له حوصاء من تحت حاجب

و أنفا كأنف البكر يقطر دائبا # على لحيّة عصلاء[2]شابت و شارب

أتيت بها مثل المهاة تسوقها[3] # فيا حسن مجلوب و يا قبح جالب

و أمر لها بمائتي دينار و قال لها: تجهزي بها إلى بلادك.

سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلي:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حمّاد عن أبيه: أن الرشيد سأل ابن جامع يوما عن نسبه و قال له: أيّ بني الإنس ولدك يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، و لكن سل ابن أخي (يعني إسحاق) -و كان يماظّ[4]/إبراهيم الموصليّ و يميل إلى ابنه إسحاق-قال إسحاق: ثم التفت إليّ ابن جامع فقال: أخبره يا ابن أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قبّحك اللّه شيخا من قريش!تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك و هو رجل من العجم!.

شيء من ورعه و تقواه:

قال هارون حدّثني عبد اللّه بن عمرو قال حدّثني أبو هشام[5]محمد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمد بن عبد اللّه بن أبي فروة بن أبي قراد المخزوميّ قال: كان ابن جامع من أحفظ خلق اللّه لكتاب اللّه و أعلمه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّي الصبح ثم يصفّ قدميه حتى تطلع الشمس، و لا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله.

وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد و لم يعرفه:

قال هارون و حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني صالح بن عليّ بن عطيّة و غيره من رجال أهل العسكر قالوا: [1]كذا في أكثر الأصول. و

في ب، س: «صاحب» .

[2]عصلاء: معوجة.

[3]في تجريد الأغاني: «تسومها» .

[4]ماظظت فلانا: شاورته و نازعته.

[5]في أ، ء، م: «أبو هاشم محمد بن عبد اللّه المخزومي» .

قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد، و كان ابن جامع حسن السّمت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته، و كان يعتمّ بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، و يلبس لباس الفقهاء، و يركب حمارا مرّيسيّا[1]في زيّ أهل الحجاز. فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم، أقبل[2]أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه و يحادثه، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته و حلاوة هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له: أمتع اللّه بك، توسّمت/فيك الحجازيّة و القرشيّة؛ قال: أصبت. قال: فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من بني سهم. قال: فأيّ الحرمين منزلك؟قال: مكة. قال: و من لقيت من فقهائهم؟قال: سل عمن شئت. ففاتحه الفقه و الحديث فوجد عنده ما أحبّ فأعجب به. و نظر الناس إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغنّي، و أبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه!ثم قالوا: /لا، لعلّه لا يعود إلى مواقفته[3]بعد اليوم، فلم نغمّه. فلما كان الإذن الثاني ليحيى غدا عليه الناس و غدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابن جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلا كما فعل في المرّة الأولى. فلما انصرف قال له بعض أصحابه: أيها القاضي، أ تعرف هذا الذي تواقف و تحادث؟قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المغنيّ؛ قال: إنا للّه!. قالوا: إن الناس قد شهروك بمواقفته و أنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف و نظر إليه فتنكّبه، و عرف ابن جامع أنه قد أنذر به، فجاء فوقف فسلّم عليه، فردّ السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، و عرف الناس القصة، و كان ابن جامع جهيرا فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟أيّ شيء أنكرت؟قالوا لك: إني ابن جامع المغنيّ فكرهت مواقفتي لك!أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت؛ و مال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابيّا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء و غلظة من لسانه و قال:

يا دارمية بالعلياء فالسّند # أقوت و طال عليها سالف الأبد

/أ كنت ترى بذلك بأسا؟قال: لا، قد روي عن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم في الشعر قول، و روى في الحديث. قال ابن جامع: فإن قلت أنا هكذا، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زدت فيه أو نقصت منه؟قال: عافاك اللّه، أعفنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف، أنت

صاحب فتيا، ما زدته على أن حسّنته بألفاظي فحسن في السماع و وصل إلى القلب. ثم تنحّى عنه ابن جامع.

سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالا فأجيب:

قال: و حدّثني عبد اللّه بن شبيب قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة، و مرّ به ابن جامع يسحب الخزّ، فقال لبعض أصحابه:

بلغني أنّ هذا القرشيّ أصاب مالا من بعض الخلفاء، فبأيّ شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعض ذلك؟فأنشد بعض أصحابه ما يغنّي فيه:

[1]مريسي: نسبة إلى مريسة (كسكينة، كما في «القاموس» و شرحه مادة مرس و ضبطها صاحب «معجم البلدان» بفتح الميم) : قرية بمصر من ناحية الصعيد إليها تنسب الحمر المريسية و هي من أجود الحمر و أمشاها.

[2]في جميع الأصول: «فأقبل» .

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «مرافقته» .

و أصحب بالليل أهل الطّواف # و أرفع من مئزري المسبل

قال: أحسن، هيه!قال:

و أسجد بالليل حتى الصباح # و أتلو من المحكم المنزل

قال: أحسن، هيه!قال:

عسى فارج الكرب عن يوسف # يسخّر لي ربّة المحمل

قال: أمّا هذا فدعه.

كان يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن:

و حدّثني محمد بن الحسن العتّابيّ قال حدّثني جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثني طيّب بن عبد الرحمن قال:

كان ابن جامع يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن.

اشتغاله بالقمار و حب الكلاب:

و حدّث محمد[1]بن الحسن قال حدّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد[2]بن سلم عن أخيه أبي[3] معاوية بن عبد الرحمن قال:

قال لي ابن جامع: لو لا أن القمار و حبّ الكلاب قد شغلاني لتركت المغنّين لا يأكلون الخبز.

دعا كلبا أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز/عن ابن خرداذبه قال:

أهدى رجل إلى ابن جامع كلبا فقال: ما اسمه؟فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

ألقى على ابنه هشام صوتا سمعه من الجن:

قال هارون بن محمد حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال حدّثتني حولاء مولاة ابن جامع قالت:

انتبه مولاي يوما من قائلته فقال: عليّ بهشام (يعني ابنه) ادعوه لي عجّلوه، فجاء مسرعا. فقال: أي بنيّ، خذ العود، فإنّ رجلا من الجن ألقى عليّ في قائلتي صوتا فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود و تغنّى ابن جامع عليه رملا لم أسمع له رملا أحسن منه، و هو:

[1]كذا في جميع الأصول. و قد تقدم في الجزء الخامس (ص 385) من هذه الطبعة أن الذي يروي عن أبي حارثة هذا هو «محمد بن الحسين الكاتب» .

[2]في جميع الأصول: «سعد» و هو تحريف.

[3]في أكثر الأصول: «عن أخيه عن أبي معاوية» . و في حـ: «عن أخيه عن ابن معاوية» و كلاهما تحريف. و قد مرت رواية أبي حارثة هذا عن أخيه أبي معاوية في الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص 385) .

صوت

أمست رسوم الديار غيّرها # هوج الرّياح الزّعازع العصف

و كلّ حنّانة لها زجل # مثل حنين الرّوائم الشّغف

/فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه و ينسبه إلى الجن. و في هذا الصوت للهذليّ لحن من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. و فيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، و قيل: إن هذا اللحن لعبادل. و فيه لابن جامع الرمل المذكور.

أخذ ببيتين غنى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار:

قال هارون و حدّثني أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدّثني محمد[1]بن موسى بن فليح الخزاعيّ قال حدّثنا أبو محمد عبد اللّه بن محمد المكّيّ قال: قال لي ابن جامع: أخذت من هارون ببيتين غنّيته بهما عشرة آلاف دينار:

صوت

لا بدّ للعاشق من وقفة # تكون[2]بين الوصل و الصّرم

يعتب أحيانا و في عتبه # إظهار[3]ما يخفي من السّقم

إشفاقه داع إلى ظنّه # و ظنّه داع إلى الظلم

حتى إذا ما مصّه هجره[4] # راجع من يهوى على رغم

-هكذا روّيته[5]. الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى. و ذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسليم. و فيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى-قال: ثم قال لي ابن جامع: فمتى تصيب أنت بالمروءة شيئا!

صادفه جماعة من القرشين بفخ و هو يغني:

و قال هارون حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب بن عبد اللّه قال: خرج ابن أبي عمرو الغفاريّ و عبد الرحمن بن أبي قباحة و غيرهما من القرشيّين عمّارا[6]يريدون مكة؛ فلما كانوا بفخّ[7]نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال[8]: فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوت غناء، فقلنا: لو [1]كذا في أكثر الأصول. و الظاهر أن محمد بن موسى هذا ابن أخ لمحمد بن فليح الراوي المعروف الذي مر ذكره في الأجزاء السابقة.

فقد ذكر في «التهذيب» في ترجمة محمد بن فليح أن له أخا يسمى موسى إلا أنه لم يذكر هناك من أولاده غير عمران. و في ب، س: «محمد

بن عيسى بن فليح... إلخ» .

[2]في ديوان العباس بن الأحنف: «يكون» .

[3]في ديوانه:

«يهيج ما يخفى...

إلخ» .

[4]في ديوانه: «شوقه» .

[5]هذه العبارة ساقطة في حـ.

[6]عمارا: زوّارا، من العمرة و هي الطواف بالبيت و السعي بين الصفا و المروة. و العمرة تكون في السنة كلها. و الحج في وقت معين من السنة.

[7]فخ (بفتح أوله و تشديد ثانيه) : واد مكة.

[8]ظاهر السياق أن القائل هو أحد هؤلاء الذين خرجوا عمارا، غير أنه لم يعين في الأصول.

ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم!فأتيناهم، فإذا ابن جامع و أصحاب له يغنّون و عندهم فضيخ[1]لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدّموا يا فتيان، فتقدّم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم و كان رأسهم، فجلسنا نشرب؛ و طرب ابن أبي قباحة فغنّى. فقال ابن جامع: وا بأبي و أمي!ابن أبي قباحة و إلا فهو ابن الفاعلة. فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هميانا[2]فيه ثلاثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهرا ما نبرح و نحن على إحرامنا ذلك.

غنت جاريته الحولاء صوتا له في جارية سوداء يحبها:

قال هارون بن/محمد بن عبد الملك حدّثني عليّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النّوفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال: -و كانت تتبنّاني-فتغنّت يوما و طربت و قالت: يا بنيّ، أ لا أغنّيك هزجا لسيّدي في عشيقة له سوداء؟قلت: بلى. فتغنّت هزجا ما سمعت أحسن منه، و هو:

صوت

أشبهك المسك و أشبهته # قائمة في لونه قاعدة

لا شكّ إذ لو نكما واحد # أنّكما من طينة واحده

/و قد روي هذا الشعر لأبي حفص[3]الشّطرنجيّ يقوله في دنانير[4]مولاة البرامكة. و نسب هذا الهزج إلى إبراهيم و ابن جامع و غيرهما.

شبهه برصوما الزامر بزق عسل:

قال عبد اللّه بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزّهريّ قال حدّثني محمد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام-و كان يلقّب الأبله-قال: قال برصوما الزّامر، و ذكر إبراهيم الموصليّ و ابن جامع، فقال:

الموصليّ بستان تجد فيه الحلو و الحامض و طريّا لم ينضج، فتأكل منه من ذا و ذا. و ابن جامع زقّ عسل، إن فتحت فمه خرج عسل حلو، و إن خرقت جنبه خرج عسل حلو، و إن فتحت يده خرج عسل حلو، كلّه جيّد.

غنى عند الرشيد و هو سكران فأخطأ:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه و حمّاد عن إبراهيم[5]بن المهديّ-و كان إبراهيم يفضّل ابن جامع و لا يقدّم عليه أحدا، و ابن جامع يميل إليه-قال:

كنّا في مجلس الرشيد و قد غلب على ابن جامع النبيذ، فغنّى صوتا فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إليّ إبراهيم [1]الفضيخ: عصير العنب، و شراب يتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .

[2]الهميان (بالكسر) : كيس تجعل فيه النفقة و يشدّ على الوسط.

[3]هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس. و كان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، و كان اسمه اسما أعجميا، فلما نشأ أبو حفص و تأدب، غيره و سماه عبد العزيز. و كان أبو حفص لاعبا بالشطرنج مشغوفا به، فلقب به لغلبته عليه. (انظر ترجمته ج 19 ص 69 من «الأغاني» طبع بولاق) .

[4]دنانير: مولاة يحيى بن خالد البرمكي. كانت صفراء مولدة و كانت من أحسن الناس وجها و أظرفهن و أكملهن و أحسنهن أدبا و أكثرهن رواية للغناء و الشعر. و لها كتاب مجرّد في «الأغاني» مشهور. (انظر ترجمتها ج 16 ص 136 من «الأغاني» طبع بولاق) .

[5]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: «حماد بن إبراهيم بن المهدي... إلخ» و لم نعرف أن إبراهيم بن المهدي أعقب ولدا اسمه إبراهيم أو حماد. و قد ورد هذا السند في الجزء الخامس (ص 173 من هذه الطبعة) مختلفا عما هنا و هو: «أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طياب بن إبراهيم الموصلي قال... إلخ) .

الموصليّ فقال: قد خري فيه؛ و فهمت صدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعد الصوت و تحفّظ فيه؛ فانتبه و أعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

/

أعلّمه الرّماية كلّ يوم # فلمّا استدّ ساعده رماني

و تنكّر لي لميلي مع ابن جامع عليه. فقلت للرّشيد بعد أيام: إن لي حاجة إليك. قال: و ما هي؟قلت: تسأل إبراهيم الموصليّ أن يرضى عنّي و يعود إلى ما كان عليه. فقال: إنما هو عبدك، و قال له: قم إليه فقبّل رأسه.

فقلت[1]: لا ينفعني رضاه في الظاهر دون الباطن، فسله أن يصحّح الرّضا. فقام إليّ ليقبّل رأسي كما أمر، فقال لي و قد أكبّ عليّ ليقبّل رأسي: أ تعود؟قلت لا. قال: قد رضيت عنك رضا صحيحا. و عاد إلى ما كان عليه.

غنى بعد إبراهيم الموصلي عند الرشيد فأجاد:

و قال حمّاد عن أبي يحيى العباديّ قال: قدم[2]حوراء غلام حمّاد الشّعراني و كان أحد المغنّين المجيدين قال حدّثني بعض أصحابنا قال:

كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين: من فيكم يعرف.

و كعبة نجران[3]حتم عليـ # ك حتى تناخي بأبوابها؟

-الشعر للأعشى-فبدرهم إبراهيم الموصليّ فقال: أنا أغنيه، و غنّاه فجاء بشيء عجيب. فغضب ابن جامع و قال لزلزل: دع العود، أنا من جحاش/و جرة[4]لا أحتاج إلى بيطار؛ ثم غنّى الصوت؛ فصاح إليه مسرور[5]:

أحسنت يا أبا القاسم!ثلاث مرات.

نسبة هذا الصوت

صوت

/

و كعبة نجران حتم عليـ # ك حتى تناخي بأبوابها

نزور[6]يزيد و عبد المسيح # و قيسا هم[7]خير أربابها

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فقال» .

[2]كذا في جميع الأصول. و لعلها محرفة عن «قال» .

[3]نجران: موضع في مخاليف اليمن من ناحية مكة. قالوا: سمي بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أوّل من عمرها. و كعبة نجران هذه يقال: إنها بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة و عظموها مضاهاة للكعبة و سموها كعبة نجران. و ذكر هشام بن الكلب أنها كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. و كان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران. (عن «معجم البلدان» لياقوت) . و قد أورد أبو الفرج قصة هذا الشعر في خبر أساقفة نجران مع النبي صلى اللّه عليه و سلم (ج 10 ص 143 طبع بولاق) .

[4]قال الأصمعي: و جرة-و فيها أقوال أخرى-بين مكة و البصرة بينها و بين البصرة نحو أربعين ميلا ليس فيها منزل، فهي مرب للوحش. يريد أنه يجري على الطبيعة و الفطرة لا يحتاج إلى معين من الصناعات الآلية كسائر المغنين الحضريين.

[5]هو أبو هاشم خادم الرشيد، و كان أوثق رجاله عنده و قد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكي. (انظر «الطبري» قسم 3 ص 679 و 682) .

[6]كذا في «مسالك الأبصار» (ج 1 ص 359) و «الأغاني» (ج 10 ص 143 طبع بولاق) و «معجم البلدان» (ج 4 ص 756 طبع أوروبا) . و في جميع الأصول هنا: «تزور» (بالتاء المثناة الفوقية) .

[7]في «مسالك الأبصار» (ص 359) :

«... و هم... إلخ... »

.

و شاهدنا الجلّ[1]و الياسميـ # ن و المسمعات بقصّابها[2]

و بربطنا[3]دائم معمل # فأيّ الثلاثة أزرى بها

تنازعني إذ خلت بردها # معطّرة غير جلبابها

فلما التقينا على آلة # و مدّت إليّ بأسبابها

/الشّعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. و هؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران، و كان يزورهم و يمدحهم، و يمدح العاقب و السيّد، و هما ملكا نجران، و يقيم عندهما ما شاء، يسقونه الخمر و يسمعونه الغناء الرّوميّ، فإذا انصرف أجزلوا صلته.

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمه عبيد اللّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ، و له أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء اللّه. و الغناء لحنين الحيريّ خفيف ثقيل[4]بالوسطى في مجراها عن إسحاق في الأربعة الأول. و ذكر عمرو أنه لابن محرز. و ذكر يونس أن فيها لحنا لمالك و لم يجنّسه. و ذكر الهشاميّ أن في الخامس و السادس ثم الأوّل و الثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكيّ.

استحضره الفضل بن الربيع لما ولى الهادي:

و قال حمّاد عن مصعب بن عبد اللّه قال حدّثني الطّراز و كان بريد الفضل بن الرّبيع قال: لما مات المهدي و ملّك موسى الهادي أعطاني الفضل دنانير و قال: الحق بمكة فأتني بابن جامع و احمله في قبّة و لا تعلمنّ بذا[5]أحدا؛ ففعلت فأنزلته عندي و اشتريت له جارية، و كان ابن جامع صاحب نساء. فذكره موسى ذات ليلة-و كان هو و الحرّاني[6]منقطعين إلى موسى أيام المهديّ فضربهما المهديّ و طردهما- فقال لجلسائه: أ ما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع و قد علمتم موقعه منّي! فقال له الفضل بن الربيع: هو و اللّه عندي يا أمير المؤمنين و قد فعلت الذي أردت. و بعث إليه فأتي به في الليل. فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار و ولاّه حجابته.

غنى هو و إبراهيم الموصلي الرشيد بشعر السعدي فمدحه و ذم الموصلي:

قال إسحاق عن بعض أصحابه:

[1]الجل (بالضم و يفتح) : الورد أبيضه و أحمره و أصفره، واحده جلة.

[2]ورد هذا البيت في «اللسان» و «الصحاح» (مادة قصب) . و قيل في «اللسان» : «... و القصابة: المزمار و الجمع القصاب. قال الأعشى (و ذكر هذا البيت. ثم قال) و قال الأصمعي: أراد الأعشى بالقصاب الأوتار التي سويت من الأمعاء» . و عبارة الصحاح: «... و القصب بالضم: المعى... و الجمع أقصاب قال الأعشى:

و شاهدنا الجل و الياسمـ # ن و المسمعات بأقصابها

أي بأوتارها و هي تتخذ من الأمعاء. و يروى بقصابها و هي المزامير» .

[3]البربط (كجعفر) : العود. و الكلمة فارسية معربة قيل شبه بصدر البط، و بر: الصدر. و رواية هذا الشطر في «مسالك الأبصار» : «و بربطنا معمل دائب» .

[4]كلمة «ثقيل» ساقطة في حـ.

[5]في حـ: «به» .

[6]هو إبراهيم الحرّاني. كان من ندماء الهادي، و قيما على خزائن الأموال في أيامه. (انظر «التاج» للجاحظ ص 36 طبع المطبعة الأميرية ببولاق) . و سيذكر بعد قليل في خبر عن مصعب أيضا أن الذي كان منقطعا إلى موسى الهادي مع ابن جامع و ناله معه ضرب المهدي و طرده هو إبراهيم الموصليّ. ـ

كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوما فقال الغلام الذي على الستارة: يا ابن جامع، تغنّ ببيت السّعديّ[1]: فلو سألت سراة الحيّ سلمى # على أن قد تلوّن بي زماني

لخبّرها ذو و الأحساب عنّي # و أعدائي فكلّ قد بلاني

بذبّي الذمّ عن حسبي بمالي[2] # و زبّونات أشوس تيّحان[3]

و أني لا أزال أخا حروب # إذا لم أجن كنت مجنّ جاني

قال: فحرّك ابن جامع رأسه-و كان إذا اقترح عليه الخليفة شيئا قد أحسنه و أكمله طار فرحا-فغنّى به؛ فاربدّ وجه إبراهيم لمّا سمعه منه، و كذا كان ابن جامع أيضا يفعل؛ فقال له صاحب الستارة: أحسنت و اللّه يا أميري! أعد فأعاد؛ فقال: أنت في حلبة لا يلحقك أحد فيها أبدا. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغنّ بهذا الشعر فتغنّى؛ فلما فرغ قال: «مرعى و لا كالسّعدان» [4]!أخطأت[5]في موضع كذا/و في موضع كذا. فقال: نفي إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين/أخطأ حرفا، و قد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين.

قال إبراهيم: فلما انصرفنا قلت لابن جامع: و اللّه ما أعلم أنّ أحدا بقي[6]في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين. قال: حقّ و اللّه، لهو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه.

صوت كان إذا غناه في مجلس لم يتغن بغيره:

قال إسحاق:

كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر:

صوت

من كان يبكي لما بي # من طول سقم رسيس[7]

[1]هو سوّار بن المضرب السعدي.

[2]كذا ورد هذا الشطر في الأصول. و روايته في «لسان العرب» مادة (تيح) : «بذبي اليوم... »

. و في مادة (زبن) :

«بذبي الذم عن أحساب قومي»

.

[3]كذا في س و «لسان العرب» و «الصحاح» (مادتي زبن و تيح) . و قد صححها كذلك المرحوم الشيخ الشنقيطي بقلمه على هامش نسخته. و زبونات: جمع زبونة و هي الكبر. يقال: رجل فيه زبونة أي كبر، و ذو زبونة أي مانع جانبه. و يقال: الزبونة من الرجال: المانع لما وراء ظهره. و قال ابن بري: زبونات: دفوعات، واحدها زبونة، يعني بذلك أحسابه و مفاخره أي أنها تدفع غيرها.

و الأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه من الكبر. و التيحان (بكسر الياء المشددة و فتحها) : الذي يتعرض لكل مكرمة و أمر شديد. و في سائر الأصول: «و دبوسات أشوس... »

.

[4]قال أبو حنيفة الدينوري: من الأحرار السعدان و هي غبراء اللون حلوة يأكلها كل شيء و ليست بكبيرة و لها إذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم. و منبته سهول الأرض، و هو من أنجع المراعي في المال، و لا تحسن على نبت حسنها عليه. قال النابغة: الواهب المائة الأبكار زينها # سعدان توضح في أوبارها اللبد

و هذا مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه و أشكاله. (راجع «مجمع الأمثال» ج 2 ص 191 و «اللسان» مادة سعد) .

[5]في ب، س: «لم أخطأت» .

[6]في حـ: «يغني» .

[7]الرسيس: الثابت الذي قد لزم مكانه. و يقال: رس السقم في جسمه و قلبه رسيسا إذا دخل و ثبت.

فالآن من قبل موتي # لا عطر بعد عروس[1]

/بنيتم في فؤادي # أوكار طير النّحوس

قلبي فريس المنايا # يا ويحه من فريس

سئل عن تفضيله برصوما فأجاب:

-الشعر لرجل من قريش، و الغناء لابن جامع في طريقة الرمل-لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره. و كان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يزمر عليه برصوما. فلما كثر ذلك سألوه فيه فقال: لا و اللّه[2]، و لكنه إذا ابتدأت فغنّيت في الشعر عرف الغرض الذي يصلح فما يجاوزه، و كنت معه في راحة؛ و ذلك أن المغنّي إذا تغنّى بزمر زامر فأكثر العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زمر برصوما فأنا في راحة و هو في تعب، و إذا زمر عليّ غيره فهو في راحة و أنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما و منصور زلزل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

هم المهدي بضربه لاتصاله بالهادي:

قال و حدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مصعب بن عبد اللّه يقول: بلغ المهديّ أنّ ابن جامع و الموصليّ يأتيان موسى[3]، فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضربا مبرّحا، و قال له ابن جامع: ارحم أمّي! فرقّ له و قال له: قبّحك اللّه!رجل من قريش يغنّي!و طرده. فلما قام[4] موسى، وجّه الفضل خلفه بريدا حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار:

قال و حدّثني الزبير بن بكّار قال قال لي فلفلة[5]: تمنّى يوما موسى أمير المؤمنين ابن جامع، فدفع إليّ الفضل بن الربيع خمسمائة دينار و قال: امض حتى تحمل ابن جامع، و بعث إليه بما يصلحه، فمضيت فحملته. فلما دخلنا أدخله الفضل الحمّام و أصلح من شأنه.

و دخل على موسى فغنّاه فلم/يعجبه. فلمّا خرج قال له الفضل: تركت الخفيف و غنيت الثقيل، قال: فأدخلني عليه أخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيف؛ فقال: حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار.

[1]هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبد اللّه العذرية، و كان اسم زوجها عروس، و مات عنها، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دمم.

فلما أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لي فرثيت ابن عمي؛ فقال: افعلي؛ فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلبا في أهله و أسدا عند الناس؛ مع أشياء ليس يعلمها الناس. فقال: و ما تلك الأشياء؟فقالت: كان عن الهمة غير نعاس، و يعمل السيف صبيحات الباس. ثم قالت: يا عروس الأغر الأزهر، الطيب الحيم الكريم المحضر، مع أشياء له لا تذكر. فقال: و ما تلك الأشياء؟ قالت: كان عيوفا للخنى و المنكر، طيب النكهة غير أبخر، أيسر غير أعسر. فعرف أنها تعرض به. فلما رحل بها قال: ضمي إليك عطرك، و قد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة، فقالت: لا عطر بعد عروس. و قيل: إن رجلا تزوّج امرأة فأهديت إليه فوجدها ثفلة فقال: أين عطرك؟فقالت: خبأته؛ فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس. و هذا المثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس. (انظر «شرح القاموس» مادة عرس و «مجمع الأمثال» للميداني ج 2 ص 137 طبع بولاق) .

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «لا و أبيه» .

[3]هو موسى الهادي بن المهدي تولى الخلافة سنة 169 هـ و توفي سنة 170 و كانت خلافته سنة و شهرين.

[4]يريد: صار خليفة.

[5]كذا في ب، س. و في سائر النسخ: «قليلة» .

غنى عند الرشيد بين برصوما و زلزل بعد إبراهيم الموصلي فأجاد:

قال و حدّثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العباديّ قال حدّثني ابن أبي الرجال قال حدّثني زلزل قال:

أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد، فأمر مسرورا الخادم يسأل عنه-و كان أمير المؤمنين قد صيّر أمر المغنّين إليه-فقيل له: لم يأت بعد. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني و بين برصوما، فغنّى صوتا له فأطربه و أطرب و اللّه كلّ من كان في المجلس. قال: فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني و بين برصوما ثم قال: أما و اللّه يا نبطيّ ما أحسن إبراهيم و ما أحسن غيركما. قال: ثم غنّى فنسينا أنفسنا، و اللّه لكأنّ العود كان في يده.

شهد له إبراهيم الموصلي بجودة الإيقاع:

قال و حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نهيك قال:

دعا أبي الرشيد يوما، فأتاه و معه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، و أتاهما ابن جامع فغنّاهما يومهما. فلما كان الغد انصرف الرشيد و أقام/ جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفرا عن يومهم؛ فأخبره و قال له:

لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع-و هو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصليّ-قال:

فقال له إبراهيم: أ تريد أن تطيّب نفسي بما لا تطيب به!لا و اللّه، ما ضرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!.

احتال في عزل العثماني عن مكة أيام الرشيد:

قال و حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني أبي قال:

كان سبب عزل العثمانيّ[1]أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة/بالدّيوك و الكلاب و لا يحدّ في النبيذ، فأذن له و كتب له بذلك كتابا إلى العثمانيّ. فلما وصل الكتاب قال: كذبت!أمير المؤمنين لا يحلّ ما حرّم اللّه، و هذا كتاب مزوّر. و اللّه لئن ثقفتك[2]على حال من هذه الأحوال لأؤدّبنّك أدبك. قال: فحذره ابن جامع.

و وقع بين العثماني و حماد اليزيديّ، و هو على البريد، ما يقع بين[3]العمال. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أعنّي عليه حتى أعزله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت و قل: إنه ظالم فاجر و استشهدني. فقال له ابن جامع:

هذا لا يقبل في العثمانيّ، و يفهم أمير المؤمنين كذبنا، و لكني أحتال من جهة ألطف من هذه. قال: فسأله هارون ابتداء فقال له: يا ابن جامع، كيف أميركم العثماني؟قال: خير أمير و أعدله و أفضله و أقومه بحقّ لو لا ضعف في عقله. قال: و ما ضعفه؟قال: قد أفنى الكلاب. قال: و ما دعاه إلى إفنائها؟قال: زعم أن كلبا دنا من عثمان بن عفّان يوم ألقى على الكناس فأكل وجهه، فغضب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه!فكان سبب عزله.

[1]هو محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان. (انظر كتاب «المنتقى في أخبار أم القرى» ج 2 ص 186 و «الطبري» ق 3 ص 74) .

[2]ثقفتك: صادفتك.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «مع العمال» .

أخبره إبراهيم بن المهدي بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه:

قال هارون بن محمد و حدّثني الحسن بن محمد الغياثيّ[1]قال حدّثني أبي عن القطرانيّ قال: كان ابن جامع بارّا بوالدته، و كانت مقيمة بالمدينة و بمكة. فدعاه إبراهيم بن المهديّ و أظهر له كتابا إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته. قال: فجزع لذلك جزعا شديدا، و جعل أصحابه يعزّونه و يؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم و شرب، و سألوه الغناء فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك؛ فاندفع يغنّي:

صوت

كم بالدّروب و أرض الروم من قدم # و من جماجم صرعى ما بها قبروا[2]

بقندهار[3]و من تقدر منيّته # بقندهار يرجّم دونه الخبر

-الشعر ليزيد[4]بن مفرّغ الحميريّ. و الغناء لابن جامع رمل. و فيه لابن سريج خفيف رمل جميعا عن الهشاميّ-قال: و جعل إبراهيم يستردّه حتى صلح[5]له. ثم قال: لا و اللّه ما كان ممّا خبّرناك شيء إنما مزحنا بك.

قال: ثم قال له: ردّ الصوت؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن على، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل. فقال له ابن جامع: أحبّ أن تطرحه أنت على كذا.

هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه و غناه فأحجب به:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الحسن الشّيبانيّ عن أحمد بن يحيى المكيّ قال: كان أبي بين يدي الرشيد و ابن جامع معه يغنّي بين يدي الرشيد. فغنّاه: خليفة لا يخيب سائله # عليه تاج الوقار معتدل[6]

/قال: و غنّى من يتلوه، و هوّم ابن[7]جامع سكرا و نعاسا. فلما دار الغناء على أصحابه و صارت النوبة إليه، حرّكه من بجنبه لنوبته فانتبه و هو يغنّي: [1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «العتابي» .

[2]كذا في أكثر الأصول هنا و «نهاية الأرب» (ج 4 ص 324 طبع دار الكتب المصرية) . و جميع الأصول فيما يأتي. و في ب، س هنا: «ما هم قبروا» . و رواية هذا البيت في «معجم البلدان» في الكلام على قندهار: كم بالجروم و أرض الهند من قدم # و من سرابيل قتلى ليتهم قبروا

و القدم: الشجاع. يستوي فيه المذكر و المؤنث و المفرد و الجمع. و جماجم القوم: ساداتهم و رؤساؤهم.

[3]قندهار: مدينة كبيرة بالقرب من كابل، عاصمة أفغانستان الآن.

[4]هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (كمحدث) الحميري، و قيل: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ. و كان حليفا لآل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، و هو عم السيد الحميري. و يقال: إن جده راهن على أن يشرب سقاء لبن كله فشربه حتى فرغه، فلقب مفرغا.

(انظر ترجمته في «الأغاني» ج 17 ص 51 طبع بولاق) .

[5]كذا في الأصول. و لعله «حتى صح له» .

[6]في حـ، ء، م: «يعتدل» .

[7]هوّم الرجل: هز رأسه من النعاس، و قيل: نام قليلا.

اسلم و حيّيت أيّها الطّلل # و إن عفتك الرياح و السّبل[1]

-قال: و هو يتلو البيت الأوّل-فعجب أهل المجلس من ذكائه و فهمه، و أعجب ذلك الرشيد.

نسبة هذا الصوت

صوت

اسلم و حيّيت أيها الطلل # و إن عفتك الرياح و السّبل

خليفة لا يخيب سائله # عليه تاج الوقار معتدل

الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي. و الغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى، من رواية الهشاميّ و أحمد بن يحيى المكيّ.

أخبره الرشيد بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه:

قال هارون و قد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: كان ابن جامع أحسن ما يكون غناء إذا حزن صوته. فأحبّ الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعث خريطة فيها نعي أمّ ابن جامع-و كان بارّا بأمّه-ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين و هو في مجلس لهوه، فقال: يا ابن جامع، جاء في هذه الخريطة نعي أمّك. فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحرقة و الحزن الذي في قلبه: /

كم بالدّروب و أرض السّند من قدم # و من جماجم صرعى ما بها قبروا

بقندهار و من تكتب منيّته # بقندهار يرجّم دونه الخبر

قال: فو اللّه ما ملكنا أنفسنا، و رأيت الغلمان يضربون برءوسهم الحيطان و الأساطين. -قال هارون: لا أشك أن ابن المكيّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب-قال: ثم غنّى بعد ذلك: يا صاحب القبر الغريب

-و هو لحن قديم. و فيه لحن لابن المكيّ-فقال له الرشيد: أحسنت!و أمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحب القبر الغريب # بالشام في طرف الكثيب

بالحجر[2]بين صفائح # صمّ ترصّف بالجبوب[3]

[1]السبل (بالتحريك) : المطر.

[2]الحجر (بالكسر) : قرية صغيرة كانت بين الشام و الحجاز و هي بين جبال كانت ديار ثمود التي قال اللّه جل شأنه فيها: (و تنحتون من الجبال بيوتا) . و تسمى تلك الجبال الأثالث، و هي التي ينزلها حجاج الشام.

[3]كذا في حـ. و الجبوب (بالباء الموحدة) : المدر (الطوب) المفتت. و في سائر الأصول: «الجيوب» بالياء المثناة من تحت و هو تصحيف.

رصفا و لحد ممكن # تحت العجاجة في القليب

فإذا ذكرت أنينه # و مغيبه تحت المغيب

هاجت لواعج عبرة # في الصدر دائمة الدّبيب

أسفا لحسن بلائه # و لمصرع الشيخ الغريب

/أقبلت أطلب طبّه # و الموت يعضل[1]بالطبيب

الشعر لمكين العذريّ يرثي أباه، و قيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشأم هربا به من جارية هويها فمات هناك.

و الغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. و قيل: إن الشعر لسلاّمة[2]/ترثي الوليد بن يزيد.

سمعته أم جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكل بيت غنى فيه و عوضها الرشيد بكل درهم دينارا:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثني عبد اللّه بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد[3]يحدّث: أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء و لا المسامرين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذ ثلاث و هذا اليوم الرابع. فأرسل إليها: عندي ابن جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أني لا أتهنّأ بشرب و لا سماع و لا غيرهما إلا أن تشركني فيه، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه!فأرسل إليها: إني سائر إليك الساعة. ثم قام و أخذ بيد ابن جامع، و قال لحسين الخادم: امض إليها فأعلمها أني قد جئت.

و أقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم و الوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها: إن معي ابن جامع؛ فعدلت إلى بعض المقاصير. و جاء الرشيد و صيّر ابن جامع في بعض المواضع التي يسمع منه فيها و لا يكون حاضرا معهم. و جاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد/و أهوت لتنكبّ على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها و اعتنقته. ثم أمر ابن جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى:

صوت

ما رعدت رعدة و لا برقت # لكنّها أنشئت لنا خلقه[4]

الماء يجري على[5]نظام له # لو يجد الماء مخرقا خرقه

بتنا و باتت على نمارقها # حتى بدا الصبح عينها أرقه

أن قيل إنّ الرحيل بعد غد # و الدار بعد الجميع مفترقه

[1]أعضل به: أعياه و أعجزه. و روى عن عمر رضي اللّه عنه أنه قال: أعضل بي أهل الكوفة، ما يرضون بأمير و لا يرضاهم أمير. قال الأموي: في قوله: أعضل بي هو من العضال و هو الأمر الشديد الذي لا يقوم به صاحبه، أي ضاقت على الحيل في أمرهم و صعبت عليّ مداراتهم.

[2]هي سلامة القس. (راجع ترجمتها في الجزء الثامن من «الأغاني» ص 6-15 طبع بولاق) .

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «بربر» .

[4]يقال: نشأت لهم سحابة خلقة و خليقة أي فيها أثر المطر.

[5]كذا في ب، س و «ديوان عبيد بن الأبرص» (ص 86 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «و لا نظام له» .

-الشعر لعبيد بن الأبرص. و الغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. و فيه لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة. و ذكر يونس أن فيه لحنا لمعبد و لم يجنّسه. و فيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو و الهشاميّ. و لمخارق في هذه الأبيات رمل بالبنصر عن الهشاميّ. و ذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض.

و ذكر الهشاميّ أن لمتيّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى-قال: فقالت أمّ جعفر للرشيد: ما أحسن ما اشتهيت و اللّه يا أمير المؤمنين!. ثم قالت لمسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتنا يا بنت أبي[1]الفضل و سبقتنا إلى برّ ضيفنا و جليسنا. فلما خرج، حمل إليها مكان كلّ درهم دينارا.

أخذ صوتا من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار:

أخبرنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضوين الصّلصال التّيميّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع السّهميّ قال: ضمّني الدهر[2]ضمّا شديدا بمكة، فانتقلت منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوما و ما أملك إلا ثلاثة دراهم. فهي في كمّي إذا أنا بجارية حميراء على رقبتها جرّة تريد الرّكيّ[3]تسعى بين يديّ و ترنّم بصوت شجيّ تقول: شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا # فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

و ذاك لأنّ النوم يغشى عيونهم # سراعا و ما يغشى لنا النوم أعينا

/إذا ما دنا الليل المضرّ[4]لذي الهوى # جزعنا و هم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما # نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي و لم يدر لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك!فلو شئت أعدت؛ قالت: حبّا و كرامة. ثم أسندت ظهرها إلى جدار قرب منها و رفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى، و وضعت الجرّة على ساقيها ثم انبعثت تغنّيه؛ فو اللّه ما دار لي منه حرف؛ فقلت: أحسنت!فلو شئت أعدتيه مرّة أخرى!ففطنت و كلحت و قالت: ما أعجب أمركم!أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضّريبة فيشغلها!فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، و قلت: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي. قال: فأخذتها كالكارهة و قالت: أنت الآن تريد أن

تأخذ منّي صوتا أحسبك ستأخذ به ألف/دينار و ألف دينار و ألف دينار. قال: و انبعثت تغنّي؛ فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت و فهمته، و انصرفت مسرورا إلى منزلي أردّده حتى خفّ على لساني. ثم إني خرجت أريد بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على باب[5]محوّل؛ فبقيت لا أدري أين أتوجّه و لا من أقصد. فذهبت أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجدا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعا؛ فقلت: مسجد قوم سراة؛ فدخلته، و حضرت صلاة

[1]كذا في الأصول. و المعروف أن أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، و أن جعفرا أباها ولد إبراهيم و زبيدة و جعفرا و عيسى و عبيد اللّه و صالحا و لبانة. (انظر «المعارف» لابن قتيبة ص 192) .

[2]يريد ضغطني و اشتد عليّ، من شدّة الفقر و الحاجة.

[3]الركي: جنس للركية و هي البئر.

[4]كذا في ب، س هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول. و في أ، م هنا: «المبير» و في ء: «المبيد» .

[5]باب محول: محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ.

المغرب و أقمت بمكاني حتى صلّيت العشاء الآخرة على جوع و تعب. و انصرف أهل المسجد و بقي رجل يصلّي، خلفه جماعة خدم و خول[1]ينتظرون فراغه؛ فصلّى مليّا ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريبا؟قلت: أجل.

قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟قلت: دخلتها آنفا، و ليس لي بها منزل و لا معرفة، و ليست صناعتي من الصنائع التي يمتّ بها إلى أهل الخير. قال: و ما صناعتك؟قلت: أتغنّى. قال: فوثب مبادرا و وكّل بي بعض من معه.

فسألت الموكّل بي عنه فقال: هذا سلاّم[2]الأبرش. قال: و إذا رسول قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، و جاوز بي[3]مقصورة إلى مقصورة، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ و دعا بطعام فأتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت. فإني لكذلك إذ سمعت ركضا في الدهليز و قائلا يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغسول[4]/و خلعة و طيب، ففعل ذلك بي. فحملت على دابّة إلى دار الخلافة- و عرفتها بالحرس و التكبير و النيران-فجاوزت مقاصير عدّة، حتى صرت إلى دار قوراء[5]فيها أسرّة في وسطها قد أضيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فصعدت، و إذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجورهنّ العيدان، و في حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بي، و إذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تغنّ، فانبعث يغنّي بصوت لي و هو: لم تمش ميلا و لم تركب على قتب # و لم تر الشمس إلا دونها الكلل[6]

تمشي الهوينى كأن[7]الريح ترجعها # مشي اليعافير[8]في جيآتها الوهل

/فغنّى بغير إصابة و أوتار مختلفة و دساتين[9]مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها: تغنّي، فغنّت أيضا بصوت لي كانت فيه أحسن حالا من الرجل، و هو قوله: /

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها # إلا الظباء و إلا النّاشط[10]الفرد

[1]في حـ: «و مجول» . و في سائر الأصول: «و فحول» و الظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه.

[2]خدم المنصور و تولى المظالم للمهدي و عاصر الهادي و الرشيد. (انظر «الطبري» ق 3 ص 393، 529، 603، 684، 749، 1075، 1383) .

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و جاوزني» و هو تصحيف.

[4]الغسول: الماء يغتسل به، أو هو ما تغسل به الأيدي كالأشنان و غيره.

[5]الدار القوراء: الواسعة الجوف.

[6]الكلل: جمع كلة و هي ستر يخاط كالبيت (ناموسية) .

[7]في حـ: «كأن المشيء يوحشها» .

[8]اليعافير: الظباء. و الوهل: الفزع.

[9]الدساتين: هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها، واحدها دستان. و أسامي دساتين العود تنسب إلى الأصابع التي توضع عليها، فأوّلها «دستان السبابة» و يشدّ عند تسع الوتر، و قد يشدّ فوقه دستان أيضا يسمى «الزائد» . ثم يلي دستان السبابة «دستان الوسطى» و قد توضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى «دستان الوسطى القديمة» و الثاني يسمى «دستان وسطى الفرس» و الثالث يسمى «دستان وسطى زلزل» لأنه أوّل من شدّه. فأما الوسطى القديمة فشدّ دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة و دستان البنصر.

و دستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب. و دستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلي البنصر بالتقريب. و قد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد و ربما يجمع بين اثنين منها. ثم يلي دستان الوسطى «دستان البنصر» و يشدّ على تسع ما بين دستان السبابة و بين المشط. ثم يلي دستان البنصر «دستان الخنصر» و يشدّ على ربع الوتر. (عن «مفاتيح العلوم» للخوارزمي. و راجع ما كتب في هذا المعنى في تصدير هذا الكتاب ص 40) .

[10]الناشط: الثور الوحشي و كذلك الحمار الوحشيّ. و الفرد: المنفرد. ـ

أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا # و طار عن قلبي التّشواق و الكمد

[ثم عاد إلى الثانية و أحسبه أغفلها و ما تغنّت[1]به]ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثت تغنّي بصوت لحكم الواديّ و هو: فو اللّه ما أدري أ يغلبني الهوى # إذا جدّ و شك البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب و إن يغلب الهوى # فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوت لحنين و هو قوله: مررنا على قيسيّة عامريّة # لها بشر صافي الأديم هجان[2]

فقالت و ألقت جانب السّتر دونها # من ايّة أرض أو من الرجلان

فقلت لها أمّا تميم فأسرتي # هديت و أما صاحبي فيمان

رفيقان ضمّ السّفر بيني و بينه # و قد يلتقي الشتّى فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتا فشبّه[3]فيه. و الشعر لعمر بن أبي ربيعة و هو قوله: أمسى بأسماء هذا القلب معمودا # إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأنّ أحور من غزلان ذي[4]بقر # أعارها شبه العينين و الجيدا

بمشرق[5]كشعاع الشمس بهجته # و مسبكرّ على لبّاتها سودا

/ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لحكم الواديّ:

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا # فقلت لها إن الكرام قليل

و ما ضرّنا أنّا قليل و جارنا # عزيز و جار الأكثرين ذليل

و إنّا لقوم ما نرى القتل سبّة # إذا ما رأته عامر و سلول

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا # و تكرهه آجالهم فتطول

و تغنّت الثانية:

وددتك لما كان ودّك خالصا # و أعرضت لما صرت نهبا مقسّما

[1]كذا وردت هذه العبارة في جميع الأصول. و الظاهر أنها مقحمة.

[2]الهجان: الأبيض الخالص من كل شيء.

[3]يريد: خلط فيه و لم يحسن أداءه.

[4]كذا في جميع الأصول هنا و فيما سيأتي في حـ و ديوانه. و فيما سيأتي في سائر الأصول: «ذي نفر» (بالفاء) و كلاهما اسم لموضع.

فذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة، و قرية في ديار بني أسد. و ذو نفر: موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها و بين الربذة. (انظر «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم ياقوت») .

[5]كذا في ديوانه. و هذا البيت يتعلق ببيت قبله أغفله صاحب الأغاني و هو: قامت تراءى و قد جدّ الرحيل بنا # لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

و في جميع الأصول:

«و مشرقا... # و مسبطرا... إلخ»

. و شعر مسبكر: مسترسل.

و لا يلبث الحوض الجديد بناؤه # إذا[1]كثر الورّاد أن يتهدّما

و تغنّت الثالثة بشعر الخنساء:

و ما كرّ إلا كان أوّل طاعن # و لا أبصرته الخيل إلا اقشعرّت

فيدرك ثأرا و هو لم يخطه الغنى # فمثل أخي يوما به العين قرّت

فلست أرزّا بعده برزيّة # فأذكره إلا سلت و تجلّت

و غنّى الرجل في الدور الثالث:

لحى اللّه صعلوكا مناه و همّه # من الدهر أن يلقى لبوسا و مطعما

/ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى[2] # تنبه مثلوج[3]الفؤاد مورّما[4]

و لكنّ صعلوكا يساور همّه # و يمضي على الهيجاء ليثا مقدّما[5]

فذلك إن يلق الكريهة يلقها # كريما و إن يستغن يوما فربّما

/قال: و تغنّت الجارية:

إذا كنت ربّا للقلوص فلا يكن[6] # رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما # فذاك و إن كان العقاب[7]فعاقب

قال: و تغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب:

أ لم تر لمّا ضمّني البلد القفر # سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغثنا فإنا عصبة مذحجيّة # نزار على وفر و ليس لنا وفر

قال: و تغنّت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة:

فلما تواقفنا و سلّمت أسفرت[8] # وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا

تبالهن بالعرفان لمّا عرفنني # و قلن امرؤ باغ أكلّ[9]و أوضعا

و لما تنازعن[10]الأحاديث قلن لي # أخفت علينا أن نغرّ و نخدعا

[1]في أ، ء، م هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول: «على كثرة الوراد» .

[2]في «ديوان حاتم» (طبع لندن سنة 1872) : «استوى» .

[3]كذا في ديوانه. و في جميع الأصول: «مسلوب» .

[4]مورما: منتفخا بادئا لعدم ما يشغله من شئون الحياة.

[5]في أ، ء، م هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول: «مصمما» . و رواية هذا البيت في ديوانه: و للّه صعلوك يساور همه # و يمضي على الأحداث و الدهر مقدما

[6]في «شعراء النصرانية» (ج 1 ص 129 طبع بيروت) : «فلا تدع» .

[7]العقاب: هو أن تركب الدابة مرة و يركبها صاحبك مرة.

[8]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أقبلت» . و في ديوانه طبع أوروبا: «أشرقت» .

[9]أكل: أعيا. و أوضع: أسرع. يريد أنه أوضع فأكل إلا أنه قدّم و أخر.

[10]كدا في ديوانه. و في جميع الأصول هنا: «تواضعن» و في ب، س فيما سيأتي: «تراجعن» .

قال: و توقّعت مجيء الخادم إليّ، فقلت للرجل: بأبي أنت!خذ العود فشدّ وتر كذا و ارفع الطبقة و حطّ دستان كذا؛ ففعل ما أمرته. و خرج الخادم فقال لي: تغنّ عافاك اللّه؛ فتغنّيت بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه، فإذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا إلى الأسرّة و قالوا: ويحك!لمن هذا الغناء؟قلت: لي؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة، و خرج إليّ الخادم و قال: كذبت!هذا الغناء لابن جامع. و دار الدور؛ فلما انتهى الغناء إليّ قلت للجارية التي تلي الرجل: خذي العود، /فعلمت ما أريد فسوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيت به. فخرجت إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك!لمن هذا؟قلت: لي؛ فرجعوا و خرج الخادم[1].

فتغنيت بصوت لي فلا يعرف إلا بي، و سقوني فتزيّدت، و هو:

عوجي عليّ فسلّمي جبر # فيم الصدود و أنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى # حتى يفرّق بيننا الدهر[2]

قال: فتزلزلت و اللّه الدار عليهم. و خرج الخادم فقال: ويحك!لمن هذا الغناء؟قلت: لي. فرجع ثم خرج فقال: كذبت!هذا غناء ابن جامع. فقلت: فأنا إسماعيل بن جامع. فما شعرت إلا و أمير المؤمنين و جعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك.

فلما صعد السرير و ثبت قائما. فقال لي: ابن جامع؟قلت: ابن جامع، جعلني اللّه فداك يا أمير المؤمنين. قال:

ويحك!متى كنت في هذه البلدة؟قلت: آنفا، دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. قال: اجلس ويحك يا ابن جامع!و مضى هو و جعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، و قال لي: أبشر و ابسط أملك؛ فدعوت له. ثم قال:

غنّني يا ابن جامع. فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء فأمرت الرجل/ بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة، فعرف ما أردت، فوزن العود وزنا و تعاهده حتى استقامت الأوتار و أخذت الدساتين مواضعها، و انبعثت أغنّي بصوت الجارية الحميراء. فنظر الرشيد إلى جعفر و قال: أسمعت كذا قطّ؟ فقال: لا و اللّه/ما خرق مسامعي قطّ مثله.

فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إليّ، فصيّرته تحت فخذي و دعوت لأمير المؤمنين. فقال: يا ابن جامع، ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت، فرددته و تزيّدت فيه. فقال له جعفر: يا سيّدي، أ ما تراه كيف يتزيّد في الغناء!هذا خلاف ما سمعناه أوّلا و إن كان الأمر في اللحن واحدا. قال:

فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك خادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي. و قال: تغنّ يا إسماعيل ما حضرك. فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأغنّيه؛ فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل. فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فأعد على أمير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) فتغنّيت. فدعا الخادم و أمره فأحضر كيسا ثالثا فيه ألف دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمت، و لحظني فقال: يا ابن الفاعلة، ممّ تبسمت؟فجثوت على ركبتيّ و قلت: يا أمير المؤمنين، الصدق منجاة. فقال لي بانتهار: قل. فقصصت عليه خبر الجارية. فلما استوعبه قال: صدقت، قد يكون هذا و قام. و نزلت من السرير و لا أدري أين أقصد. فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين؛ ففرشت و أعدّ فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك و ندمائهم من الخدم، و من كل آلة و خول إلى جوار [1]الذي يتتبع سياق الخبر يشعر بأن هاهنا نقصا. و لعل أصل الجملة: «و خرج الخادم فقال كذبت فتغنيت... إلخ» .

[2]كذا في جميع الأصول هنا. و في «ترجمة العرجي» (ج 1 ص 408 من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية) و فيما سيأتي في ب، س:

«النفر» . و النفر: هو نفر الحاج من منى و يكون في اليوم الثاني و يسمى النفر الأول. و الثاني يكون في اليوم الثالث من أيام التشريق.

و وصفاء. فدخلتها[1]فقيرا و أصبحت من جلّة أهلها و مياسيرهم.

و ذكر لي هذا الخبر عبد اللّه بن الرّبيع عن أبي حفص الشّيبانيّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال: /ضمّني الدهر بمكة ضمّا شديدا فانتقلت إلى المدينة. فبينا أنا يوما جالس مع بعض أهلها نتحدّث، إذ قال لي رجل حضرنا: و اللّه لقد بلغنا يا ابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، و أنت في هذا البلد ضائع!فقلت: و اللّه ما بي نهوض. قال بعضهم: فنحن ننهضك. فاحتلت في شيء و شخصت إلى العراق، فقدمت بغداد، و نزلت عن بغل كنت اكتريته. ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني، و لم يذكر خبر السوداء[2]التي أخذ الصوت عنها.

و أحسبه غلط في[3]إدخاله هذه الحكاية هاهنا، و لتلك خبر آخر نذكره هاهنا[4]. قال في هذا الخبر: إن الدّور دار مرّة أخرى حتى صار إليّ؛ فخرج الخادم فقال: غنّ أيها الرجل!فقلت: ما أنتظر الآن!!ثم اندفعت أغنّي بصوت لي و هو: فلو كان لي قلبان عشت بواحد # و خلّفت قلبا في هواك يعذّب

و لكنما أحيا بقلب مروّع # فلا العيش يصفو لي و لا الموت يقرب

تعلّمت أسباب الرضا خوف سخطها # و علّمها حبّي لها كيف تغضب

و لي ألف وجه قد عرفت مكانه # و لكن بلا قلب إلى أين أذهب[5]

فخرج الرشيد حينئذ.

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني
صوت

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا # فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

و ذاك لأنّ النوم يغشى عيونهم # سراعا و ما يغشى لنا النوم أعينا

/إذا ما دنا الليل المضرّ بذي الهوى # جزعنا و هم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما # نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

عروضه من الطويل. و ذكر الهشاميّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، و في الخبر أنه أخذه عن سوداء[6] لقيها بمكة.

و منها:

[1]يريد مدينة بغداد التي تقدّمت في أوّل الخبر.

[2]كذا في جميع الأصول هنا و فيما سيأتي. و قد تقدم أن الجارية التي أخذ عنها كانت حميراء و قد ذكر ذلك في موضعين.

[3]يريد به محمد بن ضوين الصلصال التيمي و هو الذي ذكر هذا الخبر فيما تقدّم و ذكر فيه خبر السوداء التي أخذ عنها ابن جامع الصوت.

[4]ذكرت هذه القصة في آخر ترجمة ابن جامع.

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «يذهب» .

[6]انظر حاشية رقم 1 ص 319 من هذه الترجمة.

صوت

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها # إلا الظباء و إلا النّاشط الفرد

أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا # و طار عن قلبي التشواق و الكمد

في هذا الصوت لحن لابن سريج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش. و لحن ابن جامع رمل.

و منها:

صوت

لم تمش ميلا و لم تركب على جمل # و لم تر الشمس إلا دونها الكلل

أقول[1]للركب في درنا و قد ثملوا # شيموا و كيف يشيم الشارب الثّمل

/الشعر للأعشى. و الغناء لابن سريج رمل بالبنصر، و قد كتب فيما يغنّي فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها: ودّع هريرة إن الركب مرتحل

و منها:

صوت

مررنا على قيسيّة عامريّة # لها بشر صافي الأديم هجان

فقالت و ألقت جانب الستر دونها # من أيّة أرض أو من الرجلان

فقلت لها أمّا تميم فأسرتي # هديت و أمّا صاحبي فيماني

رفيقان ضمّ السّفر بيني و بينه # و قد يلتقي الشتّى فيأتلفان

غنّاه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر.

و منها:

صوت

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا # إذا أقول صحا يعتاده عيدا

أجري على موعد منها فتخلفني # فما أملّ و لا توفي المواعيدا

[1]درنا: ناحية باليمامة و كانت تسمى هكذا في الجاهلية. و هي المعروفة بأثافت أو أثافة بالهاء و التاء. قال الهمداني: و كان الأعشى كثيرا ما يتخرّف فيها و كان له بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت

من أعنابهم. و يروون في قصيدته البائية: أحب أثافت وقت القطاف # و وقت عصارة أعنابها

و يسكنها أهل ذي كبار و وداعة. و الرواية المشهورة في هذا الشطر كما في «شرح المعلقات العشر» للتبريزي و «معجم البلدان» و «صفة جزيرة العرب» و «لسان العرب» و «شرح القاموس» (مادة درن) : «فقلت للشرب في درنا... إلخ» .

كأنني حين أمسي لا تكلّمني # ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و له فيه ثقيل أوّل[بالبنصر[1]. و ذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلا أول]بالوسطى على مذهب إسحاق.

/و منها:

صوت

فو اللّه ما أدري أ يغلبني الهوى # إذا جدّ وشك البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب و إن يغلب الهوى # فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

/عروضه من الطويل. الشعر لابن ميّادة، و الغناء للحجبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

و منها:

صوت

تعيّرنا أنا قليل عديدنا # فقلت لها إنّ الكرام قليل

و ما ضرّنا أنّا قليل و جارنا # عزيز و جار الأكثرين ذليل

و إنّا لقوم ما نرى القتل سبّة # إذا ما رأته عامر و سلول

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا # و تكرهه آجالهم فتطول

عروضه من مقبوض[2]الطويل. و الشعر للسموأل بن عادياء اليهوديّ. و الغناء لحكم الوادي.

و منها:

صوت

وددتك لمّا كان ودّك خالصا # و أعرضت لما صار نهبا مقسّما

و لن يلبث الحوض الجديد بناؤه # على كثرة الورّاد أن يتهدّما

عروضه من الطويل. و فيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة. و فيه لعريب ثقيل أوّل.

/و منها:

صوت

و ما كرّ إلا كان أوّل طاعن # و لا أبصرته الخيل إلا اقشعرّت

فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى # فمثل أخي يوما به العين قرّت

[1]هذه العبارة ساقطة في الأصول ما عدا ب، س.

[2]القبض: هو حذف الخامس الساكن فيصير «فعولن» «فعول» .

فإن طلبوا وترا بدا بتراتهم # و يصبر يحميهم إذا الخيل ولّت

عروضه من الطويل. الشعر للخنساء، و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر و ذكر علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة.

و منها:

صوت

لحا اللّه صعلوكا مناه و همّه # من الدهر أن يلقى لبوسا و مطعما[1]

ينام الضحى حتى إذا ليلة انتهى # تنبّه مثلوج الفؤاد مورّما

و لكن صعلوكا يساور همّه # و يمضي على الهيجاء ليثا مصمّما

فذلك إن يلق الكريهة يلقها # كريما و إن يستغن يوما فربّما

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنه لعروة بن الورد، و يقال: إنه لحاتم الطائي و هو الصحيح. و الغناء لطويس خفيف رمل بالبنصر.

و منها:

صوت

إذا كنت ربّا للقلوص فلا يكن # رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما # فذاك و إن كان العقاب فعاقب

عروضه من الطويل. و الشعر لحاتم طيّء.

/و منها:

صوت

أ لم تر لمّا ضمّني البلد القفر # سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغثنا فإنا عصبة مذحجيّة # نزار على وفر و ليس لنا وفر

/عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معديكرب. و الغناء لحنين رمل بالوسطى عن حبش.

و منها:

صوت

فلما تواقفنا و سلّمت أقبلت # وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا

تبالهن بالعرفان لما رأيتني # و قلن امرؤ باغ أكلّ و أوضعا

[1]راجع هذا الشعر في صفحة 315، فقد ورد فيها مختلفا عما هنا اختلافا يسيرا.

و لما تنازعن[1]الأحاديث قلن لي # أخفت علينا أن نغرّ و نخدعا

و قرّبن أسباب الهوى لمتيّم # يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج و الغريض و مالك و معبد و ابن جامع في عدّة ألحان، قد كتبت مع الخبر في موضع غير هذا.

و منها:

صوت

عوجي عليّ فسلّمي جبر # فيم الصدود و أنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى # حتى يفرّق بيننا النّفر[2]

الحول ثم الحول يتبعه # ما الدهر إلا الحول و الشهر

/الشعر للعرجيّ. و الغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و يقال إنه لابن محرز، و يقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر. و فيه رمل يقال إنه لابن جامع، و هو القول الصحيح، و ذكر حبش أنه لابن سريج، و أن لحن ابن جامع خفيف رمل.

و منها:

صوت

فلو كان لي قلبان عشت بواحد # و خلّفت قلبا في هواك يعذّب

و لكنما أحيا بقلب مروّع[3] # فلا العيش يصفو لي و لا الموت يقرب

تعلّمت أسباب الرّضا خوف هجرها # و علّمها حبّي لها كيف تغضب

و لي ألف وجه قد عرفت مكانه # و لكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو الورّاق. و الغناء لابن جامع خفيف رمل، و يقال إنه لعبد اللّه بن العبّاس.

و فيه لعريب ثقيل أوّل. و فيه لرذاذ خفيف ثقيل. و فيه هزج يقال إنه لعريب، و يقال إنه لنمرة، و يقال إنه لأبي فارة، و يقال إنه لابن جامع.

سمعه مصعب الزبيري يغني في بساتين المدينة فمدحه:

حدّثني مصعب الزبيريّ قال:

قدم علينا ابن جامع المدينة قدمة في أيام الرشيد؛ فسمعته يوما يغنّي في بعض بساتين المدينة: و ما لي لا أبكي و أندب ناقتي # إذا صدر الرّعيان ورد المناهل

[1]راجع الحاشية رقم 5 ص 316 من هذا الجزء.

[2]راجع الحاشية رقم 2 ص 317 من هذا الجزء.

[3]في حـ: «معذب» .

و كنت إذا ما اشتدّ شوقي رحلتها # فسارت بمحزون كثير[1]البلابل[2]

/و كان رجلا صيّتا[3]، فكاد صوته يذهب بي كلّ مذهب، و ما سمعت قبله و لا بعده مثله.

نسبة هذا الصوت

صوت

و ما لي لا أبكي و أندب ناقتي # إذا صدر الرّعيان ورد المناهل

و كنت إذا ما اشتدّ شوقي ركبتها # فسارت بمحزون كثير البلابل

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ و ابن المكّيّ.

أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفه و أعتقه:

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد الزّيات قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كنت في خمسين و صيفا أهدوا للمنصور، ففرّقنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئا أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح و يقف مكانه لا يبرح. و قال لي يوما: كن مكاني في آخر المستراح. فكنت أعطيه الإبريق و أخرج مبادرا، فإذا سمعت حركته بادرت إليه. فقال لي: ما أخفّك على قلبي يا غلام!ويحك!ثم دخل قصرا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد، فقرأه فإذا هو: و ما لي لا أبكي و أندب ناقتي # إذا صدر الرّعيان نحو المناهل

و كنت إذا ما اشتدّ شوقي رحلتها # فسارت بمحزون طويل البلابل

/و تحته مكتوب: آه آه، فلم يدر ما هو. و فطنت له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؛ فقلت: قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه، فكتب تأوّهه و تنفّسه و تأسّفه. فقال: مالك قاتلك اللّه!قد أعتقتك و ولّيتك مكان ياسر.

[1]في حـ: «طويل» .

[2]البلابل: شدّة الهم و الوسواس في الصدر و حديث النفس.

[3]الصيت: الجهير الصوت.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة[في][1]الأخبار و إنما أفردتها عنها لئلا تنقطع خبر

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا

خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة:

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي، و ذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكيّ قال حدّثني المخزوميّ (يعني الحارث بن خالد) قال: بلغني أن الغريض خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشّرف ليلا إلى بعض المتحدّثات من نواحي مكة، و كانت ليلة مقمرة؛ فاشتقت إليهنّ و إلى مجالستهنّ و إلى حديثهنّ، و خفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها، و كان عمر مهيبا معظّما لا يقدم عليه سلطان و لا غيره، و كان منّي قريبا؛ فأتيته فقلت له: إنّ فلانة و فلانة و فلانة-حتى سميتهنّ كلّهنّ-قد بعثنني، و هنّ يقرأن عليك السلام، و قلن: تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض-و كان الغريض يغنّي هذا الصوت فيجيده، و كان ابن أبي ربيعة به معجبا، و كان كثيرا ما يسأل الغريض أن يغنّيه، و هو قوله: أمسى بأسماء هذا القلب معمودا # إذا أقول صحا يعتاده عيدا

/كأنّ أحور من غزلان ذي نفر[2] # أهدى لها شبه العينين و الجيدا

قامت تراءى و قد جدّ الرحيل بنا # لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلّمني # ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

/أجرى على موعد منها فتخلفني # فما أملّ و ما توفي المواعيدا

قد طال مطلي، لو انّ اليأس ينفعني # أو أن أصادف من تلقائها جودا

فليس تبذل لي عفوا و أكرمها # من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا[3]

-فلما أخبرته الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدّعة أحبّ فيه إليّ؛ و لكنّ صوت الغريض و حديث [1]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

[2]راجع الحاشية رقم 5 ص 314 من هذا الجزء.

[3]هذه رواية الديوان. و في الأصول:

... فأكرمها # ما إن ترى عندنا في الحرص تشديدا

النّسوة ليس له متّرك و لا عنه محيص. فدعا بثيابه فلبسها، و قال: امض؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهنّ.

فقال لي عمر: خفّض عليك مشيك ففعلت، حتى وقفنا عليهنّ و هنّ في أطيب حديث و أحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبننا و تخفّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ!هذا ابن أبي ربيعة و الحارث بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكنّ و غنائي. فقالت فلانة: و عليك السلام يا ابن أبي ربيعة، و اللّه ما تمّ مجلسنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غير بعيد، و أخذن عليهنّ جلابيبهنّ و تقنّعن بأخمرتهنّ و أقبلن علينا بوجوههنّ و قلن لعمر: كيف أحسست بنا و قد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسق جاءني برسالتكنّ و كنت وقيذا[1]من علّة وجدتها، فأسرعت الإجابة، و رجوت منكنّ على ذلك حسن الإثابة. فرددن عليه: قد وجب أجرك، و لم يخب سعيك، و وافق منّا الحارث إرادة. فحدّثهنّ بما قلت له /من قصّة غناء الغريض؛ فقال النّسوة: و اللّه ما كان ذلك كذلك، و لقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريض هاته.

فاندفع الغريض يغنّي و يقول:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا # إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره، فكلّ استحسنه. و أقبل عليّ ابن أبي ربيعة فجزاني الخير، و كذلك النّسوة.

فلم نزل بأنعم ليلة و أطيبها حتى بدأ القمر يغيب، فقمنا جميعا، و أخذ النّسوة طريقا و نحن طريقا و أخذ الغريض معنا.

و قال عمر في ذلك:

صوت

هل عند رسم برامة[2]خبر # أم لا فأيّ الأشياء تنتظر[3].

قد ذكّرتني الديار إذ درست # و الشوق ممّا يهيجه الذّكر

ممشى رسول إليّ يخبرني[4] # عنهم عشاء ببعض ما ائتمروا

و مجلس النّسوة الثلاث لدى الـ # خيمات حتى تبلّج السّحر

فيهنّ هند و الهمّ ذكرتها # تلك التي لا يرى لها خطر

ثم انطلقنا و عندنا و لنا # فيهنّ لو طال ليلنا وطر

و قولها للفتاة إذ أزف الـ # بين أ غاد أم رائح عمر

عجلان لم يقض[5]بعض حاجته # هلا تأتّى[6]يوما فينتظر

[1]الوقيذ: المريض.

[2]رامة: منزل بينه و بين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. و بين رامة و بين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. و قيل: هي هضبة، و قيل: جبل لبني دارم، و قيل فيها غير ذلك.

[3]وردت هذه الأبيات ضمن قصيدة ثمانية عشر بيتا في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبع ليبسك) باختلاف يسير في بعض الكلمات و في ترتيب الأبيات.

[4]كذا في ديوانه. و في الأصول: «ممشى فتاة إلى تخبرني» .

[5]في الديوان: «لم يقض بعد حاجته» .

[6]في ب، س: «أتانا» و هو تحريف. ـ

اللّه جار له و إن نزحت # دار به أو بدا له سفر

/غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. و فيه لابن سريج رمل بالوسطى. و فيه لعبد الرحيم الدّفّاف ثقيل أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين. و بعدهما: /

هل من[1]رسول إليّ يخبرني # بعد عشاء ببعض ما ائتمروا

يوم ظللنا و عندنا و لنا # فيهنّ لو طال يومنا وطر

فلما كانت الليلة القابلة بعث إليّ عمر فأتيته و إذا الغريض عنده. فقال له عمر: هات؛ فاندفع يغنّي: هل عند رسم برامة خبر # أم لا فأيّ الأشياء تنتظر

و مجلس النّسوة الثلاث لدى الـ # خيمات حتى تبلّج السحر

فقلت في نفسي: هذا و اللّه صفة ما كنّا فيه، فسكتّ حتى فرغ الغريض من الشعر كلّه؛ فقلت: يا أبا الخطّاب، جعلت فداك!هذا و اللّه صفة ما كنّا فيه البارحة مع النّسوة. فقال: إن ذلك ليقال.

أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل و فرّ:

و ذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال: إنّ موسى بن مصعب كان على الموصل، فاستعمل رجلا من أهل حرّان على كورة باهذرا[2]و هي أجلّ كور الموصل، فأبطأ عليه الخراج؛ فكتب إليه: هل عند رسم برامة خبر # أم لا فأيّ الأشياء تنتظر

/احمل ما عندك يا ماصّ بظر أمه، و إلا فقد أمرت رسولي بشدّك وثاقا و يأتي بك. فخرج الرجل و أخذ ما كان معه من الخراج فلحق بحرّان، و كتب إليه: يا عاضّ بظر أمّه!إليّ تكتب بمثل هذا!

و إذا أهل بلدة أنكروني # عرفتني الدّوّيّة[3]الملساء

فلما قرأ موسى كتابه ضحك و قال: أحسن-يعلم اللّه-الجواب، و لا و اللّه لا أطلبه أبدا. و في غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة: إنّ الخليط الألى تهوى قد ائتمروا # للبين ثم أجدّوا السير فانشمروا

يا ابن الزّانية!و السلام. ثم هرب، فلم يطلبه.

اسحاق الموصلي و لحن للغريض:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبي:

غنّاني رجل من أهل المدينة لحن الغريض:

[1]انظر الحاشية رقم 3 ص 329 من هذا الجزء.

[2]كذا في أ، م. و «معجم ياقوت» في الكلام على الموصل. و في حـ: «يا هذرا» بالياء المثناة من تحت. و في سائر الأصول: «باهدرا» بالباء الموحدة و الدال المهملة، و كلاهما تصحيف.

[3]الدوّية: الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة.

هل عند رسم برامة خبر # أم لا فأيّ الأشياء تنتظر

فسألته أن يلقيه عليّ، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمح له بذلك. و مضى فلم ألقه. فو اللّه يا بنيّ ما ندمت على شيء قطّ ندمي على ذلك، و لوددت أنّي وجدته الآن فأخذته منه كما سمعته و أخذ منّي ألف دينار مكان الألف الدرهم.

خبر

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا

الشعر لشريح بن السّموءل بن عادياء. و يقال: إنه للسموأل. و كان من يهود يثرب؛ و هو الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال: «أو فى من السّموءل» .

/و كان السبب في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ و أبو عبيدة و حدّثني به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال: كان امرؤ القيس بن حجر أودع السموأل بن عادياء أدراعا[1]؛ فأتاه الحارث بن ظالم-و يقال/: الحارث بن أبي شمر الغسّاني-ليأخذها منه؛ فتحصّن منه السموأل؛ فأخذ ابنا له غلاما و ناداه: إمّا أن تسلّم الأدراع و إما أن قتلت ابنك؛ فأبى السموأل أن يسلّم الأدراع إليه؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه اثنين[2]. فقال السموأل: وفيت بأدرع الكنديّ إنّي # إذا ما خان أقوام وفيت

و أوصى عاديا يوما[3]بألاّ # تهدّم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا # و ماء[4]كلّما شئت استقيت

و في هذه القصيدة يقول:

صوت

أ عاذلتي ألا لا تعذليني # فكم من أمر عاذلة عصيت

دعيني و ارشدي إن كنت أغوى # و لا تغوى-زعمت-كما غويت

أعاذل قد طلبت[5]اللّوم حتى # لو اني منته لقد انتهيت

و صفراء المعاصم قد دعتني # إلى وصل فقلت لها أبيت

[1]في حـ: «أدراعا مائة» .

[2]كذا في حـ، ء. و في سائر الأصول: «باثنين» .

[3]رواية هذا الشطر في ديوانه:

و أوصى عاديا جدي بألا

[4]في «مجمع الأمثال» للميداني: «بئرا» . في ديوانه: «عينا» .

[5]كذا في جميع الأصول. و لعلها: «أطلت» .

و زقّ قد جررت إلى النّدامى # و زقّ قد شربت و قد سقيت

و حتى لو يكون فتى أناس # بكى من عذل عاذلة بكيت

عروضه من الوافر. و الشعر للسّموأل بن عادياء. و الغناء لابن محرز في الأوّل و الثاني و الرابع و الخامس خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و غنّى فيها مالك خفيف ثقيل بالبنصر في الأوّل و الثاني. و غنّى دحمان أيضا في الأوّل و الثاني و الرابع و الخامس رملا بالوسطى. و غنّى عبد الرحيم الدّفّاف في الأوّل و الثاني رملا بالبنصر.

و في هذه الأبيات لابن سريج لحن في الرابع و ما بعده. ثم في سائر الأبيات لحن ذكره يونس و لم ينسبه[1].

و لإبراهيم الموصليّ فيها لحن غير منسوب أيضا.

أسر الأعشى رجل من كلب و هو لا يعرفه ثم أطلقه بشفاعة شريح بن السموأل فلما عرف ذلك ندم:

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلا من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم # و لست من الكرام بني عبيد

و لا من رهط جبّار بن قرط # و لا من رهط حارثة بن زيد

-قال: و هؤلاء كلهم من كلب-فقال الكلبيّ: أنا، لا أبا لك، أشرف من هؤلاء. قال: فسبّه الناس بعد بهجاء الأعشى، و كان متغيّظا عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفرا و أسر الأعشى و هو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشريح بن السموأل بن عادياء الغسّاني صاحب تيماء[2]بحصنه الذي يقال له الأبلق[3]. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله: /

شريح لا تتركنّي بعد ما علقت # حبالك اليوم بعد القدّ[4]أظفاري

قد جلت ما بين بانقيا[5]إلى عدن # فطال في العجم ترددي[6]و تسياري

فكان أكرمهم عهدا و أوثقهم # عقدا أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد و ابله # و في الشدائد كالمستأسد الضّاري

/كن كالسموأل إذ طاف الهمام به # في جحفل كسواد الليل جرّار

إذ سامه خطّتي خسف فقال له # قل ما تشاء فإنّي سامع حار

فقال غدر و ثكل أنت بينهما # فاختر و ما فيهما حظّ لمختار

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و لم يجنسه» .

[2]تيماء: بليدة في أطراف الشام، بين الشام و وادي القرى على طريق حاج الشام و دمشق.

[3]قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض و حمرة، و قيل: لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان.

[4]القد: القيد.

[5]بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

[6]كذا في ديوانه المطبوع بمطبعة التقدّم بمصر. و في الأصول: «تكراري» .

فشكّ غير طويل ثم قال له # اقتل أسيرك إني مانع جاري

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به # ربّ كريم و بيض ذات أطهار

لا سرّهنّ لدينا ذاهب هدرا # و حافظات إذا استودعن أسراري

فاختار أدراعه كي لا يسبّ بها # و لم يكن وعده فيها بختّار[1]

قال: فجاء شريح إلى الكلبيّ فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور[2]؛ فقال: هو لك، فأطلقه. و قال له: أقم عندي حتى أكرمك و أحبوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية[3]و تخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقة، فركبها و مضى من ساعته. و بلغ الكلبيّ أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: ابعث إليّ بالأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه و أعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيّ في أثره فلم يلحقه.

/و أما خبر:

و ما كرّ إلا كان أوّل طاعن

-و الشعر للخنساء-فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ و هو يأتي فيما بعد هذا مفراد عن المائة الصوت المختارة في أخبار الخنساء.

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع
دفع في صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم و غناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار:

و أمّا خبر الجارية التي أخذ عنها ابن جامع الصوت و ما حكيناه من أنّه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصّلصال فيها[4]خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي محمد العامريّ قال حدّثني عكّاشة اليزيديّ بجرجان قال حدّثني إسماعيل بن جامع قال: بينا أنا في غرفة لي باليمن و أنا مشرف على مشرعة[5]، إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قربة، فملأتها و وضعتها على المشرعة لتستريح، و جلست فغنّت:

صوت

فردّي مصاب القلب أنت قتلته # و لا تبعدي فيما تجشّمت كلثما

-و يروى «و لا تتركيه هائم القلب مغرما» -:

إلى اللّه أشكو بخلها و سماحتي # لها عسل منّي و تبذل علقما

[1]الختار: الغادر.

[2]كذا في حـ و نسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه و «معجم ياقوت» في الكلام على الأبلق الفرد. و في سائر الأصول: «المضروب» بالباء الموحدة، و هو تحريف.

[3]ناقة ناجية: سريعة السير.

[4]هذه الكلمة مستغنى عنها في الكلام و لكنها ثابتة في جميع الأصول.

[5]المشرعة: مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها و يستقون. و لا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له كماء الأنهار و يكون ظاهرا مبينا لا يستقى منه برشاء. فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع (بالتحريك) .

أبي اللّه أن أمسي و لا تذكريننى # و عيناي من ذكراك قد ذرفت دما

أبيت فما تنفكّ لي منك حاجة # رمى اللّه بالحبّ الذي كان أظلما

/-غنّاه سياط خفيف ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة-قال: ثم أخذت قربتها لتمضي. فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قوام لي به، فنزلت إليها فقلت لها: أعيديه. فقالت: أنا عنك في شغل بخراجي. قلت: و كم هو؟قالت: درهمان في كل يوم. قلت: فهذان درهمان، و ردّيه عليّ حتى آخذه منك، و أعطيتها درهمين؛ فقالت: أمّا الآن فنعم. فجلست، فلم تبرح حتى أخذته منها و انصرفت؛ فلهوت يومي به، و أصبحت من غد لا أذكر/منه حرفا، فإذا أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالأمس. فلما وضعت القربة تغنّت غيره، فعدوت في أثرها و قلت: يا جارية، بحقّي عليك ردّي عليّ الصوت فقد ذهبت عنّي منه نغمة. فقالت: لا و اللّه، ما مثلك تذهب عنه نغمة، أنت تقيس أوّله على آخره، و لكنك قد أنسيته، و لست أفعل إلا بدرهمين آخرين.

فدفعتهما إليها و أعادته عليّ حتى أخذته ثانية. ثم قالت: إنّك تستكثر فيه أربعة دراهم، و كأني بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار. فكنت عند هارون يوما و هو على سريره؛ فقال: من غنّاني فأطربني فله ألف دينار، و قدّامه أكياس في كل كيس ألف دينار. فغنّى القوم و غنّيت فلم يطرب، حتى دار الغناء إليّ ثانية فغنّيت صوت السوداء؛ فرمى إليّ بكيس فيه ألف دينار، ثم قال: أعده فغنّيته؛ فرمى إليّ بثان ثم قال: أعده فرمى إليّ بثالث و أمسك. فضحكت؛ فقال: ما يضحكك؟فقلت: لهذا الصوت حديث عجيب يا أمير المؤمنين. فقال: و ما هو؟فحدّثته به و قصصت عليه القصّة؛ فرمى إليّ برابع و قال: لا نكذّب قولها.

خبر

عوجي عليّ فسلّمي جبر

الشعر للعرجيّ و قد ذكرنا نسبة الصوت.

قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال حدّثني محمد بن إسحاق قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مخنّثا قد أفسد نساءها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله. فأدخل

عليه، فإذا شيخ خضيب اللّحية و الأطراف معتجر بسبنيّة[1]قد حمل دفّا في خريطته. فلما وقف بين يدي عمر صعّد بصره فيه و صوّبه و قال: سوأة لهذه الشّيبة و هذه القامة!أتحفظ القرآن؟قال: لا و اللّه يا أبانا؛ قال: قبّحك اللّه! و أشار إليه من حضره فقالوا: اسكت فسكت. فقال له عمر: أ تقرأ من المفصّل شيئا؟قال: و ما المفصّل؟قال: ويلك!أ تقرأ من القرآن شيئا؟ قال: نعم، أقرأ **اَلْحَمْدُ لِلَّهِ** و أخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، و أقرأ

[1]كذا في حـ. و السبنية: منسوبة إلى سبن (بالتحريك) : بلدة ببغداد؛ و هي إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء. و في ب، س: «بسبتية» (بالتاء المثناة) . و في سائر الأصول «بسنية» و كلاهما تحريف.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلنَّاسِ و أخطئ فيها، و أقرأ **قُلْ هُوَ اَللَّهُ أَحَدٌ** مثل الماء الجاري. قال: ضعوه في الحبس و وكّلوا به معلّما يعلّمه القرآن و ما يجب عليه من حدود الطّهارة و الصلاة و أجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم و على معلّمه ثلاثة دراهم أخّر، و لا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع. فكان كلّما علّم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولا إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجّه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلا فأوّلا، فإني لا أقدر على حمله جملة واحدة.

فيئس عمر من فلاحه و قال: ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة، و لو أطعمناها جائعا أو أعطيناها محتاجا أو كسوناها عريانا لكان أصلح. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ **قُلْ يَا أَيُّهَا اَلْكَافِرُونَ** . /قال: أسأل اللّه العافية! أدخلت يدك في الجراب فأخرجت[1]شرّ ما فيه و أصعبه. فأمر به فوجئت[2]عنقه و نفاه. فاندفع يغنّي و قد توجّهوا به: عوجي عليّ فسلّمي جبر # فيم الوقوف و أنتم سفر

/ما نلتقي إلا ثلاث منى # حتى يفرّق بيننا النّفر

فلما سمع الموكّلون به حسن ترنّمه خلّوه و قالوا له: اذهب حيث شئت مصاحبا بعد استماعهم منه طرائف[3] غنائه سائر يومهم و ليلتهم.

حج محمد بن خالد ابن عبد اللّه و سمع جارية محمد بن عمران فطرب و أراد شراءها فرده:

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائنيّ قال: أحجّ خالد بن عبد اللّه ابنه محمدا و أصحبه رزاما[4]مولاه و أعطاه مالا، و قال: إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت. فلما صرنا[5]بالمدينة سأل محمد عن جارية حاذقة؛ فقيل: عند محمد بن عمران التّيمي القاضي. فصلينا الظهر في المسجد ثم ملنا إليه فاستأذنّا عليه فأذن لنا و قد انصرف من المسجد و هو قاعد على لبد[6]و نعلاه في آخر اللّبد؛ فسلّمنا عليه فردّ؛ و نسب[7]محمدا فانتسب له، فقال: خيرا. ثم قال: هل من حاجة؟فلجلج. فقال: كأنك ذكرت فلانة!يا جارية اخرجي؛ فخرجت فإذا أحسن الناس، ثم تغنّت فإذا أحذق الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها و يجيء، إلى أن غنّت قوله: عوجي عليّ فسلّمي جبر

/فلما بلغت:

حتى يفرق بيننا النّفر

[1]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «أشد ما فيه» .

[2]الوجء: اللكز و الضرب، يقال: وجأت عنقه و في عنقه أي ضربته.

[3]كذا في م. و في سائر الأصول: «ظرائف» بالظاء المعجمة، و هو تصحيف.

[4]هو رزام بن مسلم، أدرك أبا جعفر المنصور و له بعض حوادث وردت في «الطبري» (ق 3 ص 132، 164، 196، 215، 216، 637) .

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فلما صار» .

[6]اللبد: بساط من صوف.

[7]نسبه: سأله عن نسبه.

وثب الشيخ إلى نعله فعلّقها في أذنه و جثا على ركبتيه و أخذ بطرف أذنه و النّعل فيها و جعل يقول: أهدوني[1] أنا بدنة، أهدوني أنا بدنة. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟قالوا: ستمائة دينار. قال: هي و حقّ القبر خير من ستة آلاف دينار، و و اللّه لا يملكها عليّ أحد أبدا، فانصرفوا إذا شئتم.

كان ابن جريج في حلقة يحدث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج:

أخبرنا وسواسة بن الموصليّ-و هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ-قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: وجدت في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثّقفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدّثني سليم[2]الحساب عن داود المكيّ قال: كنّا في حلقة ابن جريج و هو يحدّثنا و عنده ابن المبارك و جماعة من العراقيّين، إذ مرّ به ابن تيزن-قال حمّاد: و يقال ابن بيرن-و قد ائتزر بمئزرة على صدره، و هي إزرة الشّطّار[3]عندنا. فدعاه ابن جريج؛ فقال له: إني مستعجل، و قد وعدت أصحابا لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم. فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس و قال له: ما تريد؟ قال: أحبّ أن تسمعني. قال: أنا أجيئك إلى المنزل، فلم تجلسني مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأته طالق إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلك باليمين؟!قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعقلوا رحمكم اللّه. ثم قال له: غنّني الصوت/الذي أخبرتني أنّ ابن سريج غنّاه في اليوم الثالث[4]من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الذاهب و الجائي حتى تكسّرت المحامل. فغنّاه: عوجي عليّ فسلّمي جبر

فقال ابن جريج: أحسنت و اللّه!-ثلاث مرّات-ويحك أعده. قال: أ من الثلاثة؟فإني قد حلفت. قال: أعده فأعاده؛ فقال: أحسنت!أعده من الثلاثة؛ فأعاده و قام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلت! قالوا: إنا لننكره بالعراق. قال: فما تقولون في الرّجز؟ (يعني الحداء) قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!.

أحسن الناس حلوقا في الغناء:

و ذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المدينيّ قال: ثلاثة من المغنّين كانوا أحسن الناس حلوقا: ابن تيزن، و ابن عائشة، و ابن أبي الكنّات.

[1]الإهداء: سوق الحيوان إبلا أو بقرا أو شاء إلى البيت الحرام هديا.

[2]في ب، س: «سليمان» .

[3]كان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة و الفساد.

[4]في أ، حـ، ء، م: «الثاني» .

صوت من المائة المختارة

سقاني فروّاني كميتا مدامة # على ظمأ مني سلام بن مشكم[1]

تخيّرته أهل المدينة واحدا # سواهم فلم أغبن و لم أتندّم[2]

عروضه من الطويل. و الشعر لأبي سفيان بن حرب. و الغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة[3]، خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى.

[1]سيتكلم عنه المؤلف في ترجمة أبي سفيان التي تبتدئ بعد هذه الصفحة.

[2]ورد هذا البيت في «سيرة ابن هشام» (ج 2 ص 543 طبع أوروبا) هكذا: إني تخيرت المدينة واحدا # لحلف فلم أندم و لم أتلوّم

[3]الأشاعثة: منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي، نزل الكوفة. و وفد على النبي صلى اللّه عليه و سلم بسبعين رجلا من كندة فروى عنه و عن عمر رضي اللّه عنه. و مات بالكوفة في آخر سنة أربعين حين صالح الحسن معاوية رضي اللّه عنهما فصلى عليه.

23-ذكر أبي سفيان و أخباره و نسبه

نسبه و نسب أمه:

هو صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف. و أمّ حرب بن أميّة بنت أبي همهمة بن عبد العزّي بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة. و أمّ أبي سفيان صفيّة بنت حزن بن بجير بن الهزم[1]بن رويبة[2]بن عبد اللّه بن هلال بن عامر بن صعصعة، و هي عمّة ميمونة أم المؤمنين و أمّ الفضل بنت الحارث بن حزن أمّ بني العباس بن عبد المطلب. و قد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أميّة و الفرق بين الأعياص و العنابس منهم و جمل من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب[3] و كان حرب بن أميّة قائد بني أميّة و من مالأهم في يوم عكاظ. و يقال: إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته و قتلت مرداس بن أبي عامر السّلميّ لإحراقهما شجر القريّة[4]و ازدراعهما إيّاها. و هذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها و تواترت الرّوايات بذكره فذكرته، و اللّه أعلم.

أراد حرب بن أمية و مرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا:

أخبرني الطّوسيّ و الحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي مصعب، و أخبرنا محمد بن الحسين بن دريد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه، و ذكره أبو عبيدة و أبو عمرو الشيبانيّ:

/أنّ حرب بن أميّة لما انصرف من حرب عكاظ هو و إخوته مرّ بالقريّة، و هي إذ ذاك غيضة شجر ملتفّ لا يرام. فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟قال بلى. قال: نعم المزدرع هو فهل لك أن نكون شريكين فيه و نحرّق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك؟قال نعم. فأضرما النّار في الغيضة. فلما استطارت و علا لهبها سمع من الغيضة أنين و ضجيج كثير، ثم ظهرت منها حيّات بيض تطير حتى قطعتها و خرجت منها. و قال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

إني انتخبت لها حربا و إخوته # إنّي بحبل وثيق العقد دسّاس

إني أقوّم قبل الأمر حجّته # كيما يقال وليّ الأمر مرداس

[1]كذا في «تجريد الأغاني» و «القاموس» و «شرحه» (مادة هزم) و «الاشتقاق» لابن دريد (ص 178 طبع أوروبا) . و في الأصول:

«الهرم» بالراء المهملة و هو تصحيف.

[2]كذا في حـ و «تجريد الأغاني» و «القاموس» و «شرحه» (مادة هزم) و «طبقات ابن سعد» (ج 8 ص 94) . و «الاشتقاق» لابن دريد (ص

179 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «رويتة» و هو تصحيف.

[3]راجع الجزء الأوّل من هذه الطبعة (ص 14) .

[4]القرية: موضع في ديار بني سليم، ذكره البكري في «معجم ما استعجم» (ج 2 ص 735) و ساق القصة كما ساقها أبو الفرج هنا.

قال: فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة:

ويل لحرب فارسا # مطاعنا مخالسا

ويل لعمرو فارسا # إذ لبسوا القوانسا[1]

لنقتلن بقتله # جحا جحا عنابسا

و لم يلبث حرب بن أميّة و مرداس بن أبي عامر أن ماتا. فأمّا مرداس فدفن بالقريّة. ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة[2]السّلميّ ثم الظّفريّ. فقال في ذلك عبّاس بن مرداس: /

أ كليب مالك كلّ يوم ظالما # و الظلم أنكد وجهه ملعون

قد كان قومك يحسبونك سيّدا # و إخال أنك سيّد معيون

/-المعيون: الذي أصابته العين، و قيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العين و لا عقل له-: فإذا رجعت إلى نسائك فادّهن # إن المسالم رأسه مدهون

و افعل بقومك ما أراد بوائل # يوم الغدير[3]سميّك المطعون

و إخال أنك سوف تلقى مثلها # في صفحتيك سنانها المسنون

إن القريّة قد تبيّن أمرها # إن كان ينفع عندك التّبيين

حيث انطلقت تخطّها لي ظالما # و أبو يزيد بجوّها مدفون

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

منزلته في قريش و فقء عينيه:

و كان أبو سفيان سيّدا من سادات قريش في الجاهليّة و رأسا من رءوس الأحزاب على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في حياته و كهفا للمنافقين في أيامه، و أسلم يوم الفتح. و له في إسلامه أخبار نذكرها هنا. و كان تاجرا يجهّز التجار بماله و أموال قريش إلى أرض العجم. و شهد مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مشاهدة الفتح، و فقئت عينه يوم الطائف[4]، فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك[5]، ففقئت عينه الأخرى يومئذ فعمي.

مازح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في بيت بنته أم حبيبة:

أخبرنا الطّوسيّ و الحرميّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليّ بن صالح عن جدّي عبد اللّه بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي

الهيثم عمّن أخبره: [1]القوانس: جمع قونس، و هو أعلى البيضة. و في «معجم ما استعجم» : «القلانسا» .

[2]في «معجم ما استعجم» للبكري: «كليب بن عيهة» . و فيما مر في جميع الأصول (ج 5 ص 38 من هذه الطبعة) و «النقائص» (ص 907 طبع أوروبا) : «كليب بن عهمة» .

[3]يشير إلى تحكم كليب في موارد الماء و نفيه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهم عطشا. (راجع الكلام على ذلك مفصلا في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص 36-37) .

[4]يعني غزوة الطائف و فيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه. (انظر «المواهب اللدنية» ج 3 ص 39-40 طبع بولاق) .

[5]اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتنة. كانت به حرب بين المسلمين و الروم في أيام أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما. ـ

/أنّه سمع أبا سفيان يمازح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في بيت بنته أمّ حبيبة و يقول: و اللّه إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جمّاء[1]و لا ذات قرن، و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يضحك و يقول: «أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة!» [2].

سئل و هو مشرك عن تزوّج بنته برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فمدحه:

قال الزبير و حدّثني عمّي مصعب:

أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تزوّج أمّ حبيبة بنت أبي سفيان و أبو سفيان يومئذ مشرك يحارب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و قيل له: إن محمدا قد نكح ابنتك؛ فقال: ذلك الفحل لا يقدع[3]أنفه. و اسم أمّ حبيبة رملة، و قيل: هند[4]، و الصحيح رملة.

أيضا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أذنه فعاتبه فأرضاه:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال:

أذن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوما للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يا رسول اللّه، ما أذنت لي حتى كدت تأذن للحجارة. فقال له: يا أبا سفيان «كلّ الصيد[5]في جوف الفرا» .

/حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النّوشجاني قال حدّثنا عطاء بن مصعب قال حدّثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن يحيى البرمكيّ قال:

أذن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للناس، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول اللّه، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة[6]ليؤذن لها قبلي. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «أما و اللّه إنّك و الناس لكما قال الأوّل: «كلّ الصيد في بطن الفرا» » . أيّ كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلّهم.

خرج إلى الشأم في تجارة، فسأله هرقل عن أحوال النبيّ صلى اللّه عليه و سلم فأجابه و صدقه:

حدّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثّقفيّ قال حدّثنا داود بن عمرو الضّبيّ قال/حدّثنا المثنىّ بن زرعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزّهريّ عن عبد اللّه بن عبد اللّه عن عتبة عن ابن عبّاس قال حدّثني أبو سفيان بن حرب قال[7]:

[1]الجماء: الشاة التي لا قرن لها.

[2]حنظلة: ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه يوم بدر.

[3]فحل لا يقدع أنفه، أي لا يضرب أنفه، لكرمه. و ذلك أن الفحل إذا أراد ركوب الناقة قدع و ضرب أنفه بالرمح أو غيره إذا كان غير كريم و حمل عليها فحل كريم غيره. و في ب، س: «يقرع» بالراء المهملة، و هو بمعنى «يقدع» .

[4]في الأصول: «و قيل صفية» . و التصويب عن كتاب «الإصابة في أخبار الصحابة» و «أسد الغابة» و «المواهب اللدنية» . و صفية هي أم أم حبيبة و هي صفية بنت أبي العاص.

[5]هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه. و أصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا و الآخر ظبيا و الثالث حمارا (و هو الفرا) فاستبشر صاحب الأرنب و صاحب الظبي بما نالا و تطاولا على الثالث، فقال: «كل الصيد في جوف الفرا» أي هذا الذي رزقت و ظفرت به يشتمل على ما عندكما. و ذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي. (انظر «مجمع الأمثال» للميداني ج 2 ص 69) طبع بولاق.

[6]الخندمة: جبل بمكة.

[7]قد وردت هذه القصة في البخاري (ج 1 ص 4) باختلاف قليل عما هنا.

كنّا قوما تجارا، و كانت الحرب بيننا و بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قد حصرتنا[1]حتى نهكت[2]أموالنا. فلما كانت الهدنة[هدنة الحديبية] [3]بيننا و بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، خرجت في نفر من قريش إلى الشأم، و كان وجه متجرنا منه غزّة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس[4]، فأخرجهم منها و انتزع منهم صليبه الأعظم و كانوا قد استلبوه إيّاه. فلما بلغه ذلك منهم و بلغه أن صليبه قد استنقذ منهم، و كانت حمص منزله، خرج[5]منها يمشي على قدميه شكرا للّه حين ردّ عليه ما ردّ ليصلّي في بيت المقدس تبسط له البسط و تلقى عليها الريّاحين. فلما انتهى إلى/إيلياء فقضى فيها صلاته و كان معه بطارقته و أشراف الروم، أصبح ذات غدوة مهموما يقلّب طرفه إلى السماء.

فقال له بطارقته: و اللّه لكأنّك أصبحت الغداة مهموما. فقال: أجل! رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر. فقالوا: أيّها الملك، ما نعلم أمّة تختتن إلا اليهود، و هم في سلطانك و تحت يدك، فابعث إلى كلّ من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود و استرح من هذا الهمّ. فو اللّه إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبّرونه[6]إذ أتاه رسول صاحب بصرى[7]برجل من العرب يقوده-و كانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم-فقال: أيها الملك، إن هذا رجل من العرب من أهل الشّاء و الإبل يحدّث عن أمر حدث فاسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى، قال هرقل لمن جاء به: سله عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبيّ، و قد اتّبعه ناس فصدّقوه و خالفه آخرون، و قد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، و تركتهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال: جرّدوه فإذا هو مختون؛ فقال: هذا و اللّه النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه و ينطلق. ثم دعا صاحب شرطته فقال له: اقلب الشأم ظهرا لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل.

فإنّا لبغزّة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟قلنا نعم. قال: فأيّكم أمسّ به رحما؛ قال: قلت أنا-قال أبو سفيان: و أيم اللّه ما رأيت رجلا أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[8] (يعني هرقل) -ثم قال: أدنه، فأقعدني بين يديه و أقعد أصحابي خلفي، و قال: إني سأسأله، فإن كذب فردّوا عليه.

/-قال: فو اللّه لقد علمت أن لو كذبت ما ردّوا عليّ، و لكنّي كنت امرأ سيّدا أتبرّم عن الكذب؛ و عرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوه عليّ ثم يحدّثوا به عني، فلم أكذبه-قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي. فجعلت أزهّد له شأنه و أصغّر له أموره، و أقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه!إنّ أمره دون ما بلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي. ثم قال: أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه. قال: قلت: سل عمّا بدا لك. قال: كيف نسبه فيكم؟قلت: محض، هو أوسطنا[9]نسبا. قال: أخبرني هل/كان أحد في أهل [1]كذا في حـ و «تجريد الأغاني» . و في سائر الأصول: «حضرتنا» بالضاد المعجمة و هو تصحيف.

[2]كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «تهتكت» . و هو تحريف.

[3]زيادة عن «تجريد الأغاني» .

[4]كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «من فارس» .

[5]في الأصول: «فخرج» .

[6]في حـ و «تجريد الأغاني» : «يديرونه» .

[7]بصرى: بلد من أعمال دمشق و هي قصبة كورة حوران.

[8]الأغلف: الذي لم يختتن.

[9]أي خيرنا و أفضلنا نسبا.

بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به؟قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه؟قال: قلت لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟قال: قلت: الضعفاء و المساكين و الأحداث من الغلمان و النساء، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمّن يتبعه أ يحبّه و يلزمه أم يقليه و يفارقه؟قال: قلت: قلّما يتبعه أحد فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم و بينه؟قال: قلت:

سجال يدال علينا و ندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟فلم أجد شيئا سألني عنه أغتمز فيه غيرها. قال: قلت: لا، و نحن منه في مدّة[1]و لا نأمن غدره. قال: فو اللّه ما التفت إليها منّي. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه محض من أوسطكم نسبا؛ فكذلك يأخذ اللّه النبيّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبا. و سألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو/يتشبّه به، فزعمت أن لا. و سألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فزعمت أن لا. و سألتك عن أتباعه، فزعمت أنهم الضعفاء و الأحداث و المساكين و النّساء، و كذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. و سألتك عمّن يتبعه أ يحبّه و يلزمه أم يقليه و يفارقه، فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه، و سألتك عن الحرب بينكم و بينه فزعمت أنها سجال تدالون عليه و يدل عليكم، و كذلك حرب الأنبياء، و لهم تكون العاقبة. و سألتك هل يغدر، فزعمت أن لا. فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبنّ عليّ ما تحت قدميّ هاتين، و لوددت أنّي عنده فأغسل قدميه!انطلق لشأنك. فقمت من عنده و أنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى و أقول: يا لعباد اللّه!لقد أمر[2]أمر ابن أبي كبشة[3]! أصبحت ملوك بني الأصفر[4]يهابونه في ملكهم و سلطانهم.

كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى هرقل و ما كان بين هرقل و بطارقته:

قال ابن إسحاق: فقدم عليه كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مع دحية[6]بن خليفة الكلبيّ، فيه:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلم) إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتّبع الهدى.

أمّا بعد، فأسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرّتين، و إن تتول[6]فإن إثم الأكابر عليك» [7].

/قال ابن شهاب: فأخبرني أسقفّ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أمر هرقل و عقله[8]، قال: فلمّا قدم عليه كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قبل دحية بن خليفة، أخذه هرقل فجعله بين [1]في مدة: يعني بها مدّة صلح الحديبية. و ذلك أن النبي صلى اللّه عليه و سلم ذهب إلى مكة حاجا فتعرضت له قريش فأوقع بينه و بينهم صلحا على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين و أن يرجع عنهم عامهم هذا. و قيل: يعني بالمدة انقطاعه صلى اللّه عليه و سلم و غيبته عن أبي سفيان. (راجع «شرح القسطلاني» على البخاري ج 1 ص 100) طبع بولاق.

[2]أمر: عظم.

[3]أبو كبشة: رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان و عبد الشعري العبور؛ فسمى المشركون النبي صلى اللّه عليه و سلم ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة اللّه تعالى تشبيها له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري. و قال آخرون: أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قبل أمه فنسب إليه لأنه كان نزع إليه في الشبه. و قيل فيه غير ذلك (راجع «اللسان» مادة كبش) .

[4]بنو الأصفر: لقب ملوك الروم.

[5]هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي الصحابي المشهور، و هو الذي كان جبريل عليه السلام يأتي في صورته، و كان من أجمل الناس و أحسنهم صورة.

[6]في «صحيح مسلم» و «البخاري» : «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين» (هم الفلاحون و الزراعون) .

[7]قد ورد هذا الكتاب بإسهاب في البخاري و مسلم فانظره فيهما.

[8]في الأصول: «... و عقله. فلما قدم عليه... قال أخذه هرقل» . فوضعت كلمة «قال» في الأصول في غير موضعها.

فخذيه و خاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية[1]كان يقرأ العبرانيّة ما تقرءونه، فذكر له أمره و وصف له شأنه و أخبره بما جاء منه. فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه، فاتّبعه و صدّقه. قال: فأمر هرقل ببطارقة الرّوم فجمعوا له في دسكرة[2]ملكه، و أمر بها فأغلقت عليهم أبوابها، ثم اطّلع عليهم من علّيّة و خافهم على نفسه فقال: يا معشر الرّوم، قد جمعتكم لخبر، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه، فو اللّه إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره و نجده في كتابنا؛ فهلمّ فلنبايعه و لنصدّقه فتسلم لنا دنيانا و آخرتنا. قال: فنخرت[3]الروم نخرة رجل واحد و ابتدروا أبواب الدّسكرة/ليخرجوا فوجدوها قد أغلقت دونهم. فقال: كرّوهم عليّ و خافهم على نفسه؛ فكرّوهم عليه. فقال: يا معشر الرّوم، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث؛ فقد رأيت منكم الذي أسرّ به؛ فخرّوا سجّدا. و أمر بأبواب الدّسكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و هما باليمن و حديث الحبر اليهودي معهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن زكريا الغلابيّ قال حدّثني أبو بكر الهذليّ عن عكرمة عن ابن عباس قال قال لي العبّاس:

خرجت في تجارة إلى رجل في ركب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن. فكنت أصنع يوما طعاما و أنصرف بأبي سفيان و بالنّفر، و يصنع أبو سفيان يوما/فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه:

هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي و ترسل إلى غدائك؟فقلت: نعم. فانصرفت أنا و النّفر إلى بيته و أرسلت إلى الغداء. فلما تغدّى القوم قاموا و احتبسني فقال لي: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول اللّه؟ قلت: و أيّ بني أخي؟قال أبو سفيان: إياي تكتم!و أيّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد!قلت:

و أيّهم هو على ذلك؟قال: محمد بن عبد اللّه. قلت: ما فعل!قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إليّ كتابا من ابنه حنظلة بن أبي سفيان: إني أخبرك أن محمدا قام بالأبطح[4]غدوة فقال: أنا رسول اللّه أدعوكم إلى اللّه. قال: قلت:

يا أبا حنظلة، لعلّه صادق. قال: مهلا يا أبا الفضل، فو اللّه ما أحبّ أن تقول مثل هذا، و إني لأخشى أن تكون على بصر من هذا الأمر-و قال الحسن بن عليّ في روايته: على بصيرة من هذا الحديث-ثم قال: يا بني عبد المطّلب، إنه و اللّه ما برحت قريش تزعم أن لكم يمنة و شؤمة كلّ واحدة منهما عامّة، فنشدتك اللّه يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟قلت نعم. قال: فهذه و اللّه إذا شؤمتكم. قلت: فلعلّها يمنتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد اللّه بن حذافة السّهميّ بالخبر و هو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدّث به فيها. و كان أبو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهوديّ: ما هذا الخبر الذي بلغني؟قال: هو ما سمعت. قال: أين فيكم عمّ هذا الرجل الذي قال ما قال؟قال أبو سفيان: صدقوا و أنا عمّه. قال اليهوديّ: أ أخو أبيه؟قال نعم. قال: حدّثني عنه.

قال: لا تسألني، فما كنت أحسب أن يدّعي هذا الأمر أبدا، و ما أحبّ أن أعيبه، و غيره خير منه. قال اليهوديّ:

فليس به أذى، و لا بأس على يهود و توراة موسى منه. قال العباس: فتأدّى إليّ الخبر فحميت، و خرجت حتى أجلس [1]رومية: هي عاصمة ايطاليا الآن.

[2]الدسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل و بيوت للخدم و الحشم.

[3]نخر: مدّ الصوت من خياشيمه.

[4]أبطح مكة: مسيل واديها. ـ

/إلى ذلك المجلس من غد و فيه أبو سفيان و الحبر. فقلت للحبر: بلغني أنك سألت ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعم أنه رسول اللّه، فأخبرك أنه عمّه، و ليس بعمّه و لكنّه ابن عمّه، و أنا عمّه أخو أبيه. فقال: أ أخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه. فأقبل على أبي سفيان فقال: أصدق؟قال: نعم صدق. قال فقلت: سلني عنه، فإن كذبت فليردد عليّ. فأقبل عليّ فقال: أنشدك اللّه، هل فشت لابن أخيك صبوة أو سفهة؟قال قلت: لا و إله عبد المطّلب و لا كذب و لا خان، و إن كان اسمه عند قريش الأمين. قال: فهل كتب بيده؟قال عبّاس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها، ثم ذكرت مكان أبي سفيان و أنّه مكذّبي و رادّ عليّ، /فقلت: لا يكتب. فذهب الحبر و ترك رداءه و جعل يصيح: ذبحت يهود!قتلت يهود! قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إنّ اليهوديّ لفزع من ابن أخيك. قال قلت: قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقّا كنت قد سبقت، و إن كان باطلا فمعك غيرك من أكفائك؟قال: لا و اللّه ما أو من به حتى أرى الخيل تطلع من كداء (و هو جبل بمكة) . قال قلت: ما تقول؟!قال: كلمة و اللّه جاءت على فمي ما ألقيت لها بالا، إلا أني أعلم أن اللّه لا يترك خيلا تطلع من كداء. قال العباس: فلما فتح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مكة و نظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء، قلت: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟قال لي: و اللّه إني لذاكرها، فالحمد للّه الذي هداني للإسلام.

حديث استئمان العباس له و إسلامه في غزاة الفتح:

حدّثنا[1]محمد بن جرير الطّبريّ قال حدّثنا البغويّ[2]قال حدّثنا الغلابيّ أبو كريب/محمد بن العلاء قال حدّثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدّثني الحسين بن عبيد اللّه بن العبّاس عن عكرمة عن ابن عبّاس قال:

لمّا نزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مرّ[3]الظّهران (يعني في غزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب و قد خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من المدينة: يا صباح[4]قريش!و اللّه لئن بغتها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إنها لهلاك قريش آخر الدهر. فجلس على بغلة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم البيضاء و قال: أخرج إلى الأراك[5]، لعلّي أرى حطّابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيستأمنونه. فو اللّه إني لأطوف في الأراك ألتمس ما

خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان و حكيم[6]بن حزام و بديل[7]بن ورقاء يتجسّسون الخبر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ فسمعت أبا سفيان و هو يقول:

[1]ورد هذا الخبر بسنده في «تاريخ الطبري» (ق 1 ص 630 طبع أوروبا) . و قد رواه ابن جرير الطبري عن أبي كريب مباشرة. و هو كثيرا ما يقول في تاريخه: «حدّثنا أبو كريب» . فلعل ذكر اسمي البغوي و الغلابي هنا من زيادات النساخ.

[2]هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوي من شيوخ ابن جرير الطبري توفي ببغداد سنة 244 هـ.

[3]مر الظهران: واد قرب مكة.

[4]يا صباح كذا و يا صباحاه: مما يستعمل عند الانذار بالغارة.

[5]الأراك: واد قرب مكة.

[6]هو حكيم بن خويلد بن عبد العزي الأسدي أبو خالد ابن أخي خديجة زوج النبي صلى اللّه عليه و سلم. قال ابن إسحاق: أعطاه النبي صلى اللّه عليه و سلم من غنائم حنين مائة من الإبل، و ولد في جوف الكعبة قبل قدوم الفيل بثلاث عشرة سنة.

[7]هو بديل بن ورقاء بن عبد العزيز بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي من خزاعة، و هو الذي كتب إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يدعوه إلى الإسلام، و هو من كبار مسلمة الفتح.

و اللّه ما رأيت كالليلة قطّ نيرانا. فقال بديل بن ورقاء: هذه و اللّه نيران خزاعة حمشتها[1]الحرب. فقال أبو سفيان:

خزاعة ألأم من ذلك و أذلّ. فعرفت صوته فقلت: أبا حنظلة!فقال: أبا الفضل!قلت نعم؛ فقال: لبّيك، فداؤك أبي و أمي!فما وراءك؟فقلت: هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قد دلف[2]إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال:

فما تأمرني؟فقلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول اللّه/ صلى اللّه عليه و سلم، فو اللّه لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك.

فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم نحو رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا: عمّ رسول اللّه على بغلة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم؛ حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب-رضي اللّه تعالى عنه-فقال: أبو سفيان!الحمد للّه الذي أمكن منك بغير عقد و لا عهد؛ ثم اشتدّ نحو النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، و ركضت البغلة و قد أردفت أبا سفيان-قال العباس: -حتى اقتحمت على باب القبّة و سبقت عمر بما تسبق به الدّابة البطيئة الرجل البطيء. فدخل عمر على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول اللّه، هذا أبو سفيان قد أمكن اللّه منه بغير عهد و لا عقد، فدعني أضرب عنقه. قلت: يا رسول اللّه، إني قد أجرته. ثم جلست إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أخذت برأسه و قلت: و اللّه لا يناجيه اليوم/أحد دوني. فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلا يا عمر!فو اللّه ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجل من عبد مناف، و لو كان من بني عديّ بن كعب ما قلت هذا!قال: مهلا يا عبّاس!فو اللّه لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ و ذلك لأني أعلم أن إسلامك أحبّ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «اذهب فقد أمّنّاه حتى تغدو به عليّ الغداة» فرجع به إلى منزله. فلما أصبح غدا به على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان أ لم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا اللّه» !فقال: بأبي أنت و أمي!ما أوصلك و أحلمك و أكرمك!و اللّه لقد ظننت أن لو كان مع اللّه غيره لقد أغنى عنّي شيئا. فقال: «ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبل و اللّه[أن] [3]تضرب عنقك» . /قال: فتشهّد. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان:

«انصرف يا عبّاس فاحتبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود اللّه» . فقلت: يا رسول اللّه، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فاجعل له شيئا يكون في قومه. فقال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن و من دخل المسجد فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن» . فخرجت به حتى أجلسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: من هؤلاء يا عباس؟فأقول: سليم، فيقول: ما لي و لسليم!ثم تمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟فأقول: أسلم، فيقول: مالي و لأسلم!و تمرّ به جهينة فيقول: من هؤلاء؟فأقول: جهينة، فيقول: ما لي و لجهينة!حتى مرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في الخضراء، كتيبة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من المهاجرين و الأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟فقلت: هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في المهاجرين و الأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما. فقلت: ويحك!إنها النبوّة؛ قال: نعم إذا. فقلت الحق الآن بقومك فحذّرهم. فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به.

قالوا: فمه!قال: من دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنّا دارك!قال: و من دخل المسجد فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن.

[1]حمش الشيء: جمعه و فلانا هيجه.

[2]يقال: دلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب أي تقدمت.

[3]زيادة عن الطبري.

بعض ما أسند إليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه:

حدّثنا محمد بن جرير و أحمد بن الجعد قالا حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد اللّه بن الزبير قال:

لمّا كان يوم اليرموك خلّفني أبي، فأخذت فرسا له و خرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معهم، فكانت الرّوم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

/و بنو الأصفر الكرام ملوك الرّوم لم يبق منهم مذكور فلما فتح اللّه على المسلمين حدّثت أبي فقال: قاتله اللّه!يأبى إلاّ نفاقا؛ أ و لسنا خيرا له من بني الأصفر!ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: حدّثهم، فأحدّثهم فيعجبون من نفاقه.

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثني ابن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال:

دخل أبو سفيان على عثمان بعد/أن كفّ بصره، فقال: هل علينا من عين؟فقال له عثمان: لا. فقال:

حدّثني محمد بن حيّان الباهليّ قال حدّثنا عمر بن عليّ الفلاّس قال حدّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول[1]عن أشعث بن أبي الشّعثاء عن ميسرة الهمدانيّ عن أبي الأبجر الأكبر قال:

جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش و أقلّها!فو اللّه لئن شئت لأملأنّها عليهم خيلا و رجلا. فقال له عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: يا أبا سفيان، طالما عاديت اللّه و رسوله صلى اللّه عليه و سلم و المسلمين فما ضرّهم ذلك شيئا، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلا.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال:

/

و أضحت قريش بعد عزّ و منعة # خضوعا لتيم[2]لا بضرب القواضب

فيا لهف نفسي للذي ظفرت به # و ما زال منها فائزا بالرّغائب

و حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثني محمد بن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال:

لمّا ولي عثمان الخلافة، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أميّة، إن الخلافة صارت في تيم و عديّ[3] حتى طمعت فيها، و قد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة، فو اللّه ما من جنّة و لا نار-هذا أو نحوه- فصاح به [1]كذا في «التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» . و هو مالك بن مغول البجلي أبو عبد اللّه أحد علماء الكوفة و عبادها توفي سنة تسع و خمسين و مائة. و في ب، س، حـ: «معول» بالعين المهملة. و في سائر الأصول: «معاوية» و كلاهما تحريف.

[2]هو تيم بن مرة بن كعب، و به سميت القبيلة التي ينسب إليها أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه.

[3]هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، و به سميت القبيلة التي ينسب إليها عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

عثمان: قم عنّي فعل اللّه بك و فعل. و لأبي سفيان أخبار من هذا الجنس و نحوه كثيرة يطول ذكرها، و فيما ذكرت منها مقنع[1].

شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق:

و الأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهوديّ و يكنى أبا غنم، و كان نزل عليه في غزوة السّويق، فقراه و أحسن ضيافته. فقال أبو سفيان فيه: سقاني فروّاني كميتا مدامة # على ظمأ منّي سلام بن مشكم

تخيّرته أهل المدينة واحدا # سواهم فلم أغبن و لم أتندّم

فلمّا تقضّي الليل قلت و لم أكن # لأفرحه أبشر بعرف و مغنم

و إنّ أبا غنم يجود و داره # بيثرب مأوى كلّ أبيض خضرم[2]

[1]الثابت في التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم و حسن إسلامه. فلعل هذه الأخبار و نحوها مما كان يفتريه الشيعة على معاوية و آل معاوية للنيل منهم و الكيد لهم.

[2]الخضرم: الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضرم و هو الكثير الماء.

ذكر الخبر عن غزوة السّويق و نزول أبي سفيان على سلام بن مشكم

خبره غزوة السويق و نزوله على ابن مشكم:

كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر. و ذلك أن أبا سفيان نذر ألاّ يمسّ رأسه ماء من جنابة و لا يشرب خمرا حتى يغزو رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فخرج في عدّة من قومه و لم يصنع شيئا؛ فعيّرته قريش بذلك و قالوا: إنما خرجتم تشربون السّويق[1]؛ فسمّيت غزوة السّويق[2].

حدّثنا محمد بن جرير، قرأته عليه، قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير و يزيد بن رومان عن عبيد اللّه بن كعب بن مالك-و كان من أعلم الأنصار- قال: كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة و رجع قبل قريش من بدر، نذر ألاّ يمسّ ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى اللّه عليه و سلم. فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه، فسلك النّجديّة حتى نزل بصدر قناة إلى/جبل يقال له تيت[3] (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بني النّضير تحت الليل، فأتى حييّ بن أخطب بيثرب فدقّ عليه بابه فأبى أن يفتح له و خافه؛ و انصرف/إلى سلام بن مشكم-و كان سيّد بني النّضير في زمانه ذلك و صاحب كنزهم-فاستأذن عليه فأذن له، فقراه و سقاه و نظر له خبر الناس. ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرّقوا في أصوار[4]من نخل لها، أتوا رجلا من الأنصار و حليفا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فنذر[5]بهم الناس؛ فخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة[6]الكدر، ثم انصرف راجعا و قد فاته أبو سفيان و أصحابه، و قد رأوا من [1]السويق: شراب يتخذ من الحنطة و الشعير.

[2]الذي في «السيرة» لابن هشام (ج 2 ص 544) : «و إنما سميت غزوة السويق-فيما حدّثني أبو عبيدة-لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فسميت غزوة السويق» .

[3]تيت: ضبط في «القاموس» و «شرحه» كميت (أي بسكون الياء و بتشديدها مكسورة) . و ضبط في ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة.

و منهم من قال: «تيب» بالتحريك و آخره باء موحدة، جبل قريب من المدينة على سمت الشام، و قد يشدّد وسطه للضرورة. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «القاموس» و «شرحه» مادة تيت) .

[4]كذا في حـ و «السيرة لابن هشام» و الطبري (ق 1 ص 1365) . و قد ورد هذا الخبر في «شرح القاموس» و «اللسان» (مادة صور) و «معجم ياقوت» في الكلام على عريض هكذا: «أن أبا سفيان بعث رجلين من أصحابه فأحرقا صورا من صيران العريض» . و الصور: الجماعة من النخل. و قيل: النخل الصغار. و في سائر الأصول: «فحرقوا أسوارا من نخل» بالسين المهملة و هو تحريف.

[5]نذر: علم.

[6]قرقرة الكدر: موضع على ستة أميال من خيبر.

مزاود القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفّفون منه للنّجاء. فقال المسلمون حين رجع بهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: أ نطمع أن تكون غزوة، قال «نعم» . و قد كان أبو سفيان قال و هو يتجهّز خارجا من مكة إلى المدينة أبياتا من شعر يحرّض فيها قريشا فقال: كرّوا على يثرب و جمعهم # فإنّ ما جمّعوا لكم نفل

إن يك يوم القليب[1]كان لهم # فإن ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء و لا # يمسّ رأسي و جلدي الغسل

حتى تبيدوا قبائل الأوس و الـ # خزرج إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب بن مالك:

يا لهف أمّ المسبّحين[2]على # جيش ابن حرب بالحرّة الفشل[3]

/أ تطرحون الرجال من سنم الظّهر ترقّى في قنّة الجبل

جاءوا بجمع لو قيس منزله # ما كان إلا كمعرس الدّئل[4]

عار من النصر و الثراء و من # نجدة أهل البطحاء و الأسل

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقديّ: أن غزوة السّويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة.

اشتد قيس بن الخطيم على حسان و هم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان:

حدّثني عمّي قال حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ عن أبي الزّناد عن عبد اللّه بن الحارث قال: شرب حسّان بن ثابت يوما مع سلام بن مشكم، و كان له نديما، معهم كعب بن أسد و عبد اللّه بن أبيّ و قيس بن الخطيم؛ فأسرع الشراب فيهم و كانوا في موادعة و قد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسّان: تعال أشاربك؛ فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسّان من الإناء شيئا؛ فقال له قيس: اشرب. فقال حسّان و عرف الشرّ في وجهه: أو خيرا من ذلك أجعل لك الغلبة. قال: لا!إلاّ أن تشربه؛ فأبى حسّان. و قال له سلام بن مشكم: يا أبا يزيد، لا تكرهه على ما لا يشتهي، إنما دعوته لإكرامه و لم تدعه لتستخفّ به و تسيء مجالسته. فقال له قيس: أ فتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي! فقال له سلام: ما في هذا سوء مجالسة، و ما حملت عليك إلاّ لأنك منّي و

أني حليفك، و ليست/عليك غضاضة في هذا، و هذا رجل من الخزرج قد أكرمته و أدخلته منزلي؛ فيجب أن تكرم [1]هو قليب بدر (انظر الكلام عليه في غزوة بدر في هذا الكتاب ج 4 ص 170 من هذه الطبعة) .

[2]كذا في الطبري و ابن الأثير. و في الأصول: «المسجيين» .

[3]الفشل: الضعيف الجبان.

[4]المعرس: الموضع الذي يعرس فيه (ينزل) . و الدئل: دويبة كالثعلب، و قيل: هي شبيهة بابن عرس. و في الطبري (ق 1 ص 1366) : «كمفحص الدئل» .

لي من أكرمته. و لعمري/إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم؛ فافترقوا. و آلى سلام بن مشكم على نفسه ألاّ يشرب سنة؛ و قد بلغ هذا من نديمه و كان كريما.

صوت من المائة المختارة

من مبلغ عنّي أبا كامل # أنّي إذا ما غاب كالهامل

قد زادني شوقا إلى قربه # مع ما بدا من رأيه الفاضل

الشعر للوليد بن يزيد. و الغناء لأبي كامل. و لحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضا لحنا من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

انتهى الجزء السادس من كتاب الأغاني و يليه الجزء السابع و أوّله أخبار الوليد بن يزيد و نسبه

فهرس موضوعات الجزء السادس

غالموضوع الصفحة
1-أخبار الصمّة القشيري و نسبه 291
2-أخبار داود بن سلم و نسبه 297
3-أخبار دحمان و نسبه 305
4-أخبار أعشى همدان و نسبه 313
5-أخبار أحمد النصبيّ و نسبه 334
6-أخبار حماد الراوية و نسبه 339
7-أخبار عبادل و نسبه 356
8-أخبار المرقش الأكبر و نسبه 376
9-المرقش الأصغر 381
10-وقعة دولاب و أخبار الشراة 386
11-أخبار سياط و نسبه 392
12-ذكر نبيه و أخباره 398
13-أخبار سليم 400
14-أخبار ابن عبّاد 405
15-أخبار يحيى المكي و نسبه 407
16-أخبار النّميري و نسبه 418
17-أخبار وضّاح اليمن و نسبه 431
18-أخبار بشّار و عبدة خاصة 454
19-أخبار الأحوص مع أم جعفر 463
20-ذكر أبي ذؤيب و خبره و نسبه 469
21-ذكر حكم الوادي و خبره و نسبه 480
22-ذكر ابن جامع و خبره و نسبه 486

23-ذكر أبي سفيان و أخباره و نسبه 521
فهرس الموضوعات 535